الجمهوريـــة الجزائريـــة الديمقراطيـــة الشعبيـــة

وزارة التعليـــم العـــالي و البحـــث العـــلمي

جامعـــة الإخوة منتوري قسنطينة 1

كلية الآداب واللغات قسم الأدب واللغة العربية

الرقم التسلسلي :.....

بنيـــة الخطـــاب التـــداولـي
عنـــد بديـــع الزمـــان سعيـــد النورسي
من خلال المثنوي العربي النوري

رسالة معدة استكمالا لمتطلبات نيل شهادة الدكتوراه (ل م د ، L.M.D)

شعبة: اللغة العربية تخصص: اللسانيات وتطبيقاتها

إعـــداد الطالب :
محمد الهادي عايش

إشراف الأستاذة :
أ.د. يمينة بن مالك

أعضاء اللجنة	الرتبة	الصفة	الجامعة
أ.د.حسن كاتب	أستاذ التعليم العالي	رئيسا	جامعة الإخوة منتوري –قسنطينة–
أ.د. يمينة بن مالك	أستاذة التعليم العالي	مشرفا ومقرّرا	جامعة الإخوة منتوري –قسنطينة–
أ.د.زهيرة قروي	أستاذة التعليم العالي	عضوا مناقشا	جامعة الإخوة منتوري –قسنطينة–
أ.د.عبد الوهاب شيباني	أستاذ التعليم العالي	عضوا مناقشًا	جامعة الإخوة منتوري –قسنطينة–
أ.د.ذهبية بورويس	أستاذة التعليم العالي	عضوا مناقشا	جامعة الأمير عبد القادر
أ.د.بلقاسم ليبارير	أستاذ التعليم العالي	عضوا مناقشا	جامعة الحاج لخضر باتنة

السنة الجامعية :1439-1440هـ/2017-2018م.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

بسم الله الذي خلق الإنسان علمه البيان، ووهبه التمييز والحكمة، ومفاتيح العلم ليرشده إرشاد إدراك لمنزلته وقال : ﴿ **وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا** ﴾ (الإسراء الآية 85).

يدرك الباحث في حقل البحث اللساني تعدد الاختصاصات واختلافها من حيث المبدأ، ولا شك أن البحث في اللسانيات ينطلق من اتجاهات لباحثين أسسوا وبلوروا طرقا للبحث، تعددت بتعددهم؛ فمن عصر يهتم بالتركيب إلى عهد قريب يهتم بالدلالة والمعنى، حتى نصل إلى عصر حديث اهتم بالتداوليات والمقام . فالأول كان تركيبيا بنيويا يهتم بدراسة العلاقات بين أبنية الجملة الواحدة، والثاني الذي هو علم الدلالة درس العلاقة بين التراكيب في الجملة الواحدة وبين الواقع الفعلي؛ أما العلم الثالث فقد نظر إلى علم التراكيب وعلم الدلالة فلم يجد لهما اهتماما بطرفي الخطاب القائل والمتلقي؛ فعنت بهم اللسانيات التداولية التي تعتبر من أحدث الاتجاهات المشتهرة في ساحة الدرس الساني الحديث والمعاصر، متجاوزة قصر اللسانيات من الجانب البنيوي والتوليدي، فعرّفت بأنها دراسة العلاقة بين هذه الأبنية اللغوية، أو هذه العلامات اللغوية وبين قائليها وبين طرفي الخطاب القائل والمتلقي، فالتداولية لا تدرس اللغة وهي في المعاجم بل تدرسها قيد الاستعمال فهي علم الاستعمال اللغوي، وقد أضْفى التداخل والتكامل بين الحقول المعرفية إلى انقسام الدرس اللساني خلال النصف الثاني من القرن العشرين إلى اتجاهين كبيرين : اتجاه شكلي صوري يميل إلى رؤية اللغة على أنها ظاهرة عقلية ندرسها على أنها نظام مستقل، واتجاه وظيفي تواصلي يرى أن اللغة ظاهرة اجتماعية ندرسها على هذا الأساس (عند الاستعمال).

و على الرغم من أن علم الاستعمال اللغوي –التداولية – اليوم تجاوزت نصف قرن من الزمن في مباحثها واهتماماتها، مازلنا نسمع بين الفينة والأخرى من يأنف من أن يدرجها في حضيرة اللسانيات أو أن

تمتد يده لتطال نصوصا من نحو النصوص السماوية، والشعرية والأدبية النثرية، ومازال هؤلاء يضيّقون من مداراتها ليحصروها في دراسة الكلام العادي ولغة التواصل اليومي بين الأفراد .

لكن الناظر في مباحث أفعال الكلام ونظريات الحجاج، ومباحث بلاغة الخطاب و الملفوظية وغيرها يدرك ما يحمله هذا الدرس الجديد من وسائل كامنة، قادرة على أن تلامس اللغة _ في مختلف أدائها _ ما لم تلامسه المناهج الأخرى .

يأتي هذا البحث محاولة لبيان القدرة التداولية على تناول النصوص الأدبية .

في خضم الاستعمالات اللغوية تبلورت نصوص لكتاب وباحثين وأدبيين كانت ذات تأثير في الأوساط المبثوثة فيها، خاصة أنها تميزت بطابع ديني إصلاحي يحمل بعدا جماليا، ومن أشهر ما أنجز في فترات تعد ظلامية كتابات **'بديع الزمان سعيد النورسي'**، فأبى البحث إلا أن يقف على هذا العلَم، الذي تعاطى مشكلات زمانه فوجّهها بنور القرآن وافترض لها الحلول بنصوص إبداعية عرفت برسائل النور، التي من أشهرها ما كتب في بدايات تأليفه: المثنوي العربي النوري . وإنّ ما أوقفنا لدراسة كتاب المثنوي دراسة تداولية هو ذلك التأثير الكبير الذي أحدثته رسائل النور على المجتمع التركي بطوائفه، وعلى سائر المسلمين فقد أحصي **للنورسي** في سنوات الخمسينات مليون متابع هذا في تركيا فقط وفي حقبة زمنية يعد فيها الأذان بالعربية جريمة ومما دفعني لهذا البحث هو إرادة الكشف عن الجوانب الإنجازية والتأثيرية والمقصدية لمثل هذه النصوص، كما أننا نعتبرها اجتهادا لفهم القرآن الكريم فهما تداوليا، إذ أن معرفة نصوص هذه الفترة تساعدنا على التطوير من ذواتنا اليوم، فهي تعد فترة بعث حضاري بالنسبة للمسلمين كما يقول الأستاذ **'أحمد شرفي الرفاعي'**، وما أجده مبررا هو الآخر لاختيار هذا الموضوع، هو أن الساحة اللسانية العربية عرفت حضورا قويا ولافتا

للاتجاه الشكلي الصوري، عكس الاتجاه الوظيفي الذي لم يحظ بالاهتمام نفسه، على رغم أهمية البحوث والدراسات التي تمت مراكمتها في هذا المجال .

وهدفنا من خلال هذا البحث إضافة شيء لهذا الاتجاه (الوظيفي بجانبه التداولي) ووضع نقطة على خارطة البحث اللساني المعاصر، محاولين استجلاء بعض معالم هذا الاتجاه، وإبراز خصوصياته تطبيقيا كما نأمل من دراستنا هذه الإجابة عن موضوع التداولية و مفاهيمها واتجاهاتها وغاياتها تطبيقيا، مع إيضاح علاقتها ببعض المعارف مثل العلوم الاجتماعية وعلوم الاتصال والفلسفة والمنطق والسمياء وغيرها، وما دفعنا لخوض غمار هذا البحث هو تقصي آليات الإقناع واستراتيجيات الخطاب المتجسدة في المؤلف والمتلقي أو ما يسمى بمقصد النص ومعرفة تأويلاته، أو ما يسمى باستراتيجية القراءة، والمقصدية هي أهم ما جاءت به التداولية –القراءة والتأويل– ،أو هي آليات معينة يستعملها المؤلف في نصه؛ والمحصلة أن لكل قارئ استراتيجيات، وهدف البحث الوصول إلى معرفة مقصديات الخطاب **النورسي**.

عليه يعد اختيارنا لمدونة **'سعيد النورسي'** المعروفة بالمثنوي العربي النوري لهذه الدراسة التطبيقية نابع من كون الكاتب له ميزة إصلاحية ممزوجة في كتاباته ورسائله، ولم يحظ بدراسات في الجزائر بمثل ما حظيّ به الآخرون أمثال البشير الإبراهيمي وابن باديس ومالك بن نبي وغيرهم .

فالحافز الموضوعي للبحث تبلور بعد الاطلاع على رسالة المثنوي العربي النوري وكتاباتها التي تزخر بتوجيهات ونصائح وارشادات تدعو إلى نور القرآن _ مفسرا شهوديا لأنوار القرآن_ فقد عمل على تصوير بعض المواقف التي تأخذ القارئ إلى فهم القرآن، مع معرفة الرد على الفلسفة **الكانطية** التي سادت في تلك المرحلة .

لقد علمنا مدى ارتباط التداولية باستعمال اللغة، وواقعها الحي وما يضيفه المتكلمون من شروط وملابسات ترتبط بالأداء ذاته، فكيف والنص موضوع الدراسة مكتوب، غير مؤدا فعلا، بل إنه نص فني دخلته عدة تحويرات، وتكتنفه عدة شروط هذا بعدّه نصا أدبيا حامل لخصائص جمالية.

وما حفزنا إلى اختيار هذا الموضوع من جهة أخرى هو كما ذكرت الباحثة **غنية تومي** في رسالة الدكتوراه "التفكير اللغوي في كليات رسائل النور لبديع الزمان: هو الرغبة الممزوجة بالفضول في التعرف على ما تناهى على مسامعنا عن تركة الرجل اللغوية، ومن ثم ربطها بالمسلك اللغوي الحديث الذي لا تخلو منه بصمة إلا ووجدناها منقوشة في مصادر الأولين عندنا ، وانطلاقا من هذا فنحن نبحث عن تحديد موضوع له في المشروع المعرفي اللغوي ، برصد الآليات التداولية التي سيقت من أجل بلوغ القصد .

انطلاقا من قراءاتنا لكتاب المثنوي العربي النوري، واطلاعنا على المناهج الحديثة، خاصة التداولي منها تبلورت لدينا إشكالية لمسناها في أثناء قراءتنا، هذا ما جعلنا نطرح أسئلة تعد من أبرز الأسئلة التي يستطيع المنهج التداولي أن يجيبنا عليها من خلال مدونتنا المثنوي العربي النوري، ولعل أهم ما يقدمه المنهج التداولي في الخطاب النورسي أن له جرأة في حسم كثير من الموضوعات المختلفة في تأويلها، استنادا إلى معطيات تواصلية خاصة، مثل المحتوى غير اللغوي والاعتداد بالسياق وموقف المتكلم من الخطاب ذاته ومن السامع وغيرها ولعل أهم سؤال نطرحه هو :

كيف يمكن البحث في الخصائص التداولية وتحديد وظائفها في خطاب المثنوي العربي النوري ؟

بمعنى ماجدوى المنهج التداولي في الخطاب النورسي ؟

- ما مقاصد هذا النص ؟ وينبثق من هذا السؤال عدة أسئلة :

- ماهي الآليات والعناصر التي قدمتها النظرية التداولية؟

-ماهي استراتيجيات المؤلف في رسالته؟

وسنحاول الإجابة عن أسئلة من مثل : ما سبب اختيارنا للمثنوي العربي النوري ؟ لماذا اخترنا الحديث عن بنية الخطاب التداولي ؟ لماذا اخترنا بديع الزمان سعيد النورسي ؟

للإجابة عن هذه التساؤلات ارتأينا استعمال المنهج الوصفي التداولي الذي نجده الأمثل في بحث هذه الخطابات كونه وسيلة إجرائية لمقاربة النص الخطابي ، بل يمتلك نجاعة في إبراز مقاصد المتكلم وأثرها في المتلقي . من هنا جاءت مشكلة البحث التي بدورها جسدت لنا خطة كانت كالآتي:

قسم البحث على حسب ما حدده الأستاذ نور الدين أجعيط في كتابه تداوليات الخطاب السياسي إلى مسار التدقيق: مراجعا فيه المفاهيم المحددة للتداولية في المصنفات الغربية والعربية

ثم مسار التطبيق: حيث اختبر فيه المفاهيم التداولية، على مدونة المثنوي العربي النوري .

وأخذ هذا البحث الشكل الآتي: مدخل وأربعة فصول مع مقدمة وخاتمة

أما المدخل ففيه لمحة عن المدونة وصاحبها.

و الفصل الأول تمحور حول: المقاربة المصطلحية، عالجنا فيه ثلاثة مصطلحات في ثلاثة مباحث وهي: البنية و الخطاب، والتداولية .

أما الفصل الثاني: فقد عنوناه بـ : استراتيجيات الخطاب في المثنوي العربي النوري .

وأخذنا فيه: ثلاثة مباحث كانت كالتالي :

المبحث الأول: استراتيجيات الخطاب في المثنوي العربي النوري.

المبحث الثاني: بنية الحوار ومبدأ التعاون الحواري في المثنوي العربي.

المبحث الثالث: الافتراض التداولي المسبق

أما الفصل الثالث فقد عالجنا فيه مسألة الخفاء والتجلي وعنوناه بمدارج الكلام في المثنوي العربي النوري وقسّم إلى ثلاثة مباحث نذكرها في الآتي :

المبحث الأول: جدلية الخفاء والتجلي في الخطاب النورسي.

المبحث الثاني: التكثيف الرمزي والاستعاري في الخطاب النورسي.

المبحث الثالث: تفكيك البنية الاستعارية في الخطاب النورسي .

وأما الفصل الرابع الذي عنوانه الخطاب التداولي في المثنوي العربي النوري قسمناه إلى مبحثين كانا كالآتي :

المبحث الأول : الإشاريات في المثنوي العربي النوري أما المبحث الثاني : أفعال الكلام في المثنوي العربي النوري

أما من حيث الدراسات السابقة التي عملت على المثنوي العربي النوري عملا لغويا، لا نكاد نجد أي دراسة غير التي قدمها" **الباحث هشام فروم**" دكتوراه علوم سنة 2016/2015 والموسومة بالحجاج في كليات رسائل النور لبديع الزمان سعيد النورسي؛ دراسة في وسائل الإقناع المثنوي العربي النوري أنموذجا جامعة باجي مختار –عنابة-الجزائر- فمن حيث الجانب التداولي غطت هذه الدراسة مجموعة من الجوانب التداولية في خمس فصول كان الأول منها حول الملابسات التي نشأت فيها رسائل النور، الفصل الثاني حول مفاهيم الحجاج وعلاقته بالتداولية أما الفصل الثالث فكان حول وسائل الإقناع اللغوية في المثنوي العربي النوري، وتبعه الفصل الرابع الذي عنونه بوسائل الإقناع البلاغية؛ ثم ختم دراسته بالفصل الخامس الذي

خصص لدراسة وسائل الإقناع التداولية، وخلص الباحث لنتائج منها: إن نجاح الحجاج يتطلب استخداما ذكيا لوسائل لغوية ومنطقية وعلمية، كما أنه توصّل إلى أن الخطاب النورسي في المثنوي العربي النوري أسلوب جميل في فن الإقناع فهو يخاطب القلوب والعقول بتدرج، وهناك أطروحة دكتوراه من جامعة بسكرة للباحثة "**غنية تومي**" نوقشت سنة 2017/2016 وسمت بالتفكير اللغوي في كليات رسائل النور لبديع الزمان النورسي عالجت فيها الباحثة مناحي علوم اللسان العربي ولم تتجاوز ذلك إلى بعْد اللسانيات وقد نقلتْ عن هذه الباحثة دراسة ماجستير للباحث العراقي "**دلير عبد الله أحمد**" بجامعة السليمانية بالعراق، بعنوان الدرس اللغوي عند **سعيد النورسي**، وقد تمت مناقشة الرسالة عام 2011 ،والملحوظ على هذه الدراسة أنها لم تتجاوز مناحي علوم اللسان العربي هي الأخرى. والملاحظ على الدراسات الثلاثة أنها لم تبحث في جوانب استراتيجيات الخطاب ولا جوانب التكثيف الرمزي والاستعاري ولا مناحي الملفوظية وأفعال الكلام . و فيما عدا الدراسات الثلاثة القريبة من طبيعة أطروحتنا لم نتمكن من الحصول على دراسة أخرى ذات صلة، وإن كانت رسائل النور قد بُحثت من جوانب عديدة .

ولقد واجهتنا صعوبات خلال هذا البحث نذكر منها: المساحة المفاهيمية الكبيرة للتداولية .

و قلة الدراسات السابقة التي عالجت هذه الظاهرة، إضافة الى صعوبة الإلمام بمختلف قضايا اللسانيات التداولية التي تندرج حول موضوع الدراسة .

وختاما لا يكمل بحث إلا بوقوف أيادي راعية له ونحن قد وجدنا من أستاذتنا الدكتورة يمينة بن مالك كل يد عون ولولا توجيهاتها السديدة ما اكتمل البحث وما نضجت الثمرة .

وأخيرا لا نزعم أننا بلغنا الكمال في هذه الدراسة، وأننا أتينا بما لم يأت به أحد، إلا أننا قد بذلنا جهدا في هذا الجانب العلمي.

المدخل

المدونة وصاحبها

أولا : بديع الزمان سعيد النورسي : عصره وحياته

ثانيا : جوانب من حياة بديع الزمان سعيد النورسي

ثالثا : المدونة

رابعا : السمة الموسوعية في المثنوي العربي للنورسي

خامسا : المثنوي العربي وعملية تخيّر العناوين

سادسا: الفترة التي أوجدت مطارحات المثنوي العربي النوري

سابعا : الإطار الوصفي في المثنوي العربي للنورسي

لا يمكن للإنسان أن يعيش في معزل عن بيئته التي ولد فيها ،**'فالنورسي'** كغيره من الأئمة عاش في بيئة كان لها طبيعتها السياسية والفكرية والاجتماعية ،بيد أن هذه البيئة قد حصلت فيها ممارسات سلبية كثيرة ،بسبب الفترة الحرجة التي مرت بها ،وتحديدا السياسية التي عاشتها المنطقة في ذلك الوقت ،مما كان له أكبر الأثر في انطلاقته لإصلاح المجتمع وإنقاذ الإيمان .

ولكي نعرف مقاصد الخطاب **'النورسي'** و نقف على حقيقته ،من الضروري أن نتكلم بإيجاز عن طبيعة العصر الذي عاش فيه من الناحية السياسية ،والعلمية والاجتماعية ،لنرى ما مدى تأثر **'النورسي'** ببيئته وما مدى تأثيره أيضا .

قصد الخروج مما سقط فيه البحث اللغوي البنيوي ؛توجب القيام بإدراج أبعاد جديدة تم إقصاؤها لأسباب تاريخية إبستيمولوجية من البحث اللساني ؛فلم يعد السياق المتعدد الأبعاد عنصرا عرضيا يتعين علي الباحث إقصاؤها من البحث اللساني، بل صارت أسسا يستحيل الاستغناء عنها في فهم أبعاد اللغة والخطاب.

يقتضي المقام قبل الحديث عن **'النورسي'** ومنجزاته الإصلاحية ،التعرض للإطار الزماني والمكاني والظروف الحضارية بشكل عام ؛و المرحلة التي عاصرها في الدولة التي عاش فيها فاعلا و متفاعلا ،كي يتسنى لنا فهم الخطاب الذي قدّمه في إطاره التاريخي والحضاري .

قبل التعرض لولادته ونشأته ألزمنا التطرق للمرحلة التي عاصرها ،خاصة و أن الذي يفرض علينا ذلك بإلحاح أن **'النورسي'** عاش في الفترة الأخيرة من حياة الدولة العثمانية التي عرفت الانحطاط والضعف ثم الزوال ،إذ يقتضي بنا ذلك الحديث عن النشأة والنمو وعناصر القوة والتمكن و كيف امتزج خطاب **'النورسي'** مع هذا الواقع الذي شهد الانحطاط والضعف في عصره ،ذلك بالابتعاد عن نور القرآن وعن الحقيقة؟ .[1]

[1]- مراد قمومية : منهج بديع الزمان سعيد النوري في بيان اعجاز القرآن الكريم من خلال رسائل النور ، أطروحة دكتوراه ، جامعة الجزائر ، كلية العلوم الاسلامية ، 2005 ، ص 2.

أولا :بديع الزمان سعيد النورسي : عصره وحياته

1-الظروف التي أوجدت رسائل النور

1/1: نبذة عن الدولة العثمانية :

بدأت الدولة العثمانية في تأسسها كباقي الدول ،من مرحلة ضعف وعمل من أجل البقاء وفق مراحل تاريخية سنتجاوزها إلى أن بلغت مرحلة من القوة والتقدم والذروة الحضارية ،التي بلغتها بالخصوص في زمن **'سليمان القانوني'** ،لتعقبها بعد ذلك مرحلة التوازن ،أو ما يسمى بالعقل. تعيش فيها الحضارة على ما صنع الأجداد من أمجاد دون أن تحاول محاولة جادة لاستئناف عملية الصعود والتطور (صناعة الحضارة) وفق الضرورات التي تستدعيها كل مرحلة ،وتلخصت قوة الدولة العثمانية في الآتي :

- قوة القيادة والإدراك النابعة عن قوة الشخصية ،فخلفاء بني عثمان كانوا يقودون المعارك بأنفسهم ،فقد جمعوا بين السلطة العسكرية والإدارية .
- رفع راية الاسلام والدبّ عنه بالسيف وهذا أداء للرسالة الحضارية .
- الاهتمام بالتنظيم الداخلي للدولة وإعداد الجيوش المعبأة بالإيمان .
- القضاء على أي فتنة داخلية وكذلك أي تهديد خارجي .
- الاهتمام بالعلم ،وتقريب العلماء وتنظيم أدوراهم بفعالية في تثبيت وتنظيم الدولة .

أما مرحلة التوازن وظهور بذور الضعف فكانت كالآتي :

تبدأ من منتصف القرن السادس عشر أي مع نهاية فترة حكم "**سليمان القانوني**" وتنتهي مع بداية القرن السابع عشر بعقد الدولة لمعاهدة الصلح (**صلح كارلوتز**) عام 1110 هـ/ 1699م والتي تعبر عن مرحلة التنازلات عن أجزاء من الدولة العثمانية :

-تحقيق بعض الانتصارات الحربية إذ فتحت **'قبرص 1571 م** 'وانتزعت **'تونس من الإسبان 1547م'**.

-شهدت دخول الدولة العثمانية في حروب استنزافية أنهكت قوتها ،كالدخول في حرب مع روسيا الجديدة ومع الصفويين الشيعة كما طالت حروبا ضد النمسا وقد منيت هذه الفترة بهزيمة كبيرة في موقعة (**سان جوتار**) عام 1663م [1]

-ظهور ظاهرة ثورة الجيش الانكشاري وتدخله في شؤون خلع وتنصيب السلاطين إذ خلع كل من **'عثمان الثاني'** و**'محمد الرابع'** و**'أحمد الثاني'** ، وقد ظهر خلل في الجيش وتحول الانكشارية من الجهاد إلى الخيانة أحيانا ،وانتشرت في الدولة مظاهر الفساد من رشوة وخيانة وتخاذل في تطبيق القوانين .[2]

أما مرحلة الضعف والانحطاط ثم السقوط :

تبدأ من نهاية المرحلة السابقة أي من بداية القرن الثامن عشر الميلادي وتنتهي مع السقوط الكلي للدولة **عام(1924 م)** وتميزت عموما بما يأتي :

-معاناة الدولة بسبب حروبها الطويلة مع النمسا والبندقية وروسيا ،وانقلاب نظام الانكشارية من نظام جهادي إلى نظام للاسترزاق مع ضعف الأسطول البحري .

-فرض نظام من الضرائب غير عادل ، مع فساد الإدارة إذ تولى مناصب الدولة العليا من لا تجربة له فطغت الرشوة على ميدان القضاء كما ضعفت شخصية السلاطين .

-تدهور التعليم والمؤسسات الدينية ، كما ظهرت طبقة من المتعلمين المتأثرين بالثقافة الغربية في مسلكها الإصلاحي

- عجز الدولة عن رد العدوان عن نفسها ،مما جعلها تعقد تحالفات توجب وضع امتيازات للدول الحليفة وهذا بدر عنه تدخلا في شؤونها .

[1] - **ليلى الصباغ : تاريخ العرب الحديث والمعاصر ، مطبعة ابن حيان ، دمشق ، 1982 ، ص 107/106/105.**
[2] - **محمود السيد : تاريخ الدولة العثمانية وحضارتها ، مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية ، 1999، ص 111.**

-ثم الغاء نظام الانكشارية سنة' **1826 م'** والعمل على انشاء جيش جديد ، مستعينين بمدربين أوروبيين

أما بالنسبة للإدارة فقد تمت الاصلاحات فيها على مرحلتين : [1].

المرحلة الاولى : عرفت باسم التنظيمات

امتازت بتنظيم أمور الدولة على أسس جديدة في الميادين الإدارية والمالية والقضائية والتعليمية ،بالاقتباس من الأساليب الأوربية الحديثة .

المرحلة الثانية : عرفت باسم المشروطية .

حاولت أن تقيد الحكم المطلق الذي كان يتمتع به الخليفة ،وأن تجعل حكم السلطان مشروطا بمراعاة القيود المقررة في القانون الأساسي وفق نظام دستوري ،وقد قدمت المشروطية على فترتين أعلنت الأولى عام **'1876م'** ،إلا أنها عطلت من طرف السلطان لعدم اقتناعه بنجاعتها ،ثم أعلنت مرة أخرى بعد الثورة الداخلية التي قامت سنة' **1908** م' ضد السلطان واستمرت إلى غاية قيام الحركة الكمالية .[2]

-سقطت الخلافة على يد الحركة الكمالية' **03/ مارس 1924 م** 'بعد أن نفذ إلى مراكز القرار أعداء الإسلام من أبناء الدولة العثمانية الذين تربوا في بيئات غير معتدلة .

والمحصلة أنه لم تستطع حركة الإصلاحات المعتمدة على الأساليب الأوربية الحديثة من إيقاف سقوط الدولة ،ما زاد الطينة بلة هو عدم مراعاة كينونة الدولة الاسلامية ،وأنها تختلف في مصادرها وأسسها ومناهجها عن الدول الغربية .

[1] -عبد العزيز نوار : تاريخ الشعوب الاسلامية في العصر الحديث ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 1998م - ص 90/86.
[2]- ساطع الحصري : البلاد العربية والدولة العثمانية ، دار العلم للملايين ، ط2 ، بيروت ، دت، ص 74 / 75 .

2/1 : الحالة العامة لعصر النورسي

سنركز في دراستنا على المرحلة الأخيرة من حياة الدولة قبل سقوطها ،وهذا بغية فهم مقصد الخطاب **'النورسي'** ،كي نضع أيدينا على ملابسات السقوط الفكري المتأثر بالفلسفات الغربية البعيد عن نور القرآن ،ومن هنا نستطيع فهم المشاريع الإصلاحية التي قدمها **'النورسي'** في رسائله غير مفصولة عن الإطار الواقعي .

لقد عايش **'سعيد النورسي'** زمن الخلافة ؛أي الحقبة التي تولى فيها السلطان "**عبد الحميد الثاني**" الحكم وعاش إلى ما بعد اسقاط الخلافة فعاصر حكم أتاتورك وخليفته من بعده ،حتى عهد "**جلال بايار** " وقد عرفت هذه المرحلة تحولات كبيرة تصب معظمها في شراك النموذج الغربي ،إلا أنه قد برز في هذه الرحلة تيارين تيار (**عبد الحميد الثاني**) الحامل لفكرة الجامعة الاسلامية وإعادة إحياء الجانب العلمي المقاصيدي للخلافة الإسلامية ،وتمثل الجانب الثاني في حركة "**الاتحاديين والكماليين**" .

أتى عبد(**الحميد الثاني**) للحكم بعد اسقاط وعزل (**عبد العزيز الثاني**) و(**مراد الرابع**)على التوالي بسبب الإفلاس والخلل العقلي قام الصدر الأعظم أو (**مدحت باشا**) بالعزل إلا أن المستبصر يجد أن (مدحت باشا)كان معجبا بالنظم الغربية في الحكم. [1]

ظهرت فكرة الجامعة الإسلامية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر كرد فعل على الغزو العسكري والثقافي الغربي للعالم الإسلامي وهي فكرة نادى بها (**جمال الدين الأفغاني**) منذ حجه إلى مكة" **1857**" "ثم تبناها السلطان (**عبد الحميد**) الذي وجد فيها الدعامة والركيزة لمواجهة الافكار الأوروبية . وقد رفع (عبد الحميد الثاني) شعارا "**يا مسلمي العالم اتحدوا** "فجمع الكثير من مشايخ وأعيان المسلمين وأجرى لهم

[1] **-عبد الله التل ، الافعى اليهودية في معاقل الاسلام ، ط2 ، المكتب الاسلامي ، بيروت ،1981 ، ص 78.**

الأرزاق ودعاهم للالتفاف حول خليفتهم بغية التخلص من خطر الدول الغربية ،وقد قام بإنشاء معهد إسلامي لتخريج الدعاة ونشر فكرة الجامعة الاسلامية .

واجه السلطان (**عبد الحميد**) عقبات جمّة تلقى على أسرها ضغوطات كبيرة ،إضافة إلى الفتن التي أثيرت حوله التشويه العلني ،بسبب استفحال المشروع العلماني قد ساوموه على خلافته ببيع فلسطين فأبى وقد عمدوا إلى إثارة الجماهير من حوله إلا أن خلعوه بأيد محلية تمثلت في جمعية "**الاتحاد والترقي** " ونصبوا مكانه أخاه "**محمد رشاد** "الذي كان شيخا هرما غير قادر على إدارة شؤون الحكم،لدى انفرد الاتحاديون بالسلطة .[1]

أهم ما برز وظهر على الساحة "**جمعية الاتحاد والترقي**" ،التي كرست الظلم والتنكر للموروث الحضاري والثقافي للأمة عندما أعلنوا سياسة "**التتريك** "دون الاعتراف بالقوميات الأخرى ، مما أدى إلى ظهور قوميات تطالب بالانفصال بعد إقحام الدولة في الحرب العالمية الأولى وانهزام الدولة العثمانية ،ودخول فرنسا وانجلترا واليونان إلى الأراضي التركية ،سقطت حكومة الاتحاديين وبدأت ملامح الحركة الكمالية التي استهلت العمل بمشروع علمنت الدولة والتنصل من كل ما يمت إلى الدين بصلة.[2]

ظهرت نوايا الحركة الكمالية باسم الحرية العثمانية ،استطاع (**مصطفى كمال**) أن يبرز على الساحة العثمانية ،بعد التقرب من ولي العهد (**وحيد الدين**) قبل توليه منصب الخلافة ،وقد عين على رأس المقاومة والتحرير واستطاع الانتصار على اليونان وإخراجهم من البلاد وهو الحدث الذي رفعه عاليا وظهر بمثابة المنقذ وبهذا اغتنم الفرصة وأسس مجلس جديد للنواب ،استقل به على الحكومة المركزية ،ثم قام بالدعوة إلى عقد المجلس الوطني الكبير الذي من خلاله أعلنت الجمهورية وعين كمال أتاتورك رئيسا لها . في هذه المرحلة قبل بشروط صلح "**لوزان سنة "1923** مع الدول المحتلة لتركيا ،هذا الصلح المعادي لكل من تشتم منه رائحة الإسلام والذي تلخص في الآتي :

---

[1] -ليلى الصباغ مرجع سابق ص 306.

[2] -حنان بنت عبيد : الحركة اللامركزية العثمانية في المشرق العربي، رسالة ماجستير في التاريخ الاسلامي الحديث ، جامعة أم القرى ، السعودية ، 2007 ، ص 56.بتصرف

1-إلغاء الخلافة الإسلامية وطرد الخليفة ،والتعهد بإخماد كل حركة يقوم بها أنصار الخلافة .

2- قطع كل صلة بالإسلام

3-اتخاذ دستور مدني بدل المستمد من الشريعة الاسلامية .

لقد قام **'كمال أتاتورك'** بعد تعيينه منقذا لتركيا بإسقاط الخلافة وسن قوانين هدمت عرى الإسلام عروة عروة ،ومن بين تلك القوانين قانون الخيانة العظمى نكّل من خلاله بكل معارض وطارد بموجبه العلماء وطلبة العلم ومنهم **'بديع الزمان سعيد النورسي'** .

كما قام أيضا بغلق مدارس تعليم القرآن والدين وإلحاق جميع المدارس بوزارة المعارف مع إلغاء وزارة الأوقاف والشؤون الدينية .

*أصدر قانون القيافة الذي بموجبه يرتدي موظفي المساجد الزي الأروربي وتكشّف النساء .

*إلغاء قوانين الشريعة كافة ،وإبدال خطبة الجمعة بالتركية وإخراج كلمة دين الدولة الإسلام وجميع التعابير والإصلاحات الدينية من الدستور ؛وكذا إقرار الحرف اللاتيني بدل العربي ؛كما قام بغلق تسعين مسجدا في استنبول لوحدها ،فرض الآذان بالتركية ،وترجمة القرآن الكريم إلى التركية .

*تحويل مسجد آيا صوفيا إلى متحف وكذا تدريس الإلحاد في المعاهد والقرى .[1]

- بعد موت' **كمال أتاتورك'** خلفه "**عصمت أينونو**" الذي استمر على سياسة أتاتورك ،إلا أن الحكومة التركية اضطرت بعد الحرب العالمية الثانية إلى تبديل وجهة نظرها تجاه التضييق على الإسلام ،وقد وضعت الأحزاب السياسية في حسابها ميول الشعب إلى التدين مما أدى إلى نوع من الانفراج مباشرة بعد نشأة المعارضة السياسية ،حتى أن الحزب الديمقراطي تبنى فكرة أن المجتمع التركي مجتمع إسلامي واستطاع الفوز على حزب الشعب ،الذي أسسه **'أتاتورك'** ، ولما تسلم "**عدنان منديراس**" الحكم كان رئيسا للوزراء أعاد حرية الرأي

[1]- النعيمي أحمد نوري ، الحركات الاسلامية في تركيا حاضرها ومستقبلها ، دراسة حول الصراع بين الدين والدولة في تركيا ، دار البشير ، عمان ، 1992 ، ص 18.

والتدين وأرجع الآذان باللغة العربية ؛كما سمح بتعليم اللغة العربية وتدريس القرآن في جميع المدارس وقام بسحب سفير تركيا من اسرائيل ،في ظل هذا الانفراج تحركت يد التغريب في تركيا وقام الجنرال "**جمال جورسيل**" بانقلاب وأعدم (**مندراس**)حينها .[1] وهنا نتسائل : كيف كانت خطابات **'سعيد النورسي '**في مثل هذه الظروف السياسية والاجتماعية التي يتغشاها العداء على كل ما هو إسلامي ؟ وما هي المقصديات التي حملتها خطاباته ؟ وماهي اللغة التي استعملها في مثل هذه السياقات وفي ظل هذا الواقع الاجتماعي ؟

3/1/الثقافة المهيمنة :

يعرف هذا العصر من الناحية الثقافية بعصر الإعجاب بالآخر ،اقتصر الإعجاب في بداية أيامه على الميدان السياسي ثم انتقل إلى الميدان الثقافي ،في هذه المرحلة هناك من نادى باسترداد الحرية من السلطان (**عبد الحميد**)فنظر إليها **'النورسي'** بأنها تحويل استبداد ضعيف وضئيل إلى استبداد شديد وقوي.[2]

بعد أن ألحقت كل نقيصة بالنظام السياسي العثماني ألحقت كل نقيصة ثقافية بالثقافة الإسلامية ،فوصفت بالجمود والانحطاط والانغلاق وغيرها من الأوصاف .

سرى هذا الداء إلى الأواسط العلمية الإسلامية فقال أحدهم بعدم دينية الفقه ،وقال آخر بعدم جدوى الاستدلال على وجود الله تعالى بالأدلة العقلية ،ومال ثالث إلى القول بجواز التعبد بالقرآن المترجم ،وذهب رابع إلى عدم الاعتداد بالدليل النقلي ،لأنه ظني حسب تقديره ،وسجل خامس أن القرآن الكريم متشابه في مجموعه ،يفهم هذا المعنى من قوله هل يتفق وحكم العقل بأن جهنم التي بلغ حجوم شررها القصور الشامخة يستطيع من يلقى فيها أن يحيا ويأكل ويشرب ويجادل ويطلب الخلاص ".[3]

---

[1]- مراد قمومية : منهج بديع الزمان سعيد النورسي في بيان اعجاز القرآن الكريم ، مرجع سابق ، ص 22

[2] -النورسي ، صيقل الاسلام ، ترجمة قاسم الصالحي ،دار سوزلر ، القاهرة ، مصر ، 1995.ص 442.

[3] -أنظر عمار جيدل ، شيخ علماء الإسلام محمد زاهد الكوثري ، كلية العلوم الإسلامية ، جامعة الجزائر .

وراح سادس يردد قول المستشرقين بأن دولة الرسول محمد عليه الصلاة والسلام كانت سلطة زمنية وليست سلطة دينية ،مما يوحي أن الإسلام لا صلة له بالسياسة .[1]

4/1/-السمة العامة لهذا العصر :

يتجلى مما سلف تقريره أن العصر المشار إليه أعلاه متسم بمجموعة من السمات ،اختلف في ترتيبها من حيث الأولوية ،مما أثر في تحديد طبيعة الأزمة من جهة ،وتصور المشروع البديل من جهة أخرى .

قبل البيان الإجمالي لتلك المشاريع يحسن بنا بيان طبيعة الأزمة وسماتها ،وهذا ما أشرنا إليه في الحالة السياسية والثقافية

1-الميزة الأولى :

يعتبر هذا العصر عصر محاولة نفي وإقصاء الخطاب الإسلامي في شقه السياسي لهذا حورب كل مظهر من مظاهر العودة إلى الخلافة ،أو ما يقرب منها ،حتى بلغ الحد ببعض عتاة العلمانيين أن منعوا التزين بزي العلماء (كالجبة والطاقية ...) ،كل ذلك خشية عودة الناس إلى الفكرة بتذكر الشكل المعبر عنها .

2-الميزة الثانية :

منع تداول العلوم الاسلامية تعلّما وتعليما حتى عدّ تعليمها في بعض الأواسط خيانة عظمى للدولة وقد اتخذت لتحقيق هذه المقاصد أساليب شتى منها :

-التشكيك في المشتغلين بالعلوم الشرعية قصد صرف الناس عنهم ، وكذا تحسس المشتغلين بالثقافة الدينية بالغربة داخل المجتمع وتهميشهم .

-أصبح همّهم إبعاد المسلمين عن القرآن الكريم .

[1] **-عمار جيدل : النورسي واثبات الحقائق الايمانية ، ط1 شركة نسل للنشر والطبع والتوزيع ، أسطمبول ، تركيا ، 2001 ، ص 43.**

اقتضى هذا الجو السياسي والثقافي اتخاذ مواقف صريحة مما يجري في بلاد المسلمين ،و قد وضعت خطط للإصلاح منسجمة مع تصورهم لطبيعة الأزمة ،وبهذا الصدد ظهرت عدة تصورات منها :

– تأسيس مؤسسات علمية إسلامية عالمية تتولى تكوين جحافل المتدينين الصادقين .

–أهم داء أصاب المسلمين في العصر الحديث التطاول على علماء الأمة المتقدمين ،والثورة على المذاهب التي تلقتها الأمة بالقبول منذ زمن بعيد .ولهذا وجب الرجوع إلى ثقافة المتقدمين.[1]

ما نأخذه من اعتبار اتجاه الظروف الاجتماعية والسياسية هو أن التداولية تعنى بالنص الخطابي ضمن سياقه ،وهو يؤدي دوره التواصلي ،جامعا بين قطبي العملية التواصلية المبدع والمتلقي. إن التفاعل بين المرسل والمرسل إليه ينتج إثر استعمال اللغة في سياق معين ،ويتجسد من خلال ما يلي: [2]

_ معتقدات المتكلم ومقاصده وشخصيته وتكوينه الثقافي ومن يشارك في تفعيل الحدث اللغوي.

_ الوقائع الخارجية(الظروف الزمكانية، والظواهر الاجتماعية المرتبطة باللغة).

_ المعرفة المشتركة بين المتخاطبين وأثر النص الكلامي فيهم.

الخلاصة من أخذنا لنظرة شاملة عن المجتمع الذي عاش فيه **النورسي** ،كون أن اللغة لها وظائف أخرى كما حدد (**مالينوفسكي**) [3]وقد اهتم محللو الخطاب بجميع الجوانب المتعلقة بإنشاء الخطاب، والسياق واحد من العناصر الأساسية

المساهمة في تكوينه وكذا في فهم وتأويل المقصد الذي يحويه، إذ تعد نظرية السياق منهجا لدراسة المعنى لما

[1] ـعمار جيدل : النورسي واثبات الحقائق الايمانية ، مرجع سابق ص 47.
[2] ـعبد الحميد السيد ،دراسات في اللسانيات العربية (بنية الجملة العربيةالتراكيب النحوية والتداولية علم النحو وعلم المعاني): ، دار الحامد، ط1 ، 2004 ، ص 119.
[3] Jean Dubois et autre : dictionnaire de linguistique Laibrairie La roisse , Paris 1973p120

تميزت به من اهتمام بالعناصر اللغوية والاجتماعية ، ويذهب "**براون Brown ويول** "إلى أن محلل الخطاب ينبغي أن يأخذ بعين الاعتبار السياق الذي ورد فيه مقطع ما من الخطاب [1]

فالسياق أصبح يهتم بكل ماله صلة بالمتكلم والمتلقي والظروف المحيطة بهما أثناء قيامهما بعملية التواصل فهو" **مجموعة الظروف التي تحف حدوث فعل التلفظ بموقف الكلام**" [2]

يتضح أن المعنى لا يتحدد ولا يستقيم للمحلل إلا من خلال تنسيق الخطاب ،والتنسيق كما يعرف عند التداوليين "**ربط الملفوظات بسياقها النصي واللساني**" فالكلمة ليس لها معنى محدد ولا الجملة كذلك ،لكن تتعدد معانيها الكامنة بتعدد استخدامنا لها في الحياة اليومية ،وتتعدد معاني الجملة الواحدة حسب السياق الذي تذكر فيه .[3]

وقد حدد "**طه عبد الرحمان**" عناصر السياق في الآتي :

- **أولا** : العنصر الذاتي ويشمل معتقدات المتكلم ،مقاصده ،اهتماماته ورغباته .
- **ثانيا** : العنصر الموضوعي :ويشمل كل الوقائع الخارجية (الظروف الزمانية والمكانية)

ثالثا :العنصر الذواتي : ويشمل المعرفة المشتركة بين المخاطبين ،أو ما يسمى بالأرضية المشتركة وهي معرفة معقدة التركيب.[4]

ثانيا /جوانب من حياة بديع الزمان سعيد النورسي

1/ اسمه ومولده :

هو بديع الزمان سعيد بن ميرزا بن علي خضر بن ميرزا خالد بن ميرزا رشان من عشيرة **إسباريت** . ولد **'سعيد النورسي'** سنة **1293هـ "1876"**م في قرية "**نورس**"[5] التابعة لولاية "**بتليس**" شرقي الأناضول من

---

[1] **بشير ابرير : في تعليمية الخطاب العلمي ، مجلة التواصل ، جامعة باجي مختار ، عنابة ، العدد 08 ، جوان 2001 ، 1 ص77**

[2] **Oswald Ducrt.JeanMaies Cheffer :Nouveau dictionnaire encyclopedique . des science du langage Edition du seul ;1995.p764.**

[3] **فان ديك : النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي : تر عبد القادر قنيني ، إفريقيا الشرق ، بيروت ، ص258.**

[4] **– طه عبد الرحمان : البحث في اللساني والسيمائي ، الدلاليات والتداوليات (أشكال وحدود) ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط ، جامعة محمد الخامس ، المغرب ، ط1 ، 1405هـ/1995 ، ص302**

[5] **بلدية هيزان شرق تركيا**

أبوين صالحين عرف عنهما التدين والالتزام أما والده فاسمه "**ميرزا**" . وأما والدته فاسمها "**نورية بنت ملا طاهر**" من قرية "**بلكان**" عشيرة "**خاكيف**" [1]. لقب "**بالنورسي**" نسبة إلى قرية "**نورس**" مسقط رأسه وسماه "**بديع الزمان**" أستاذه "**الملا فتح الله** "بعد أن وجده آية في الذكاء والحفظ .[2]

2/نشأته :

نشأ الإمام **'النورسي'** في أسرة فقيرة عفيفة تضم سبعة من الأخوة والأخوات وكانت البيئة الخارجية التي نشأ فيها يخيم عليها الجهل ،أما بيئته الداخلية فقد عرف عنها الصلاح والالتزام والتدين مما كان له أكبر الأثر في صقل شخصيته الدينية وخصوصا إذا عرفنا أن والده "**ميرزا** "لم يذق الحرام قط وفي هذا قد جاء في سيرة **'النورسي'** عن والده :"**كان يضرب به المثل فلم يذق حراما ، ولم يطعم أولاده من غير الحلال**" [3]

هذا عن والده أما عن والدته فيعرف حالها من خلال إجابتها عن السؤال الذي قد طرح عليها فسئلت ذات يوم : " **ما طريقتك في تربية أولادك حتى حازوا هذا الذكاء النادر ؟ فأجابت : لم أفارق صلاة التهجد طوال حياتي ،إلا الأيام المعذورة شرعا ، ولم أرضع أولادي إلا على طهر وضوء** ". ويقول النورسي عن نفسه " **أقسم بالله إن أرسخ درس أخذته وكان يتجدد علي ، إنما هو تلقينات والدتي ودروسها المعنوية حتى استقرت في أعماق فطرتي وأصبحت كالبذور في جسدي في غضون عمري الذي يناهز الثمانين** " [4]

ويمكن أن نحدد أبرز الملامح للأسرة التي نشأ فيها النورسي .

---

[1] -النورسي ، سيرة ذاتية : تر ، قاسم الصالحي ، شركة سولر للنشر ، القاهرة ن مصر ، ط4 ، 2004 ، ص 35 . وينظر أيضا إلى محمد زاهد الملا كردي ، عجالة مقتطفة ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ص 48-49.

[2] -سعيد النورسي : سيرته الذاتية ، مرجع سابق ، ص 65.

[3] -الفكر العقدي عند الإمام سعيد النورسي ، رائد سعيد أحمد بني عبد الرحمان ، دار المسيرة ، عمان ، ط1 ، الأردن ، 2006/1426 ، ص 38 ، وكذلك ينظر إلى حسان قاسم الصالحي ، بديع الزمان سعيد النورسي ، ص 19.

[4] -سعيد النورسي : سيرته الذاتية ، مرجع سابق، ص 43.

1-الالتزام والتدين والورع ،الذي كان موجودا عند والديه .

2-الفقر الذي كان مخيما على الأسرة .

3-الذكاء والنبوغ الذي كان عند أخوة 'النورسي' ،يدل على ذلك عندما سئلت والدته عن سبب ذكاء أولادها

4-الاهتمام بالعلم من قبل والده حيث كانت أسرته مهتمة بالعلم اهتمام كبيرا ، والذي يدل على ذلك اجتماع علماء القرية عند والده والبحث في مسائل متنوعة .[1]

سلك **'النورسي'** مسلك أخيه الأكبر **"الملا عبدالله"** في توجهه إلى طلب العلم فشرع في تلقي علومه الأولى في قرية (**طاغ سنة 1882**) ، [2]واقتصرت دراسته في هذه الفترة على الصرف والنحو الذين أخدهما من حلقة في قرية" **بايزيد**" وقد قرأ كتاب "**الإظهار للبركوي** " [3] ثم اتصل بالشيخ **"محمد الجلالي"** الذي أتم على يده قراءة جميع الكتب المقررة على الطلبة في شرق الأناضول ،وذلك في ثلاثة أشهر وقد حصل على إجازة منه ،فقد قرأ في تلك المرحلة "جمع الجوامع" وحفظه في أسبوع واحد و"**شرح المواقف للإيجي**" و"**تحفة المحتاج لابن حجر**" وقد انقطع حينها عن المجتمع فقد أشغلته القراءة[4] .

بدأ يتنقل في القرى والمدن بين الأساتذة والمدارس ويتلقى العلوم الإسلامية من كتبها المعتبرة بشغف عظيم ،يرفده ذكاؤه الذي اعترف به أساتذته جميعهم بعد امتحانات صعبة ،كان يجريها له كل منهم ،واجتمع له مع الذكاء قوة الحافظة .

---

[1] -المرجع نفسه ، ص 39.

[2] جمال الدين فالح الكيلاني وآخرون : بديع الزمان سعيد النورسي قراءة جديدة في فكره المستنير ، دار الزنبقة ، ط1 ، القاهرة ، 2014 ، ص 12. وينظر إلى عمار جيدل ، بديع الزمان سعيد النورسي ، وإثبات الحقائق الإيمانية (المنهج والتطبيق) شركة نسل للنشر والطبع والتوزيع ، أسطمبول ، تركيا ، 2001 ، ص 50.

[3] زين الدين محمد بن بير البركوي الرومي الحنفي (ت981) إظهار الأسرار في النحو ، عني به : أنور بن ابي بكر الشيخي الداغستاني ، دار المنهاج ، بيروت لبنان ، ط1 ، 2009.

[4]- سعيد النورسي : السيرة الذاتية ، مرجع سابق، ص 44/43. وينظر ايضا ، إحسان قاسم الصالحي ، الرجل ، والإعصار ، سيرة ذاتية لبديع الزمان النورسي ، مطبعة النجاح الدار البيضاء ، المغرب ، ط1 ، 2008 ، ص 8-9.

لم تلبث شهرة هذا الشاب أن انتشرت بعد أن فاق في مناقشاته علماء منطقته جميعاً ،فسمّوه ''**سعيد المشهور**''. ثم ذهب إلى مدينة ''**تِللو**'' حيث اعتكف مدة في إحدى الزوايا ،وحفظ هناك " **القاموس المحيط للفيروز أبادي إلى باب السين**".[1]

كان ميل النورسي إلى طلب العلم قويا منذ نشأته الأولى ،وأصبح هذا الميل أكثر قوة عندما رأى في منامه رؤيا تحثه على الاستزادة في طلب العلم ، وظلت راسخة في ذاكرته إلى آخر حياته .[2]

قد بلغ ما يحفظ من الكتب أكثر من تسعين كتابا من أمهات الكتب ،أمثال كتب التفسير وعلوم النحو واللغة وكتب الأصول ككتاب **'**مرقاة الأصول إلى علم الأصول**'** " **لمحمد بن فرا مروز الخسروي**" وكتاب "**مطالع الأنوار في المنطق** " للقاضي **'سراج الدين الأرموي'**.[3]

في سنة**' 1892'**م ذهب ''**الملا سعيد**'' إلى ''**ماردين**'' حيث بدأ يلقي دروسه في جامع المدينة ويجيب عن أسئلة الناس، فوشي به إلى الوالي فأصدر أمراً بإخراجه[4]، وسيق إلى ''**بتليس**''. فلما عرف واليها حقيقة هذا الشاب العالم ألح عليه أن يقيم معه ،وهناك وجد الفرصة سانحة لمطالعة الكتب العلمية .

بعد ما أمضى يومين من الجلوس إلى حلقة "**أمين أفندي**" في "**بتلس**" وجد الشيخ "**أمين**" أن التلميذ بما أحاطه من علم أهل للمشيخة فطلب منه ارتداء زي العلماء " **الجبة** " ولكن **'بديع الزمان سعيد النورسي'** ردّ

[1] سعيد النورسي : سيرة ذاتية ، المرجع السابق ، ص 54.
[2]- جمال الدين فالح الكيلاني وآخرون ،مرجع سابق ، ص 13.
[3] النورسي : سيرة ذاتية ، ص 60 ، وينظر أيضا إلى النورسي وجوه إعجاز البيان من خلال أم القرءان ، تح ، احسان قاسم الصالحي ، تق ، عشراتي سليمان دار النعمان للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر ط1 ، مارس 2010 ، ص 55.
[4] -عمار قرفي ، بديع لزمان النورسي ، حياته ، دعوته ، جهاده ، دار الشهاب للطباعة ، ط1 ، 1984 ، الجزائر ، ص 22

عليه " **أنني لم أبلغ الحلم ، فلا أجدني لائقا بلبس لباس العلماء ،وكيف أكون عالما وأنا ما زلت صبيا** "[1]

وفي سنة' **1894**م 'ذهب إلى مدينة ''**وان**'' وانكبّ فيها بعمق على دراسة كتب الرياضيات والفلك والكيمياء والفيزياء والجيولوجيا والفلسفة والتاريخ حتى تعمق فيها إلى درجة التأليف في بعضها فسمّي بـ''**بديع الزمان**" اعترافاً من أهل العلم بذكائه الحاد وعلمه الغزير واطلاعه الواسع[2].

تُعد هذه المرحلة حسب تسمية 'حسن الأمراني 'مرحلة التنور ،بعد مرحلة سابقة هي "مرحلة تكوين الذات" .[3]

في هذه الأثناء نُشر في الصحف المحلية أن وزير المستعمرات البريطاني ''**غلادستون**'' قد صرّح في مجلس العموم البريطاني وهو يخاطب النواب قائلاً: ''**ما دام القرآن بيد المسلمين فلن نستطيع أن نحكمهم، لذلك فلا مناص لنا من أن نزيله من الوجود أو نقطع صلة المسلمين به**''... زلزل هذا الخبر كيانه وأقضّ مضجعه، فأعلن لمن حوله:"**لأبرهنن للعالم بأن القرآن شمس معنوية لا يخبو سناها ولا يمكن إطفاء نورها..**"

فشدّ الرحال إلى استانبول عام "**1907**" وقدّم مشروعاً إلى السلطان "**عبد الحميد الثاني**" لإنشاء جامعة إسلامية في شرقي الأناضول، أطلق عليها اسم ''**مدرسة الزهراء**'' – على غرار الأزهر الشريف – تنهض بمهمة نشر حقائق الإسلام وتدمج فيها الدراسة الدينية مع العلوم الكونية ،في ضوء مقولته المشهورة:

---

[1] **-سعيد النورسي ، السيرة الذاتية ، مرجع سابق ، ص 46.**

[2] **- محسن عبد الحميد ، النورسي رائد الفكر الفكر الاسلامي الحديث في تركيا ، مجلة الأمة ، ع:19 ، س 2 ، 1982 ، ص 48 . وينظر أيضا إلى عمار قرفي ، بديع لزمان النورسي ، حياته ، دعوته ، جهاده ، مرجع سابق ، ص 22**

[3] **حسن الآمراني ، النورسي أديب الإنسانية ، دار النيل للطباعة والنشر ، القاهرة ، مصر ، ط1 ، 2005 ، ص 34.35.**

‘‘ضياء القلب هو العلوم الدينية، ونور العقل هو العلوم الكونية الحديثة وبامتزاجهما تتجلى الحقيقة، وبافتراقهما تتولد الحيل والشبهات في هذا، والتعصب الذميم في ذاك.”

كانت شهرته العلمية قد سبقته إلى هناك ،فتجمع حوله الطلبة والعلماء يسألونه وهو يجيب في كل فن بغزارة نادرة. فاعترف له الجميع بالإمامة وبأنهم لم يشاهدوا في علمه وفضله أحداً ،حتى أن أحدهم عبّر عن إعجابه الشديد بعد أن اختبره اختباراً دقيقاً قال: “**إن علمه ليس كسبياً وإنما هو هبة إلهية وعلمٌ لدنيّ.**”

في سنة ' **1911'م** ذهب إلى بلاد الشام وألقى خطبة بليغة من على منبر الجامع الأموي دعا فيها المسلمين إلى اليقظة والنهوض وبيّن فيها أمراض الأمة الاسلامية وسبُل علاجها ،ثم رجع إلى إستانبول وعرض مشروعه بخصوص الجامعة الإسلامية على السلطان ‘‘**رشاد**’’ فوعده السلطان خيراً ،وفعلاً خُصّص المبلغ وشرع بوضع الحجر الأساس للجامعة على ضفاف "**بحيرة وان**" غير أن الحرب العالمية الأولى حالت دون إكمال المشروع[1].

على الرغم من معارضة **'سعيد النورسي'** لدخول الدولة العثمانية الحرب ،فإنه حالما أُعلنتْ اشترك هو وطلابه في الحرب ضد روسيا القيصرية المهاجمة من جهة **'القفقاس'** ،وعندما دخل الجيش الروسي مدينة ‘‘**بتليس**’’ كان **'بديع الزمان'** يدافع مع طلابه عن المدينة دفاعاً مستميتا حتى جرح جرحا بليغا وأسر من قبل الروس وسيق إلى معتقلات الأسرى في "**سيبريا**". في الأسر استمر على إلقاء دروسه الإيمانية على الضباط الذين كانوا معه والبالغ عددهم ‘‘90’’ ضابطاً ثم هرب من الأسر بأعجوبة نادرة وبعناية ربانية واضحة. ومرّ في طريقه" بوارسو فألمانيا وفينا.. وعندما وصل إلى استانبول مُنح وسام الحرب واستقبل استقبالاً رائعاً من قبل الخليفة وشيخ الاسلام والقائد العام وطلبة العلوم الشرعية. وكلّفته الدولة بتسلم بعض الوظائف ،رفض جميعها

[1] **-عمار قرفي ، بديع لزمان النورسي ، حياته ، دعوته ، جهاده ، مرجع سابق ، ص 37**

إلا ماعينته له القيادة العسكرية من عضوية في ''**دار الحكمة الاسلامية**'' التي كانت لا توجّه إلا لكبّار العلماء ،فنشر في هذه الفترة أغلب مؤلفاته باللغة العربية منها: تفسيره القيم ''**إشارات الاعجاز في مظان الايجاز**'' الذي ألفّه في خِضَمّ المعارك. و''**المثنوي العربي النوري**'' الذي يعد مدونتنا في هذا البحث .[1]

بعد دخول الغزاة إلى استانبول أحسّ **'النورسي'** أن طعنة كبيرة وجّهت إلى العالم الإسلامي ،ولذلك شمّر عن ساعد الجد، فبدأ بتأليف كتابه ''**الخطوات الست**'' هاجم فيه الغزاة بشدة وأزال دواعي اليأس الذي خيّم على كثير من الناس. ولشهرته الواسعة وجهاده المتواصل دُعي إلى أنقرة عدة مرات، فتوجّه إليها سنة" **1922**م"، حيث استقبل في محطة القطار بحفاوة من قبل أركان الدولة. ولكن سرعان ما خاب ظنه بمن دعوه، إذ وجد أن معظمهم لا يؤدون الفرائض الدينية ،فتوجّه إلى المجلس النيابي ''**مجلس المبعوثان**'' وألقى خطاباً مؤثراً استهلّه بـ : "أيها المبعوثون إنكم لمبعثون ليوم عظيم". وهناك عرض أيضاً مشروع إنشاء الجامعة الاسلامية فلقي القبول ،إلاّ ان ظروفاً سياسية حالت دون إكمال المشروع.

في سنة' **1923 م** ' توجّه بديع الزمان إلى مدينة "**وان**" واعتزل الناس في جبل "**أرَك**" القريب من المدينة طوال سنتين متعبداً ومتأملاً. ورغم ذلك لم ينجُ من شرارة الفتن والاضطرابات فنفي مع الكثيرين إلى ''**بوردور**'' جنوب غربي الأناضول. ثم نفي وحده إلى ناحية نائية وهي "**بارلا**" ووصل إليها في شتاء سنة ' 1926 م'. فظن أعداء الإيمان أن سيقضى عليه هنا في "**بارلا**" ويخمد ذكره ويطويه النسيان ويجف هذا النبع الفياض[2].

لكن الله سبحانه وتعالى لطيف بعباده ،فرعاه بفضله وكرمه ،حتى غدت ''**بارلا**'' مصدر إشعاع عظيم لنور القرآن ،إذ ألّف **'النورسي'** هناك معظم ''**رسائل النور**". وتسربت هذه الرسائل عن طريق الاستنساخ اليدوي وانتشرت من أقصى تركيا إلى أقصاها ،إذ ما كان **'النورسي'** يُساق من منفى إلى آخر ،ويُزج في السجون

[1] http://www.resailinnur.com/akademi.htm 10-10-2016.

[2] **أحمد علي سليمان : فلسفة الإصلاح التربوي عند الإمام النورسي ، الملتقى الدولي حول الفكر الإصلاحي عند الإمامين عبد الحميد بن باديس والنورسي ، جامعة الأمير عبد القادر الإسلامية ، الجزائر ، 16-17 أبريل 2013.**

والمعتقلات في عديد من ولايات تركيا طوال ربع قرن من الزمن ،إلاّ ويقيض الله من يستنسخ هذه الرسائل وينشر هذا الفيض الإيماني ،حتى أيقظت روح الإيمان الراكدة لدى أهل الإسلام وأرستها على دعائم علمية ومنطقية في غاية البلاغة بحيث يفهمه العوام ويتزود منه الخواص.

هكذا استمر **'النورسي'** على تأليف رسائل النور حتى سنة **' 1950'** فأصبحت في أكثر من **"130"** رسالة، جُمعت تحت عنوان **"كليات رسائل النور"** التي تضم أربع مجموعات أساسية هي: "الكلمات ، المكتوبات، اللمعات، الشعاعات... وغيرها من المجموعات التي لم يتيسر لها أن ترى طريقها إلى المطابع إلاّ بعد سنة **' 1954**م '. وكان **'النورسي'** يشرف بنفسه على الطبع حتى كمل طبع الرسائل جميعها[1].

ونورد النص الآتي لنرى جانباً من أسلوب رسائل النور المتميز ،عن الأساليب المتبعة الأخرى في عرض مفاهيم الإسلام وترسيخ أركان الايمان.

.."حقاً إن معرفة الله المستنبطة بدلائل "علم الكلام" ليست هي المعرفة الكاملة، ولا تورث الاطمئنان القلبي، في حين أن تلك المعرفة متى ما كانت على نهج القرآن الكريم المعجز، فإنها تصبح معرفة تامة وتسكب الاطمئنان الكامل في القلب. نسأل الله العلي القدير أن يجعل كل جزء من أجزاء رسائل النور بمثابة مصباح يضيء السبيل القويم النوراني للقرآن الكريم...

كما أن معرفة الله الناشئة من علم الكلام تبدو ناقصة وقاصرة... فإن المعرفة الناتجة عن طريق التصوف أيضاً ناقصة ومبتورة بالنسبة نفسها أمام المعرفة المستسقاة من القرآن الكريم مباشرة من قبل "ورثة الأنبياء". ولقد شبهنا في "كلمات" أخرى من رسائل النور لبيان الفروق بين الذين يستلهمون نهجهم من القرآن الكريم والذين يسلكون نهج علماء الكلام بمثال:

[1] -المرجع السابق ،دص. .

" إنه لأجل الحصول على الماء هناك من يأتي به بوساطة أنابيب من مكان بعيد يحفره في أسفل الجبل، وآخرون يجدون الماء أينما حفروا، ويفجرونه أينما كانوا. فالأول يسير في طريق وعر وطويل والماء معرض فيه للانقطاع والشحة... وهذا هو مسلك علماء الكلام، إذ يثبتون واجب الوجود باستحالة الدور والتسلسل غير المتناهي للأسباب."

" أما منهاج القرآن الحكيم فهو يجد الماء ويفجّره في كل مكان وبيسر كامل، فكل آية من آياته الجليلة تفجّر الماء أينما ضربت – كعصا موسى – وتستقرئ:

وفي كل شيء له آية تدل على انه واحد"

"...ثم إن الإيمان لا يحصل بالعلم فحسب، إذ أن هناك لطائف كثيرة للإنسان لها حظها من الايمان، فكما أن الأكل إذا ما دخل المعدة ينقسم ويتوزع إلى مختلف العروق حسب كل عضو من الأعضاء، كذلك المسائل الايمانية الآتية عن طريق العلم، إذا ما دخلت معدة العقل والفهم، فإن كل لطيفة من لطائف الجسم – كالروح والقلب والسر والنفس وأمثالها – تأخذ حصتها منها، وتمصّها حسب درجتها. فإن كانت فاقدةً غذاءَ لطيفةٍ من اللطائف فالمعرفة إذاً ناقصة مبتورة... وتظل تلك اللطيفة محرومة منها"[1]

ما تجدر الإشارة إليه أو ما نعتبره كخلاصة لهذا العنصر هو أن **'سعيد النورسي'** أخذ مسميات عديدة حسب الفترة التي مرة عليها وانتقل منها فمن **'سعيد القديم'** إلى **'سعيد الجديد'** ، فبعد انزوائه لفترة معتزلا الناس ولد لديه ثورة روحية غريبة تمخض عنها مولد **'سعيد الجديد'**. [2] ففي هذه المرحلة بلغت قناعته أن

[1] النورسي : المسألة الثانية من المبحث الرابع من المكتوب السادس والعشرين من كتاب المكتوبات .
[2] النورسي سيرة ذاتية ،مرجع سابق ، ص 134-135.

القرءان هو الأستاذ الأوحد والقبلة الصادقة والمرشد الأسمى .[1] هذه النقلة التي جمع فيها بين العقل والقلب بدأت من سنة' 1922م'. وقد كان يطلق على نفسه **'سعيد القديم'** قبل تأليفه لرسائل النور ثم مرحلة **'سعيد الجديد'** وهي التي تغطي سنوات' **1926م**' إلى غاية' **1949م** 'إذ طلّق السياسة بقولته الشهيرة "**أعوذ بالله من الشيطان ومن السياسة** " وتولى إنقاد الإيمان وتثبته في القلوب والعقول ، ثم تأتي مرحلة أخيرة وهي مرحلة "**سعيد الثالث**" وهي تسمية أطلقها على نفسه بعد ما خرج من سجن مدينة "**أفيون** " وتغطي العشر سنوات الأخيرة من حياته وهي فترة تولي الحزب الديمقراطي الحكم سنة' **1950 م** '، كان أن دعم الديمقراطيين ولم يدخل السياسة بل اكتفى بالنصح لهم هذا لتعاطفهم مع الإسلام.[2]

لبّى نداء ربه الكريم في الخامس والعشرين من رمضان المبارك سنة **1379هـ** الموافق 23 آذار **1960** . تغمده الله برحمته الواسعة وأسكنه فسيح جناته.[3]

ثالثا /المدونة :

لعل أول شيء نبدأ به في هذا العنصر هو ذلك التحول الذي طرأ على بديع الزما سعيد النورسي منذ إقامته في مدينة "**وان** " بدء من سنة' **1897م**' حيث استوعب **'بديع الزمان'** ما مفاده أن خدمة الدين الإسلامي في تلك الفترة الحرجة لا ينفعها الأسلوب القديم ،الذي أصبح قاصرا لوحده عن مجابهة التطورات الحاصلة ،فاقتنع نظرا وعملا بوجوب استحصال العلوم الحديثة من مظّانها ،وفي فترة وجيزة حفظ **'بديع الزمان'** الكثير من العلوم دون مرشد سوى انكفاؤه على حفظها وقراءتها ،من هنا ابتدع طريقة جديدة في التدريس تتأسس على تقديم حقائق دينية ممزوجة بالعلوم الحديثة بأسلوب قريب لمدارك ذلك العصر .[4]

---

[1] شكران واحدة : الإسلام في تركيا الحديثة ، بديع الزمان النورسي ، تر محمد فاضل ، 2007 ، ص 252.
[2] على القاضي : ماذا تعرف عن بديع الزمان سعيد النورسي ،دار الهداية للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة مصر ، ط1 ، 2001 ، ص 7. ص 16.
[3] -http://www.iikv.org/ar و عمار قرفي ، بديع لزمان النورسي ، حياته ، دعوته ، جهاده ، دار الشهاب للطباعة ، ط1 ، 1984 ، الجزائر ، ص 24
[4] محسن عبد الحميد ، النورسي رائد الفكر الاسلامي الحديث في تركيا ، مجلة الأمة ، ع:19 ، س 2 ، 1982 ، ص 48

توفي **'النورسي'** مخلفا تراثا علميا مهما يزيد على ثلاثين ومائة رسالة ، هي أساس فكره ودعوته ، سماها جميعا رسائل النور .

وهذه الرسائل تتوزع على أربع مجموعات رئيسية عمدتها المجموعة الأولى المسماة **'بالكلمات'** ، إذ منها تنبثق المجموعة الثانية **'المكتوبات'** ، التي بدورها تتشعب عنها المجموعة الثالثة **'اللمعات'** ، ثم المجموعة الرابعة **'الشعاعات'** وهي متفرعة عن سابقتها .

وألف **' النورسي'** بالإضافة إلى هذه المجموعات الأربعة الرئيسية رسائل أخرى مستقلة منها : " المدخل إلى النور " و " مفتاح لعالم النور " وهي آخر رسالة كتبت و"المحاكمات" و " ترجمة حياة " و " سنوحات " و " مناظرات " و " ديوان حربي عرفي "

الملاحظ أن الرسائل تختلف اختلافا كبيرا من حيث الحجم فهناك رسائل هي بضع صفحات فقط ، وهناك كتاب كامل يعد رسالة واحدة .[1]

وما يهمنا هو المجموعة الثالثة "**اللمعات**" ويشتمل هذا الكتاب على ثلاث وثلاثين رسالة أو **'لمعة'** ويعد من أهم الكتب في سلسلة رسائل النور وتتركز اللمعة الثلاثة والثلاثون على "**المثنوي العربي النوري** "، ألفه **'النورسي'** باللغة العربية عام 1922 م ،في مرحلة التحول النفسي والتي انتقل خلالها من "**سعيد القديم**" إلى "**سعيد الجديد**" يقول نفسه عن ذلك : " **فبادر إلى ضمد جراحات قلبه وروحه ، وخلص نفسه من الوساوس و الأوهام ، وبخلاصه منها انقلب سعيد القديم إلى سعيد الجديد فألف بالعربية ما هو بحكم المثنوي الشريف –الذي هو أصلا بالفارسية – رسائل عدة في أوجز العبارات** " [2]

يقول **'قاسم الصالحي'** في مقدمته إن فعل هذه الرسائل في القلب والعقل والروح والنفس يشبه فعل المثنوي "**لجلال الدين الرومي**" المشهور والمتداول بين أوساط الناس ولا سيما في تركيا ،وأن عمله في تجديد

[1] **-جمال الدين فالح الكيلاني وآخرون ، مرجع سابق ، ص 44.**
[2] **- النورسي ، المثنوي العربي النوري ، شركة سوزلر للنشر ، ط1 ، القاهرة ، مصر ، 1995، ص** 31..

الإيمان وترسيخه في القلب وبعثه الروح الخامد في النفوس يشبه " **المثنوي الرومي** " فقد سماه **'النورسي'** بـ " المثنوي " . ولأجل تمييزه عن " المثنوي الرومي " الذي كُتب بالفارسية سماه: " المثنوي العربي " . ولأنه أساسٌ لرسائل النور وغراس لأفكارها ومسائلها أضيف اليه " النوري " فأصبح الكتاب يحمل عنوان : " **المثنوي العربي النوري** " هذا الكتاب لا يقل بأي حال من الأحوال -إن لم يرجح في جوانب منه- على "مثنوي الرومي"

الحقيقة هي أن بديع الزمان أغنانا عن تقديم أي كلام حول سبب تأليفه للكتاب وفترة تأليفه له ،حيث سجل ذلك في مقدمته ،إلا أننا سنتحدث عن الكتاب بلفظ موجز.

لعل كتابه "المثنوي العري النوري" هو خير ما يفصح عن هذه المقاصد والأهداف التي اعتمدها في كل كتاباته ،فهذا الكتاب دُرَّةٌ من دُرَرِ أدبه، وتحفة فنّية من تحف فكره وقلبه ،و" المثنوي" ليس مجرد جزالة في اللفظ ،ولا براعة في الكلام، بل هو جزالة في المعنى يبهر الذهن ،وجلال في الفكر تنحني له الهامات احتراما، وشرف في المقاصد والغايات تنجذب إليه النفوس العفيفة والشريفة..

ولكي نفهم عظمة النورسي مع التواضع الجم، والإحساس بالعجز والافتقار، يحسن أن نقرأ الآتي بإمعان وتأمّل حيث يقول:

"**يا ناظر! أظنّني أحفر بآثاري المشوّشة عن أمرٍ عظيم بنوع اضطرارٍ منّي. فيا ليت شعري هل كَشَفتُ.. أو سينكشفُ.. أو أنا وسيلة لتسهيل الطريق لكشّافه الآتي.**[1]

إن كتاب المثتوي من أوائل كتب **'بديع الزمان سعيد النورسي'** لذا نجد وجود جذور أفكاره هنا فكل فكرة في هذا الكتاب التي كانت مثل جنين أو براعم أو نبتة صغيرة أو كقطرة من قطرات فكره النير أصبحت فيما بعد نهراً متدفقاً وشلالا هادر .

لقد كان الاشتغالُ بالقرآن الكريم والتعمق في فهمه الشغلَ الشاغل لهذه العقلية النيرة ،نراه في "المثنوي" يعرض علينا موضوعا قرآنيا غاية في الروعة عرضا موجزا:

[1] **-النورسي : المثنوي العربي النوري، مرجع سابق ، ص:239.**

"إنك إذا استمعت القرآن فألبس لكلّ نغمةٍ من نغماتهِ المتطوّرة على الحُجُب، والمتنوعة في المراتب الإرشادية، والمنصبغة بحسيات الوسائط، من جبرائيل عليه السلام إلى من تسمع منه، ما يناسبها.. فلك أن تَمُرّ بسمعك من القارئ في مجلسك إلى الاستماع من النبيِّ صلى الله عليه وسلم الذي يقرأه في ذروة شاهق النبوة في مجلس الأرض على أبنائها من بني آدم وغيرهم. ولك أيضا أن تستمع من جبرائيل وهو يخاطب النبيَّ في الأفق الأعلى عليهما الصلاة والسلام.. ولك أن تستمع من خلفِ سبعين ألفَ حجابٍ من المتكلم الأزلي، وهو يتكلم مع النبي في قاب قوسين أو أدنى. فألبسْ إن استطعتَ لكلٍّ ما يليقُ به !" [1]

كتاب "المثنوي" يُعد في الحقيقة معرضا لمواضيع واسعة جليلة ،وفهرسا لها.. يمكن أن يؤلف حول كل واحد منها كتاب خاص.. هذه المواضيع التي تناولها بالشرح والتفصيل فيما بعد في رسائل النور في مختلف أجزائها.

فما أهمَّ وما أعظم تلك الحقائق التي تناولها تحت عنوان "زهرة" باختصارٍ، وضمَّها فيما بعدُ إلى رسائل النور!

ورسالة "ذرة" تعد مثل نبتة صغيرة للتقوى والعمل الصالح، فهناك يتم استجواب رغباتنا ومشاعرنا الدنيوية، وتُنفخ فكرة التوحيد لأذهاننا ويُعرض الإيمان الشامل المترامي الأطراف أمام الأنظار.

أما رسالة "شمة" فتمس القلوب مثل طيف رقيق، حيث تعرض أمام الأنظار أن غنى الآيات وعمق معانيها لا يمكن مقارنتها بالشعر، وتقف أمام غايات خلق أعضاء الإنسان فيكشف بعض الأستار عن العيون ويزيل الألفة التي تكدر البصائر وتضعفها.

وبعنوان "شعلة" نسيح معه في المعاني الواسعة للفظ الجلالة "الله" الذي هو اسم ذات له، فيهز قلوبنا بانفعال معرفةٍ ذاتِ طعم مختلف لم نتذوقها من قبل.

[1] **النورسي : المثنوي العربي النوري مرجع سابق - ص:(246)**

وتحت عنوان "نقطة" يضيف "بديع الزمان" دليل الضمير الإنساني (الوجدان) –الذي يَعده نقطة تماس بين عالم الغيب وعالم الشهادة– إلى الأدلة الرئيسية الثلاثة حول الذات الإلهية التي كثيرا ما وقف عندها في رسائل النور، ففرج بذلك فرجة في بابٍ وقف عنده الكثير من المفكرين وأرباب القلوب من المتصوفة وهم على درب السير في مدارج السلوك[1].

لقد قدّم **'النورسي'** نماذج أدبية من خلال المثنوي العربي النوري ، وهو يعتبر سفرا كاملا في الإنشائيات ، الذي كما قلنا هو نواة الرسائل ومشتلها والفرق بين الرجلين أن **'الرومي'** قد بنى ديوانه نظما ، في حين أن النورسي آثر أن يقدم المثنوي العربي نثرا ، وهذا يطرح إشكالا واضحا من حيث التسمية وهو : " لم سمى بديع الزمان كتابه المثنوي والحال أن **'الرومي'** حين اختار هذه التسمية فلأنها تستجيب للشكل الشعري /النظمي الذي بني عليه عمله ،وهو هذا الوزن الشعري الذي اشتهر به الفرس خاصة ؛أي يصوغ الشاعر الأبيات بيتين بيتين ،وهو ما التزم به **'جلال الدين الرومي'** فما السر في تسمية البديع عمله المثنوي إذن ؟ لقد تولى الإجابة على هذا الإشكال **'قاسم الصالحي'** ، الذي قال : " أما ما يرد من سؤال حول تسمية الكتاب أي المثنوي .... هذا لأن فعل هذه الرسائل في القلب والعقل والروح والنفس يشبه فعل المثنوي 'لجلال الدين الرومي' المشهور والمتداول ولا سيما في تركيا ولتمييزه عن "المثنوي الفارسي" سماه العربي ولأنه أساس رسائل النور وغراس لأفكارها ومسائلها أضيف إليه النوري فاصبح الكتاب يحمل عنوان :" المثنوي العربي النوري " [2]

لكن حسب اضطلاعي ودراستي لحياة بديع الزمان وما دار في حياته من تجارب وجدته يشبه **"الجاحظ** "يكتب الكتب وينسبها لغيره كي تروج وتنتقل أفكارها ،وجدت **'سعيد النورسي'** كتب المثنوي وسماه بهذا الإسم حتى يديع صيته كما داع صيت "المثنوي الفارسي "وليعرف العالم نور القرآن خلالها بأسلوب دقيق ورقيق.

1- ألف هذا المقال في 1994كمقدة لكتاب "المثنوي العربي النوري" لبديع الزمان سعيد النورسي؛ الترجمة عن التركية: اورخان محمد علي http://ar.fgulen.com/content/view/726/74 . 15-11-2016.

[2] - حسن الامراني ، عالمية الادب الإسلامي ، رسائل النور أنموذجا ، ندوة تحت عنوان النورسي أديبا ، المنعقدة في الدار البيضاء،سوز للطبعة والنشر ، ط1، 2003.

●اختيارنا للخطاب النثري كمدونة للدراسة

لم يكن اختيارنا للمدونة في هذه الدراسة اختيارا عشوائيا، إنما انطلقنا في ذلك من نقطتين.

1-إن النظرية التداولية تنظر إلى اللغة باعتبارها نشاطا ،و البنية التي يتجسد فيها هذا النشاط هو الحوار، ضمن ما يسميه البعض "**بالخطاب العادي Le langage ordinaire**" و الخطاب **'النورسي'** يتشكل في بنية حوارية تشبه إلى حد بعيد البنية الحوارية للخطاب العادي.

2-إن الخطاب النورسي ،كما يذهب إلى ذلك بعضهم هو "نسخة من الحياة و مرآة للعادة و صورة تعكس الحقيقة "فإذا كانت رسائله صورة صادقة لما يجري في هذا العالم، فإن الاهتمام الذي يثيره في متتبعيه يكون وثيق الصلة بالطريقة التي ننظر بها إلى **الحقيقة**. "**فالمثنوي العربي النوري**" هو تجسيد حقيقي لما يحتويه العالم من ظواهر و مظاهر طبيعية و اجتماعية و نفسية... و خطابية إذا أخذنا بهذا الرأي في أدق تفسيراته ،فإن رسائله مقتبسة من الحياة ،معنى هذا أن هدف **'بديع الزمان سعيد النورسي'** يوجب عليه إعطاءنا صورة طبقا للأصل... لمشهد الحياة ،و يوجب عليه أن يكون حواره أحسن أنواع الحوار الذي يكسبه صورة مطابقة للأحاديث الحقيقية التي تجري بين الناس في حياتهم العادية ،و لا بد أن يكون أعظم ما في رسائله من جمال هو مطابقتها لواقع الحياة[1] وهذا ما فعله بالضبط.

لقد سلك بديع الزمان مسلك الاسترسال والتكرار دون التقيد بأصول التصنيف المعرفي للاعتبارات الآتية التي نرى أنها من موانع التأليف المنهجي المتكامل :

1.اعتبارات سياسية وتاريخية ظروف الحرب وظروف الخلافة .

[1] **الإرديس، علم المسرحية (تر : دريني خشبة).-ط.2، الكويت، دار سعاد الصباح.- ص.26-28. بتصرف**

2.مراعاة غايات التدريس ،ومقاصدها المعرفية والتربوية .

3.مراعاة صفاء ذهن المتلقي وعدم تكدير روحه وتلويث عقله من خلال بث الشبهات، وإنما رده عليها ،هو الأسلم في الحفاظ على سريرة القارئ وصفاء ذهنه .

4.حالاته الوجدانية ، والنفسية المتقلبة التي قادته إلى اكتشاف شخصيته العلمية في إعادة النظر في أسلوبه (سعيد القديم ، سعيد الجديد) .

في رحاب الملابسات الوجدانية، والنفسية التي صاحبت التأليف يعترف النورسي بالتقصير .[1]

وما يجب التنبيه إليه خلال دراستنا للمدونة هو :

-أن المثنوي العربي النوري يعتبر رؤى فكرية وحضارية في منتهى التحقيق والعرفان والإتقان .

-من الدواعي التي حركت **بديع الزمان** للتأليف والتصنيف إثبات الحقائق الإيمانية .

-شيّد **'النورسي'** من خلال "المثنوي العربي" قاعدة جمالية ،ونقدية تستند إلى نظريات تحليل الخطاب ، والأسلوبية الحديثة .[2]

رابعا /السمة الموسوعية في المثنوي العربي للنورسي:

تبرز هذه السمة في الكثير من المطارحات والإشارات العلمية والرياضية والتشريحية والأركولوجية مما يؤكد موسوعية **'النورسي'** ،ونشير إلى أن **'بديع الزمان'** قد أدرك في وقت مبكر من حياته أهمية العلوم

[1] عزيز محمد عدمان :مفهوم البلاغة عند بديع الزمان سعيد النورسي ، مجلة النور للدراسات الحضارية والفكرية ، العدد 12 ، 2015 ، ص 123/122.
[2] -المرجع نفسه ، ص 124.

الطبيعية وضرورته واستمر في اهتمامه بدارسة العلوم طيلة أيام حياته ،فخلال ظرف زمني قصير ضرب بباع وافرة في الرياضيات وفي علم الحياة ، وكذلك في بعض اللغات الأجنبية .[1]

لقد آمن **'النورسي'** بأن "ضياء القلب هو العلوم الدينية ونور العقل هو العلوم الحديثة ،فبامتزاجهما تتجلى الحقيقة ،فتتربى همة الطالب وتعلو بكلا الجناحين ،وبافتراقهما يتولد التعصب في الأولى والحيل والشبهات في الثانية " [2]

يعد فكر **'النورسي'** فكر متأثر بالقرآن فهو متماسك وقلمه جوّال صوّال ،وما من ميدان من ميادين الإسلام والإيمان إلا وقد ترك فيه أثرا ووضع عليه شارة ،فهو مفكر مبدع خصب في ابداعاته غزير في جدة معانيه عالج القضايا الإيمانية الكبرى ولا سيما الغيبية منها كالآخرة والحشر والثواب والعقاب والجنة والنار فقد أوتي من سعة التصور والخيال وقوة المنطق والبرهان في مناقشة هذه الغيبيات ،وما يبعث على الذهول فهو يضع هذه المسائل الغيبية بين يديك بكل يسر وسهولة ويوقفها تحت بصر عقلك حتى تكاد تلمسها لمس اليد ورغم أن **'النورسي'** كرّس معظم سنين عمره من أجل إنقاد الإيمان والبرهنة على صحة معطياته وتعميق أصوله وجذوره في نفوس الناس ، وقد أظهر "**المثنوي العربي**" هذه النفس العظيمة التي عمل بها **'النورسي'** .[3]

إن فكر **'النورسي'** في "**المثنوي العربي النوري**" يكشف أننا إزاء ناقد المعي للفكر الغربي والحضارة الغربية ، **'فسعيد النورسي'** من أوائل الرواد الذين وقعوا على مفاتيح الحضارة الغربية ،وأشار إلى أن سر قوتها في فكرها العلمي المنظم وفي مناهج البحث التجريبية العملية ونبه الحكومات الإسلامية إلى ذلك .

لا شك أن عقلية **'النورسي'** الموسوعية جعلته يسجل الكثير من الملاحظات والانطباعات عن الحضارة الغربية ومنابع فكرها وفلسفاتها الكبرى ،لأن ما وجهه من انتقادات لهذه الفلسفات بين دفات كتابه هنا

---

[1] عمار قرفي : بديع لزمان النورسي ، حياته ، دعوته ، جهاده ، مرجع سابق ، ص 21.
[2] النورسي : صيقل الإسلام ، (أو آثار سعيد القديم) تح و تر إحسان قاسم الصالحي ، شركة سوزلر للنشر ، القاهرة مصر ، ط 3 ، 2002م ، ص 428.
[3] أديب ابراهيم الدباغ ، سعيد النورسي رجل الايمان في محنة الطغيان ،أنوار للنشر ، استنبول ، دت ، ص 6/5.

وهناك تشير على أنه كان على اطلاع جيد على أصول هذه الأفكار والفلسفات وقد تحدث أحد من طلاب النور أن **'سعيد النورسي'** لما كان في مدينة "**وان**" قضى فترة ليست بالقصيرة بين أجهزة الرصد وأنابيب الاختبار في المختبر العلمي التجريبي الذي كان "**طاهر باشا**" والي "**وان**" قد استقدمها من أروبا لأغراض" علمية .[1]

فهو هنا يعطينا الدليل على نزعته العلمية وعقله التجريبي العملي .

من المفيد، ونحن نقترب من شعرية النص عند **'بديع الزمان سعيد النورسي'** ،أن نشير إلى أن (المثنوي العربي النوري) يتضمن كثيرا من النظرات النقدية المتعلقة بالشعر والأدب، بالإضافة إلى النصوص الإبداعية التي يستطيع القارئ، دون عناء كبير ،أن يقف عليها، ولاسيما في تلك المناجيات الروحية التي كان يتقدم بها في رسائله، و الحق أن كثيرا من التصورات والمفاهيم عالجها ودرسها بكثير من العمق والفهم المتميز.

يعد **'النورسي'**، كما تدل على ذلك مؤلفاته ،باحث وعالم و مفكر وأديب عميق الاطلاع ،ما عالج قضية من القضايا إلا بدى لك فيها خبيرا ،له نظراته الخاصة التي تتجافى عن التقليد. وقد عالج عدة قضايا أدبية فجدد فيها النظر وأعطاها مذاقا خاصا ،فكان الموسوعي الذي أسس بكثير من العمق والتجديد أعمدة الأدب الإيماني.[2]

وإن ما يمتاز به **'المثنوي العربي النوري'** " الشمولية " وتلك **الشمولة** نابعة من فكر بديع الزمان من دون شك ، ولكنها قبل ذلك نابعة من أنها جعلت القرآن الكريم مدارها ،حتى أنه يمكن القول أن الرسائل ليست غير فيوض قرآنية ، ولم يكن شيء من الصفات يرضى بديع الزمان **'النورسي'** أكثر من أن يقال (خادم القرآن)

---

[1] **المرجع السابق ، ص 16**

[2] **2016-3- 7 http://www.bediuzzamansaidnursi.org/node/1246-**

لقد عاش **'بديع الزمان '**حياة غنية وحافلة بالأحداث جعلت منه خبيرا وحكيما وعالما ، وحين دون خبرته في رسائل النور كان (القرآن) مبتداها ومنتهاها بشكل لم يسبق له مثيل .[1]

إن موسوعية **'النورسي'** قد أثرت ليس فقط على تميز الجانب المعرفي والفكري وطبعته بطابع الصرامة والموضوعية ،ولكن إلى ذلك قد أكسبت الأدبية عنده بعدا زاد من رسوخها تقنيا ،إذ بدت للدارس فنية علمية ،وذات خلفية تنفيذية بصيرة .[2]

لقد تعمّقت **'لسعيد النورسي'** خبرات بما تحصل عليه من الفزياء والكمياء وغيرها لدى لا غرابة أن نرى **'النورسي'** يفضي بحقائق مستمدة من حقل الفزياء وأن نسمعه يتحدث عن أحوال اللطف والشفافية انطلاقا من معرفة فزيائية صميمة [3]:

" كلما كان النور ألطف كان أكشف لباطن الشيء كشعاع رونتكن " [4]

فهو هنا يتحدث عن النور وعن طاقة نفاذ الأشعة في سبر الأشياء الصلبة (كلما كان النور ألطف كان أكشف) وهذه قاعدة أصلا مطبقة في ميدان الطب والكشوف والإشعاعية لكن النورسي سحبها إلى حقل الإبانة والخطاب، واستفاد منها في تجهيز تعبيريته وفنيته .[5]

خامسا /. المثنوي العربي النوري وعملية تخيّر العناوين :

نعثر على منظومة عناوين تقرّب القارئ من الأرض والماء والغرس من مثل: "**رشحات**" من معرفة النبي صلى الله عليه وسلم. "**قطرة من بحر التوحيد وذيلها**". **حبة من نواتات ثمرة من ثمرات جنان القرآن وذيلها**. وبهذا حقّق من قطرة وذيلها، وذرة وحبة وذيلها بما لا يبقي شبهة "**أن هذه الصنعة الخارقة لا تصدر**

[1] -حسن الامراني : عالمية الادب الإسلامي ، مرجع سابق
[2]- عمار قرفي : بديع لزمان النورسي ، مرجع سابق ، ص 34.
[3] -المرجع السابق ، ص 35
[4] -النورسي :المثنوي العربي النوري، مرجع سابق ، 231.
[5] -المرجع نفسه ، 35.

إلا من قدرة خبير بصير[1]. إن هذه العناوين تأخذ من الطبيعة مصطلحاتها ،وإذا أحس **'النورسي'** بالتقصير في الإبانة يلجأ إلى التذليل كما يبدو في الإضافات والتكميلات والتذييلات.

'النورسي' يتحدث وكأنه تلقى عن الكون ذلك الحس والذوق والجمال والشاعرية الظاهرة في عناوينه فهو يعبر عن مخلوقات الله ويثبت بها الإيمان ،فهذه العناوين حقيقة تحفل بالجمال وحتى نصوص المثنوي فهي مليئة بالمشاعر والأحاسيس "**فالزهرة والبلبل والفراشة والعصفور والنملة والنحلة** " مخلوقات رقيقة ورموز مليئة بالمعاني والأفكار ، فكل ما في الحياة من جمال هو في حقيقة الأمر مظهر من مظاهر تجليات الجمال الإلهي

يكفي أن نعلم أنَّ "العناوين" إنَّما هي "صدى صوت القرآن".. فهي مكتوبة من ضياء قلب صاحبها وعقله.. فقارئها لا تخطئه من خلال سطورها عناوين نفحات القرآن ولمعاته وسانحاته ورشحاته ونضحاته.[2]

لأنه "صدى القرآن"، فهذا يعني أنه صدى صوت الوجود الذي لا يشيخ ولا يفنى ،فينبغي إذن أنْ يستقبل من الروح الإنساني بكل أغواره التي لا تقاس، وبكل آفاقه التي لا تطال. **'فالنورسي'** استثنائي في كل شيء، واستثنائي حتى في اختيار عناوينه و إنَّ العلم في كل كتابات **'النورسي'** حتى في تلك العناوين **'فالنورسي'** يريد استثارة القارئ وتحفيز قواه لكي يكون مستعدًّا دومًا لمواجهة ما تخطه متون رسائله ، هذه الرسائل التي يجمعها في عنوان صغير مبهر تلد لقراءته القلوب وتهتف به الحناجر ،و لقد أعطانا **'النورسي'** من المفاتيح ما نستطيع أنْ نفتح بها تلك الرسائل المفعمة بالمجاز .

لقد كان **'بديع الزمان'** ينتقي النفائس من عناوين وقد أفاد بذلك في كتابه "**المثنوي العربي**" ، فقد استفتح رسالة" **نقطة**" بالإشارة إلى أنه في عملية الكتابة كان يتخير أفكاره وما تتخطر به نفسه فلا ينتقي إلا ما هو سائغ شهي ،إذ كان يجد لذته على ذلك النحو التخيري ."**إذا ما دخلت بستانا فلا أجني إلا الأجود من**

[1] -النورسي :المثنوي العربي النوري ،مرجع سابق ، ص: 254
[2] هذه العناوين في "المثنوي العربي النوري" لبديع الزمان سعيد النورسي.

الثمرات ، حتى إذا ما تعبت في قطفها أجد المتعة واللذة، ولو وقع نظري على الفاسدة منها أصرفه عنها ، آخذ بالقاعدة " خذ ما صفا ، دع ما كدرا " [1]

لا شك أن **'النورسي'** يريد من خلال اختيار عناوين رسائله أن يرشد القارئ إلى هذا المنهج الانتقائي الذي كان يتبعه ،وهو أن لا يكون حاطب ليل ،بل عليه أن يكون حكيما في اختيار ما يقرأه من أفكار ومعرفة ومعلومات .[2]

تمظهر نصوص المثنوي على مستوى العتبات ،لكي نسبر أغوار النص لا بد أن نضع أيدينا على مدخل النصوص وفق الطروحات التي قدمها الناقد الفرنسي "**جيرار جنيت genette** Gérard "للعتبات النصية التي يندرج تحتها العنوان والإهداء ونحن ننظر إلى العناوين عتبة نص المثنوي لكونها منظومة كعقد جمان تحمل طابعا فكريا أو أيديولوجيا أو دينيا أو فلسفيا ،عتبة لا يمكن تجاوزها أو تهميشها ،فحضورها مثل "**بالمضمر والجلي**" ، وكمدخل له أهمية إذ يحفز القارئ ويدفع لاكتشاف ما رواء النص على مستوى الشكل والمضمون ،وفي بحثنا هذا اهتممنا بهذه العناوين محاولين من خلالها معرفة مقاصد النص وما يرمز إليه ؛من المهم الوقوف عند العناوين التي تمتلئ بقيم النص وضرورة اختيار العنوان نابع من كونه تجسيد لسلطة النص وواجهته الإعلامية ،هذه العناوين هي مختزلة لنصوص كبيرة عبر التكثيف والترميز والتلخيص ، وهي أنساق جزئية لمقاصد كلية .[3] ليس غريبا أن يبدأ **'سعيد النورسي'** رسائله **بعنواين** كالعقد مقتديا بذلك بالقرآن في وضع أسامي السور الدالة على ما في كل نصوص السورة ،وعناوين المثنوي تعتبر مفتاحا أساسيا للولوج إلى أغوار النص العميقة ،قصد استنطاقها وتأويلها ، وهي متناسبة فيما بينها " [4]

---

[1] النورسي : المثنوي العربي النوري، مرجع سابق ، ص 420.
[2]- عمار قرفي : بديع لزمان النورسي ، مرجع سابق ، ص 47.
[3] - زبيدة بوغواص ، الرمز في مسرح عز الدين جلاوجي ، رسالة ماجستير ، جامعة الحاج لخضر باتنة ، كلية الداب واللغات ، 2011، .ص 50. بتصرف
[4] -شعيب حليفي : (النص الموازي و استراتيجية العنوان) ، مجلة الكرمل ، قبرص ، العدد ، 46 1992 ، ص ، . 23 بتصرف

هكذا يعتبر النص سؤالا والعنوان جوابا ، وبالنظر إلى أهمية العنوان فإن الكثير يتساءل عن كيفية وضع **'النورسي'** للعناوين ، هل هو تلخيص لرسائله أم هل تلك العناوين مأخوذة من المادة النصية ،أم جاءت على محض الصدفة من المؤلف ؟ أم هل هو بنيّة تكرر بشكل موسع في المتن ؟ ما نوع الدلالات التي يحملها ؟ مم يتكون ؟ قد لا نجد لهذه التساؤلات إجابة إلا مع نهاية النص و مهما تكن الإجابة فالعنوان هو المرحلة الأكثر وعيا بالنسبة للمبدع ،وآخر ما ينتج وربما يكون الشيء الذي يتكرر أكثر ،الناظر إلى عناوين المثنوي يجد أنها متجسدة في النص كل التجسد ومرتبطة مع بعضها البعض كل الارتباط لتجتمع في حقل واحد يبرهن على عظمة كتاب الله وعلى توحيد الله وعلى نبوة محمد عليه الصلاة والسلام .

المؤكد أن العنوان يبقى يستفز القارئ الذي يتحول إلى مبدع ومنتج ثاني للنص . فعند **'النورسي'** نجد تجاوز في ترميز اللغة ارتقاء منه إلى مستوى جديد هو إغنائها بإيحاء ذلك الترميز حيث يعجز عن ذلك اللفظ المجرد لا يبدو أن ألفاظ العناوين عند **'بديع الزمان '**في المثنوي تحتمل غموضا ،فيهي لا تحمل رموزا صعبة المنال ،من أمثال **'قطرة وزهرة '**، وغيرها ، فهو عنوان يخلوا من الغموض ، تركيبه مألوف ذات بعد تداولي .

حتى تكون هذه المقاربة أكثر ثراء وفاعلية نقف على نموذج من العناوين مثل عنوان "**رشحات**" من بحر معرفة النبي صلى الله عليه وسلم ،هذا العنوان الذي يدل على القوة من جهة ولشدة تمكنه وخفته على الذوق السليم ، وإذا تتبعنا لفظ "الرشحات" وجدنا فيه شاعرية والبحر يعني دوما العلم ولهذا القرآن يقول :" **قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا** " سورة الكهف ،آية 109. **'فالنورسي'** قال: "**رشحات من بحر**" وهذا يدل على أن هناك دلالة مع متن النص ، وهي على أي "**رشحات**" يتحدث ولما يقول **'رشحات '** ولا يقول شيء آخر .

تعد عناوين رسائل النور كلية ورسالة المثنوي العربي النوري خاصة مفتاحا لرسائل النور والعناوين التي بداخل المثنوي العربي النوري مفاتيحا للمثنوي العربي النوري ،ولذلك فإنك لما تقرأ رسائل النور ،تشعر بأن هذه

العناوين تتابعك في الخطاب كله وتجدها تخاطب أجيالنا والأجيال التي بعدنا ،فلما تقرأ تشعر أن هذه العناوين قد كتبت للتو ولما نخرج من لهيبها بعد حتى نجد أنفسنا بين جواب النص أو المتن .[1]

لم يكن يخطر بالبال ،و أنا أشرع في قراءة المثنوي العربي النوري أن هذا التراث يكتنز قاموسا مصطلحيا خاصا بين طيات عناوينه ،يظن قارئه للمرة الأولى أنها عناوين لا تخرج عن القاموس الصوفي التقليدي بيد أن هذا الانطباع لم يلبث إلا قليلا حتى عرفنا أن هذا المصطلح الذي تضمنته العناوين هو مصطلح إسلامي أصيل

إن عناوين **'النورسي'** في أغلبها قرآنية محضة لكنها نورسية التحقيق والتأويل[2] ويكفي أن مقاصد **'النورسي'** في تراجمه مثل فقه الإمام البخاري صاحب الجامع الصحيح يعرف من تراجمه .

سادسا/ . الفترة التي أوجدت مطارحات المثنوي العربي:

تبدو في المثنوي العربي أنها فترة فوضى واضطراب. فهي مرحلة كانت تسودها الإلحادية الإقصائية التي كانت تتحين فرصة للانقضاض على الأمة باجتثاث دينها وموروثها الحضاري من ضمير الأمة ،بل ومن الوجود نفسه ،فكانت جهوده دالة على عبقرية فذة ،قطعت الطريق على رواد الاستبداد السياسي والثقافي والديني .[3]

تأثير سياق المجتمع على حياة **'سعيد النورسي'** ، يبدو أن المجتمع وما صاحبه من أحداث قاسية ترك تأثيره في النورسي ،الذي أصبح يؤثر العزلة .

لا خلاف على الأهوال التي شهدها العالم في هذه الفترة ولعل **'النورسي'** يصورها تصويرا بليغا حين يقول :"**ومع أنني لم أكن أُعد نفسي شيخا بعد ،فإن الذي يرى الحرب العالمية لا بد أن يشيب حيث مرت أيام يشيب من هولها الولدان ..... ومع أنني كنت قريبا من الأربعين فإنني وجدت نفسي كأنني في الثمانين من عمري ...)** [4]

---

[1] -فريد الانصاري ، مفاتح النور ، مركز النور للدراسات والبحوث ، استانبول /تركيا ، 2004 ، ص 9 بتصرف .
[2] مرجع سابق ، ص /1817. بتصرف
[3] -عمار جيدل ، بديع الزمان سعيد النورسي ، واثبات الحقائق الإيمانية ، مرجع سابق ، ص 5
[4]- النورسي ، اللمعات ، ت إحسان قاسم الصالحي ، ص 361/359.

لقد شعر **'النورسي'** بالطعنة القوية التي وجهت إلى العالم الإسلامي بعد احتلال تركيا وتوقيع معاهدة "**سفر**" التي كانت استسلاما شبه مطلق ، 'بهذا أحس النورسي أن طعنة قوية قد وجهت إلى العالم الإسلامي .

وقد بدأ النورسي تصديه للإنجليز وحلفائهم بتأليف كتاب "**الخطوات الست سنة 1920** "، حيث رد على الحرب النفسية التي حاول الاحتلال من خلالها أن يوهم الشعب المسلم ،أن انهزام الدولة العثمانية وانتصار الحلفاء عقاب رباني للمسلمين .[1]

لقد فقد **'النورسي'** الأمل في رجال السياسة والفكر، واقتنع أن إصلاح الأوضاع يحتاج إلى بناء جديد تكون قاعدته الأساسية جيلا قرآنيا مسلحا بعقيدة قرآنية راسخة .

يصور **'النورسي'** حالته في أيامه الأخيرة ب (أنقرة) حيث صعد إلى إحدى القلاع القديمة في فصل الخريف يقول : " **فتمثلت تلك القلعة أمامي كأنها حوادث تاريخية متحجرة، واعتراني حزن شديد وأسى عميق من شيب السنة في موسم الخريف، ومن شيبي أنا، ومن هرم القلعة، ومن هرم البشرية، ومن شيخوخة الدولة العثمانية العلية، ومن وفاة سلطنة الخلافة، ومن شيخوخة الدنيا، فاضطرتني تلك الحالة إلى النظر من ذروة تلك القلعة المرتفعة إلى أودية الماضي وشواهق المستقبل، أنقب عن نور وأبحث عن رجاء وعزاء ينير ما كنت أحس به من أكثف الظلمات التي غشيت روحي هناك ، وهي غارقة في ليل هذا الهرم، المتداخل المحيط** " [2]

أما من الناحية الدينية فقد سادت عدة مذاهب وطرق صوفية و'بديع الزمان' لا ينفي عن نفسه التقليد للمذهب الشافعي، ولا ينفي انتمائه للطريقة القادرية، برغم أنه ينفي كونه صوفي، إلا أن المتصفح لرسائل النور يجد وهجا مصطلحيا من ذلك الجانب يتحول على ما أسماه **'بالمعراج القرآني'** ويظهر أنه كان يجل عارفي الصوفية ويصدح بأعلى صوته قائلا " أيها السادة ! إني لست شيخا صوفيا ، وإنما أنا عالم ديني .." [3]

---

[1] -جمال الدين فالح الكيلاني وآخرون ، مرجع سابق ، ص 27.
[2]- النورسي ، اللمعات ، مرجع سابق ، 351
[3] النورسي المكتوبات ، تر، احسان قاسم الصالحي ، شركو سوزلر للنشر ، القاهرة مصر ، ط3 ، 2001، ص 79.

يظهر أن **'النورسي'** أظهر تصوف غير معهود خارج عن النمط القديم ،الذي أصبح لا ينفع في زمانه وذلك لأسباب عديدة منها الذاتية وتتمثل في طبيعة شخصيته المتأبية على المقولات والمفاهيم دون اقتناع والسبب الموضوعي يرجع إلى الظروف المحيطة والواقع السياسي ،إضافة إلى ما أحدثته الصوفية من شطحات في تلك الفترة .[1]

سابعا . الإطار الوصفي في المثنوي العربي للنورسي:

تتميز عملية التوصيف بتجلية المعاني، و الوصف عنصر بالغ الأهمية في تشكيل النصوص الأدبية، أو في دراستها؛ وهو من أشد الخطابات حضورا وتغلغلا في **'المثنوي العربي النوري'** بجانبيه الحسي والخيالي. ونحن نركز في هذا العنصر على جانب الوصف كونه قد أقصي في بداية البحث التداولي، إلا أنه عاد للواجهة مجددا بوصفه فعلا لغويا .[2]

تعد التعبيرية بالنسبة **للمثنوي العربي النوري** نوع من التشكيل الخطابي، يوائم العواطف وأحوال البوح الروحي والوجداني التي يعرب الإنسان من خلالها عما يسكنه من أحاسيس وأفكار ورؤى، ومما نسجّله في هذا الصدد نقلا عن **'سليمان عشراتي '** أن **'بديع الزمان النورسي'** يستخدم التلوين في خطابه بسخاء كبير ؛والتلوين الخطابي يعول على ترجيح لوازم لغوية أو متممات دلالية منها النعوت، ذلك لأن النعوت تنسجم مع طبيعة فنّ التشكيل..[3] يقول **النورسي**:"**إن ذكر الأوصاف الكثيرة سبب للتجسيم في الذهن والحضور في العقل والمحسوسية للخيال**"[4]

فهو يعتمد على الوصف الحسي الذي يتناول المحسوسات فيصورها كما يفعل الرسام الماهر الذي يقتنص بريشته جمال الطبيعة ويجسمها بالألوان على لوحته، وتعد **النعوت** مادة الوصف التي تتحول بها الصورة الأدبية

---

[1] غنية تومي ، التفكير اللغوي في كليات رسائل النور ، أطروحة دكتوراه ، جامعة محمد خيضر ، بسكرة ، الجزائر ، 2017/2016 ، ص 20. بتصرف

[2] شيتر رحيمة : الوصف وإنجاز الفعل الأدبي ، مجلة كلية الآداب والعلوم الانسانية والاجتماعية ، العدد السادس ، جامعة محمد خيضر ، بسكرة ، الجزائر .ص.

[3] الإحساسية في فن بديع الزمان النورسي العدد 07 سليمان عشراتي http://www.hiramagazine.com/

[4] إشارات الإعجاز لسعيد النورسي، ص 69.

إلى مشهد تشكيلي محسوس . و**'النورسي'** يستثمر الممكن والمتاح من الآليات لتوصيل رسالة لغوية معينة وجعل المعنى بها يعينها ويتحرك في إطار إنجازها .[1]

الظاهر وكما حدده **'سليمان عشراتي '** هو أن **'النورسي'** مارس التوصيف بصورة لا جدال فيها ،إعرابا عن وازع تلويني ازدوجت بواعثه ،فقد كان من خلال التلوين يستجيب لدواعي الوجدان ؛من جهة أخرى كان يعزز العدة البيداغوجية التي يجهز بها خطابه من أجل أن يضمن له الانتشار بين الجماهير، ذلك لأنه كان يتفاعل بقيم روحية تجريدية اقتضت منه أن ينحو منحى التشكيل والتلوين تقريبا لمعانيه من الناس، وتعميقا لحقيقة تلك المعاني من خلال صبغها باللون؛ فهو يمد من مساحة النعوت رغبة منه في استيفاء الغاية التوصيلية. فالنعوت كانت من أهم فواعل التشكيل والتصوير في خطاب **'النورسي'** وكما يمازج الرسام بين الألوان فيخلق الانطباع الجديد، أو كما يراوح بين الأصباغ ليعطي التعاكس المطلوب، فكذلك يصنع **'النورسي'** مع التلوينات اللغوية، إذ يخرج الصورة وقد لبست سِمَتها اللونية على نحو يكفل لها أن تخاطب المتلقي بالكيفية المناسبة والأسلوب المطلوب. [2]

يظهر أن هناك وصف داخلي يصف به النورسي الأحاسيس والمشاعر ووصف خارجي يصف به كل المحسوسات.

يوظف **'النورسي'** الدوال لرسم الجو الذي يحيط بالفكرة أو المتولد عنها، وهذا بواسطة تغزيره منظومة المعاني المستثمرة، بحيث يأتي ترادف العبارات وجها من وجوه تعميق اللون. يقول :"**نعم وبدون نوره تبكي الوجودات لك إعداما، والأنوار ظلمات، والأحياء أمواتا، واللذائذ آلاما وآثاما، ويصير الأوِدَّاء بل الأشياء أعداء، وما البقاء بدونه إلاّ بلاء والكمال هباء، والعمر هواء، والحياة عذاب، والعقل عقاب، وتبكي الآمال آلاما**"[3]

فالتناسب قام على هذا التداعي الذي سلسل الدوال وجعلها تنتمي إلى عائلة ذهنية متداعية عكسا واطِّرادا.

تمادي الكاتب في تثمير المقومات البلاغية يؤكد رغبته في استيفاء الوصف، فاستغلالِ الاستطراد ومرادفة المعاني.[4]في ظل السياق، ولعل الوسيلة المتاحة لرسم المشهد السياقي هي الوصف "فالعلاقة بين اللغة والواقع أو العلامة ومرجعها لا تتلخص إلا في المعنى المشيد عن طريق وصف اللغة وتسميتها"[5]

---

[1] -محمد سالم محمد الامين : الحجاج في البلاغة المعاصرة ، دار الكتاب الجديد ، بيروت ،لبنان/2008، ص175.
[2] الإحساسية في فن بديع الزمان النورسي:مرجع سابق.
[3] النورسي :المثنوي العربي النوري لسعيد النورسي، ص 210.
[4] - نفس المرجع .
[5] -أحمد يوسف : الدلالات المفتوحة مقاربة سميائية في فلسفة العلامة ، منشورات الاختلاف الجزائر،ط1، 2005،ص87.

نجد النورسي استعمل الوصف الخيالي كقنطرة فنية إلى ما وراء المحسوسات، واذا كان واسع الخيال لا يقف عند حد ما تقع عليه العين فقط، بل يتعداه الى مناطق يفتحها أمامه الخيال فيجعل من المرئيات أساساً لغيرها ويولد من المحسوسات صوراً محددة يرسمها للبشر تأملات وذكريات.[1]

سعى **'النورسي'** في المثنوي إلى الوقوف على المعاني التي من شأنها أن تقربنا إلى نور القرآن وأعاد تسمية أشياء ليحتويها نص **المثنوي**، يقول **'سمير رجب محمد'** في كلمة عن مكانة المعنى في الأسلوب الأدبي :" يرى بديع الزمان ضرورة ترجيح المعنى على اللفظ ..وهنا نرى أن بديع الزمان يبين أهمية المعنى في الكلام لدرجة أنه يعتبر أن الكلام الخالي من المعنى كجسد بلا روح " [2] هذا المعنى يتجسد بالوصف الحسي والخيالي .

كما أنه يستعمل تقنية الوصف الجميل الذي يجعلك تحس بجمال ما يحكيه صاحب النص، وكل النص وصف بارع في مواقف مختلفة ويلجأ **'النورسي'** أيضا إلى إعطاء أسلوبه حرارة خاصة بفعل 'الأمر' الذي يستعمله في حواره؛ كما أنه لا يكتفي في **'المثنوي'** من إيراد لفظة واحدة وإنما يأتي بمرادفات كثيرة .

يلجأ إلى التصوير الفني الحي الذي يقدم لك صورة ديناميكية عن العنصر المصور، كما نجده يندرج في فهم أسرار الكون، مما يدفع القارئ المسلم خاصة إلى التفكير في ملكوت الله تعالى ، وفي قدرته سبحانه وفي التحكم في الكون، وتدبيره بكل انسجام .

من توصيفه نجد أنه يسعى إلى الإقناع وبسط القول في أي موضوع يريد معالجته وفق دالات لغوية معينة تتكاثف لمعالجة مواضيعه النورانية وذلك باللجوء الى الحوار والتمثيل والوصف والإشارة الخاطفة، وهذا من كونه صاحب رسالة .[3]

لما كان نص **المثنوي** يميل إلى الشعرية نجد الوصف يتغلغل فيه بشتى أنواعه، ولو نظرنا إلى عناوين **المثنوي** نجد وصفا جزئيا يساهم في بناء بنية كلية؛ وقد فتح جانب الوصف في **'المثنوي'** العربي أبوابا تأويلية تكشف عن موقف العين الناظرة وتحدد علاقتها بالعالم. نجد أن الوصف في **'المثنوي'** حقق انسجاما للنص ولعل أهم ما قام به النورسي في **المثنوي** من وصف، هو ربط أطراف العملية التواصلية بالحواس الفاعلة، فأبلغ الوصف كما قيل " ما قلب السمع بصرا" لعب **'النورسي'** على أكثر الحواس ارتباطا بالوجود المادي العيني[4]،

---

[1] أحمد راجح سعيد : الوصف الحسي في الشعر العربي الحديث ، نقلا عن http://www.14october.com 04-10-2017.
[2] سمير رجب محمد ، الفكر الادبي عند الداعية الإسلامي بديع الزمان سعيد النورسي ، مطبعة المدني ، القاهرة ، ط 2 ، 1995 ، ص 105. بتصرف.
[3] إسماعيل إسماعيلي علوي ، الجمال المعنوي والفني من خلال البلبل ، مقال مقدم ، لندوة ، النورسي أديبا ، باقلام نخبة من المفكرين ، ندوة سعيد النورسي أديبا بكلية الاداب والعلوم الإنسانية ، بن مسيك ، الدار البيضاء المغرب ، يومي 17/18/ 2003. ص 42..
[4] ـ شيتر رحيمة : الوصف وإنجاز الفعل الأدبي،دص.

وقد ظهر 'النورسي' من خلال المثنوي صاحب قلب أقرب من لسان.[1] نجد النورسي ينطلق في وصفه من الغياب إلى الحضور، ومن السمع إلى البصر وينطلق الوصف عنده من التركيب قصد التقريب، لهذا نجده تجاوز في عنصر الوصف التخوم اللغوية المرسومة له، وتجاوز أفاق الإنشاء موحدا بينه وبين الخبر .

ما نشير إليه كملخص لهذا المدخل هو أن التخاطب تفاعل لغوي ،واللغة إنتاج اجتماعي ،لأن وضعية التواصل تتحدد عن طريق البعد الاجتماعي الاستعمالي بين طرفي العملية التخاطبية، لأنها تمثل حوارا متبادلا بين متكلم ومتلق يتوخى الاستماع والإجابة، ثم إن النظرية التخاطبية في بعدها التواصلي الوظيفي ترتبط بفكرة الاستعمال الاجتماعي للغة، مما يجعل المعنى يتعلق بالاستعمال اللغوي نفسه، لتحقيق أغراض معينة من أفراد معينين ضمن مجتمع معين، فاللغة ترتبط بالأنشطة الفعلية للإنسان وهذه الأنشطة لا يمكن أن تتحدد إلا بوصفها تواصلا مع الذات أو مع الآخرين، وعليه فإن صيغ اللغة ومعانيها تظهر في سياقات اجتماعية–عصر **النورسي** وما حملته المرحلة من أحداث– وهي تتغير باستمرار ،نتيجة للمتغيرات الاجتماعية الثقافية، وبذلك فإن اللغة التي هي أداة التخاطب يتم اكتسابها في السياق الثقافي الاجتماعي، وهذا الاكتساب للغة يعد أحد ملامح الانخراط في المجتمع بوصفه ميدان التخاطب. [2] ونخلص إلى أن نص المثنوي هو وليد السياق .

[1] -أبو هلال العسكري :الصناعتين ،تح محمد البجاوي و محمد أبو الفضل ابراهيم ، منشورات عيسى البابي الحلبي ،سوريا /دط،دت، ص 285.

[2] أنمار ابراهيم أحمد ، فاعلية السياق الثقافي في العملية التخاطبية ، مجلة ديالى ، العدد الثاني والسبعون ، 206 ، ص 124.

الفصل الأول

مقاربة مصطلحية

المبحث الأول: البنية

المبحث الثاني: الخطاب والنص

المبحث الثالث : التداولية

يذكر الأخضر غزال: (أن كل الندوات والمؤتمرات منذ الستينات وما أكثرها في مجال المصطلحات أو التعريب أو المعجم أوْصت بتعريب المصطلح وتوحيده، واقترحت وسائل لتوحيده ونشره، ولم تنجح تلك التوجهات كما ينبغي بعد ،علاوة على دعوات المجامع اللغوية العربية ،والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، والمؤسسات المعنية الأخرى العربية والدولية ،والدعوات الفردية المخلصة التي تظهر هنا وهناك بين حين وآخر، ومع كل ذلك ينبغي مع كامل الأسف أن نلاحظ أن النتيجة كانت هزيلة ،إذا قورنت بضخامة المشكل، وبالمجهودات الصادقة التي تبذل[1]

و تنطلق هذه المقاربة من عنوان الأطروحة باعتباره وجهة بارزة تقرّب القارئ من نص المثنوي العربي . ومن ثم تنصب على المصطلحات الآتية:

المبحث الاول: البنية:

أولا : البنية

لم تنل أية ظاهرة معرفية من الاهتمام والدراسة قدر ما ناله مفهوم البنية في القرن الحالي، حيث أصبح هذا المفهوم يحتل مكان الصدارة في مختلف الدراسات الإنسانية الحديثة، سواء كانت هذه الدراسات نفسية أو اجتماعية أو اقتصادية أو لغوية أو رياضية وغيرها. وأصبحنا نجد الباحثين العاملين في إطار هذه المفهومات يتحدثون عن بنية نفسية وأخرى رياضية ومنطقية وثالثة لغوية.. الخ.

مما يشير إلى أن مفهوم البنية لم يعد يقتصر على الدراسات اللغوية وتشعباتها ،وإنما امتد ليشمل مختلف العلوم الإنسانية دون استثناء. وإن كان هذا المفهوم قد انطلق بالمستوى الذي نراه من خلال البحوث الجادة المكثفة والمعمّقة في علوم اللغة وتفريعاتها ،والتي اعتنت بها مؤخراً ،الدراسات الأدبية بمختلف فروعها واتجاهاتها.

[1] غزال، الأخضر أحمد: المنهجية العامة للتعريب المواكب، معهد الدراسات والأبحاث للتعريب، الرباط ـ المغرب، 1977م ص39.

حتى إننا نرى أيضاً علماء اللغة يتحدثون عن بنى صوتية وأخرى تركيبية وثالثة دلالية. ولكل من هذه البنى الكلية بنى أخرى فرعية ،منها ما يتعلق ببنية المفردة ،ومنها ما يتعلق بالبنية الوظيفية.. الخ.

وسنحاول، هنا ،عرض مفهوم البنية كما فهمه علماء اللسانيات والبنيويون.

البِنْيَةُ: يذكر علماء **اللغة العربية** من أصحاب المعاجم أن كلمة (بنية) تشتق من الفعل الثلاثي (بَنَى)؛ وتعني البناء أو الطريقة ،وكذلك تدل على معنى التشييد والعمارة والكيفية التي يكون عليها البناء ،أو الكيفية التي شيد عليها ،فبنية الشيء هي :''الهيئة التي بُني عليها''[1] وكلمة (**بِنْيَة**) في أصلها تحمل معنى المجموع والكل المؤلف من ظواهر متماسكة ،يتوقف كل منها على ما عداه ،ويتحدد من خلال علاقته بما عداه.

و البِنْيَة ما بنيته؛ وهو البنى والبنى، وأنشد **'الفارسي'** عن **'أبي الحسن'** :**' أولئك قوم إن بنوا أحسنوا البنى'**[2]

يرى عالم النفس السويسري ''**جان بياجيه Jean Piaget**" أن البنية "نظام تحويلات له قوانينه من حيث إنه مجموع، وله قوانين تؤمن ضبطه الذاتي"[3]

نجد زعيم حلقة كوبنهاجن الألسنية ''**هيلمسليف** L. Hjelmsleve'' يشير إلى أن ''البنية كيان خاص ذات ارتباطات داخلية[4]

هذا ينفي عنها أيضاً أية علاقة مع عناصر خارجية لا تنتمي إليها. أو لا تنضوي في نظامها. وهذا ما دفع ''**هيلمسليف L. Hjelmsleve**'' للقول باستقلالية البنية ،هذه الاستقلالية تؤكد على أن عملية

---

[1] ينظر : لسان العرب ؛ لابن منظور ، ط دار صادر ، بيروت ، (94/14) ، والمصباح المنير ؛ للفيومي ، ط المكتبة العلمية ، بيروت ، (63/1) ، مادة (بني) .

[2] ينظر : لسان العرب مرجع سابق ،(94/14) ، مادة (بني) .

[3] البنيوية: جان بياجيه: ترجمة عارف منيمنة وبشير أوبري، منشورات دار عويدات، بيروت- باريس ط3/ 1982، ص 81. وكذا: نظرية البنائية في النقد الأدبي: صلاح فضل، منشورات دار الآفاق الجديدة- بيروت لبنان ط3، 1983، ص 188.

[4] البنيوية: جان بياجيه ، مرجع سابق ،ص 67.

تحليلها يجب أن تتم من خلال علاقات عناصرها دون أية اهتمامات خارج هذا الإطار ،وهذا ما يدفعنا إلى الحديث عن خصائص البنية التي تسمح لها بالاحتفاظ بقدراتها الذاتية داخل نظامها الداخلي المحكم.[1]

1/خصائص البنية:

إن البنية تميزها خصائص ثلاث: الكلية، التحولات، الضبط الذاتي (التحكم الذاتي). وهذا ما حدده **'بياجيه'**

1-1-الكليَّة:

تعني أن **البنية** ليست موجودة في الأجزاء. أي أنها تتكون من عناصر داخلة تقوم بينها علاقات وتحكمها قوانين تميزها عن غيرها .[2]

1-2-التحولات:

وهي التي تمنح البنية حركة داخلية وتقوم في الوقت نفسه بحفظها ،وإثرائها دون أن تضطرها إلى الخروج عن حدودها ،أو الانتماء إلى العناصر الخارجية.[3]

فهي حركة البنية المستمرة، أو حركة عناصرها، ونفي مظاهر السكون عنها ،وتعد النظرية التوليدية التحويلية في علم اللغة ،التي أسس لها ''**شومسكي** Chomsky'' أفضل ما يعبر عن خاصية التحولات.[4]

1/3-الضبط الذاتي (التحكم الذاتي):

ويعني أن البنية كيان عضوي متسق مع نفسه منغلق عليها مكتف بها ،فهي كل متماسك له قوانينه وحركته وطريقة نموه وتغيره ،ومن ثم فهي لا تحتاج إلى تماسكه الكامن.[5]

---

[1] صلاح فضل : نظرية البنائية في النقد الأدبي، ، منشورات دار الآفاق الجديدة- بيروت- لبنان، ص 1985/3، ص 188.
[2] جان بياجيه، البنيوية، ترجمة: عارف منيمنة وبشير أوبريمرجع سابق، (ص 8-16).
[3] نفس المرجع ص (8-16)
[4] عبد الله الغدامي : الخطيئة والتكفير (من البنوية إلى التشريحية) - النادي الأدبي الثقافي- جدة- المملكة العربية السعودية- ط1985/1، ص 32/31.
[5] جان بياجيه، البنيوية، ترجمة: عارف منيمنة وبشير أوبري مرجع سابق ص (8-16)

إن خواص البنية التي تم ذكرها ،هي خواص دائمة ومشتركة لأية بنية من البنى ،وتعد بمثابة القانون العام الذي يحكم عمل مختلف البنى مهما كانت طبيعتها. ويمكن أن نشير هنا إلى أن العالم الاجتماعي البنيوي "**كلود ليفي ستروس Claude Levi Strauss**" كان قد رأى أن النماذج المصوغة من العلاقات الاجتماعية والتي تستحق أن يطلق عليها تسمية بنية ،يجب أن تلبي حصراً شروطاً محددة، منها: اتصاف البنية بطابع النظام، لكونها تتشكل من عناصر يستبع تغير أحدها تغير العناصر الأخرى ،وأن مجموعة التحولات التي يشكل كل منها نموذجاً معيناً يجب أن تشكل مجموعة من النماذج، مع النظر إلى أن تغيير أي عنصر من عناصر النموذج يجب ألا يمر دون إثارة ردود فعل على هذا التغيير.

أما الشرط الأخير فيتعلق ببناء النموذج ذاته، بحيث يتوجب بناؤه بطريقة يتمكن عمله من تسويغ جميع الوقائع الملاحظة. وهذا ينسجم مع خواص البنية وطبيعة حركتها وعلاقاتها وقوانينها، من حيث اتصاف البنية بالكلية والتحول والضبط الذاتي.[1]

ما نخلص إليه مما سبق أن بنية الخطاب' **النورسي**' تبرز في الكيفية المكثفة التي استخدم بها **'النورسي'** الأصباغ والتلوينات اللغوية، إذ لَمَّا كان الدافعُ إلى التعبير قلبيا، كان لا بد للأفكار أن تتلبس من الكلمات والصيغ ما يشي بلونها. من هنا تواترت النعوت وأسماء الإشارة والموصول، يقول: من بين وسائط الإشارة والتصوير لفظ "الذي"، وألفاظ الخبر والحال أو ما في معناهما كالبدل والتمييز والتوكيد.[2]

التوسع في استغلال الحيز المكاني من أبرز ما يعطي لأدبية **'النورسي'** صبغتها التشكيلية، ذلك لأن الكلمة في الخطاب التشكيلي هي القيمة المشعة، ذلك لأن **'النورسي'** كان يدرك قيمة الخطاب وأن الكلمة هي وسيلته

[1] عبد الله الغدامي : الخطيئة والتكفير (من البنوية إلى التشريحية) المرجع السابق ، ص 32/31.
[2] الإحساسية في فن بديع الزمان النورسي، مرجع سابق.

الوحيدة للوصول إلى الآخر، ولذا كان حرصه كبيرا على أن تأتي الصورة التي تُشكّلها الكلمات في مستوى من الاكتمال والتعبيرية بحيث تفي بالغرض التبليغي، وتؤدي وظيفتها على نحو فعّال.[1]

وخطته في التعامل مع اللغة أن يرصد الدوال الأكثر قدرة على تصعيد شُحنة الأداء، تأتي من اختيار الكلمة المتأهّبة التي تمدّ المتلقي بحمولة محسوسة من المعنى المقصود.

ثانياً: النظام:

يتشكل النظام من العلاقات القائمة بين عناصر البنية، باعتبارها ''نظام تحولات'' تنتظم من خلاله علاقات عناصر البنية، التي تضمن الحفاظ على تماسك البنية دون أن يعني ذلك تغير هذا النظام بتغير العناصر المتعالقة داخله. يشير (سوسير De Saussure) إلى أن التبدلات التي يمكن أن تطرأ على البنية لا تؤثر على نظامها، بل تؤثر على بعض عناصرها التي سرعان ما تندرج في إطار نظامها الخاص.[2]

إن تحديد أي وحدة في نظام ما تأخذ مكانها ضمن تنظيم كلي، باعتبار أن العناصر اللغوية لا قيمة لها ولا واقع لها بشكل مستقل عن علاقاتها بالمجموع، فالبنية لا يمكن أن تنفصل عما تبنيه، ولا يمكن أن تنفصل عن تحولاتها المستمرة .[3]

هناك من يشير إلى أن النظام في النص لا يكمن في ترتيب عناصره، وإنما يكمن في شبكة من العلاقات تنشأ بين الكلمات، "ومتى كانت هذه العلاقات متكاثرة مكثفة كان النص أوغل في الأدبية".[4]

كان ''شومسكي Chomsky'' قد حدد طبيعة التحليل اللغوي بأن "ميّز بين نظامين من القواعد" في نحو أية لغة كانت: فمن جهة هناك نظام الأساس الذي يولد التراكيب العميقة، ومن جهة أخرى، النظام التحويلي

---

[1] المرجع السابق .
[2] كلود ليفي ستروس ، الانتروبولوجيا البنيوية: - تر .مصطفى صالح- منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي- دمشق- د.ط/ 1977، ص 328.
[3] فرديناند دي سوسير : محاضرات في الألسنية العامة: ، تر ،يوسف غازي- مجيجد النصر- دار النعمان للثقافة- جونية- لبنان- د.ط 1984، ص 109.
[4] حسين الواد : قراءات في مناهج الدراسات الأدبية: - دار سراس للنشر- تونس 1985 ص 45.

الذي يجعلها تتحول إلى تراكيب سطحية[1]. وقد أشار (شومسكي Chomsky) إلى أن قواعد التركيب هي قواعد اللغة ذاتها التي تشتمل على إمكانية صياغة جمل لا حصر لها.

وهذه هي تحولات النظام التي هي تحولات للبنية، لأن اللغة بحد ذاتها، غير ثابتة، وإنما هي خاضعة دوماً للتطور وفقاً لمتطلبات التواصل، وما النظام التزامني الذي نشير إليه، إلا عملية قطع لتطور اللغة يتم استحداثه من أجل ضبط عملية وصف اللغة وآلية عملها وفهمها، ضمن مرحلة معينة، وداخل علاقات محددة وإطار محدد. وفي هذه الحال يمكن القول: إنه لا توجد تزامنية دون تزامنية، طالما أنه لا يوجد سكون أو ركود في اللغة. فالتزمنية هي عملية تتابع للتزامنية، والتزامنية هي نقطة وقوف على مسار التزمنية. وما التحول إلا حالة تزامنية من بنية تزامنية إلى بنية تزامنية أخرى، تتم وفقاً لقواعد وقوانين محددة.[2]

لقد ركز (سوسير Saussure) على "**العلامة**" التي تشكل العنصر الرئيسي في البنية اللغوية. و"**العلامة**" لا تربط شيئاً باسم بل تصوراً بصورة سمعية، كما أن **'سوسير** Saussure' قد وسم هذين المظهرين "بالدال " و " المدلول " الذين يشكلان الركيزة الأساسية في النظام .[3]

نشير في الأخير إلى وجود أكثر من نظام لهذه اللغة دون أن يعني ذلك خروج أي من هذه الأنظمة على القوانين العامة التي تحكم هذه الأنظمة المتكاملة جميعها، كما أن النظام لا يُفرض على اللغة من الخارج، من هذا الأساس اعتبرت اللغة بأنها " نظام من العلاقات التي تعبر عن أفكار معينة " وهي نظام علامات مترابط ومنضبط .

---

[1] ماري زيادة : اللسانيات وخطاب التحليل النفسي عند جاك لاكان: تر .فاطمة طبال بركة، مجلة الفكر العربي المعاصر، العدد 23 كانون أول كانون ثاني 1983/982، ص 68.

[2] دراسة دراسة: .يوسف حامد جابر مرفوعة من موقع : http://www.aranthropos.com يوم 2015/09/10

[3] Dictionnaire de Linguistique Libraire Larousse. P.277.

ثالثاً: الوظيفة:

لعل أهم ما يلامس بحثنا هو هذا العنصر الذي تعني فيه الوظيفة بأنها دخول عنصر في البنية مع عنصر آخر في علاقة متبادلة، أو دخول جملة مع جملة، أو نص مع نص؛ هذه العلاقة هي ما يمكن أن نطلق عليه تسمية ''**الوظيفة**''. فالوظيفة :هي التي تحدد ليس طبيعة العلاقة بين مكونات البنية فحسب، وإنما فاعلية هذه المكونات بالنظر إلى نشاطها الذي يمارسه كل عنصر منها داخل المجموعة التي ينتمي إليها.

فالتحليل الوظيفي يعمل على ربط النظام اللغوي بالوظائف التي يمكن لهذا النظام أن يؤديها من خلال التراكيب المختلفة التي تشكل بنية هذا النظام وأساسه؛ مع النظر إلى أن كل تركيب أو بناء لغوي يمكن أن يؤدي وظيفة مختلفة[1]

قد نال مفهوم الوظيفة اهتماماً لدى الباحثين خاصة الوظيفيين منهم في تخصصات مختلفة، كونه يعنى بالقيمة الاتصالية للغة، ويعني بالقيمة الاتصالية مع سائر الأنساق. فنرى ''أندريه مارتينيه André Martinez'' يؤكد على علم اللغة الوظيفي، بقوله عن هذا العلم، إنه ''ليس فصلاً من علم اللغة، بل هو علم اللغة كله... وأن وظيفة وحدة أو بنية هي التي تسمح بالوصول إلى التفسير الكامل للواقعة اللغوية''[2]

أشار''إدوارد سابير Edward Sapir'' مسألة التفاعل بين مفهومين أساسيين من مفاهيم اللغة، هما مفهوم الشكل ومفهوم الوظيفة، وربط القول **بالمقصدية** التي تعمل على تشكيل العملية اللغوية بما ينسجم مع هذه المقصدية وأهدافها الإبلاغية، وبما يسمح للمرسل بتوصيل ما يرغب فيه للآخر؛ مع العلم أن أي شكل لغوي سيؤدي وظيفة مغايرة للوظيفة التي يمكن أن يؤديها شكل لغوي آخر.[3]

يبقى المعنى هو المرتكز الذي تسعى إليه مختلف الوظائف التي يتم الكشف عنها في هذا الإطار.

---

[1] : فردينان دي سوسر ، محاضرات في الألسنية العامة ، مرجع سابق ، ص 88.
[2] يحيى أحمد ، الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة. ، مجلة عالم الفكر، العدد الثالث/ 1989، ص 72.
[3] جورج مونان، علم اللغة في القرن العشرين: ، تر .نجيب غزاوي- وزارة التعليم العالي- سوريا- ط3. دت. ص169.

قد اهتم "هيلمسليف L. Hjelmsleve" بتحليل المعنى، وذلك بالكشف عن الوظائف التي تحدده، مشيراً إلى أن دخول الشكل اللغوي في إطار علاقات بنية معينة هو الذي يحدد وظيفته ويعطيه معناه.[1]

لعل "**جاكوبسون** R. Jakobson" كان من أبرز علماء اللسانيات الذين لفتوا الانتباه إلى وظائف اللغة، وأن مفهوم اللغة يجب أن يُدرس بوصفه نظاماً وظيفياً، وأن الكشف عن هذا النظام إنما يتم من خلال وظيفة العناصر الداخلة فيه. وقد رأى أن هناك **'ست وظائف'** للاتصال كان قد صنَّفها على الشكل التالي:

1-الوظيفة التعبيرية (La fonction expressive).

2-الوظيفة النزوعية (La fonction conative) أو (الأمرية).

3-الوظيفة الإدراكية (La fonction cognitive) أو الإرجاعية المركزة على السياق.

4-الوظيفة التوكيدية (La fonction phatique).

5-الوظيفة ما بعد اللغوية (metalinguistique).

6-الوظيفة الشعرية (Fonction poetique) المركزة على الرسالة بالذات.[2]

على الرغم من اعتراض بعضهم على هذا التقسيم، من أنه تقسيم غير كاف، وأن (**جاكوبسون**) لم يستوف وظائف اتصالات اللغة كلها، إضافة إلى بعض اللبس الكامن في نظريته، ولا سيما في تمييز وظيفة عن أخرى ، إلا أنها تعتبر من حيث شموليتها، من أبرز النظريات التي تعالج وظائف اللغة من خلال وصف استعمالاتها وشرحها .قد تأثر **'جاكبسون'** في هذه الخطاطة التواصلية بأعمال**'فرديناند دوسوسير'**، وأعمال الفيلسوف المنطقي اللغوي **'جون أوستين John Austen'**.

هناك من يزيد الوظيفة السابعة للخطاب اللساني، وهي الوظيفة الأيقونية كما عند السيميائي **'ترنس هوكس Trans Hawks'**، وذلك بعد ظهور كتابات **'جاك دريدا** Jack Derrida'، وانبثاق

[1] تمام حسان : اللغة بين المعيارية والوصفية ، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، د.ط.ت. ص 122/121.
[2] جورج مونان ، علم اللغة في القرن العشرين مرجع سابق: ، ص 133/132.

السيميوطيقا التواصلية. كما يضيف **'عبد الله الغذامي'** الوظيفة الثقافية في إطار النقد الثقافي. أما **'هاليداي** Halliday ' التداولي، فيركز على ثلاث وظائف للغة: **الوظيفة التمثيلية** (الإحالة على العالم الداخلي والخارجي للذات المتكلمة)، **والوظيفة التعالقية** (اتخاذ دور من الأدوار الاجتماعية بالنسبة للمخاطب كدور المخبر، ودور السائل، ودور الآمر)، **والوظيفة النصية**(تنظيم الخطاب حسب مقتضيات مقام إنجازه). وهذه الوظائف الثلاث مستقلة، على الرغم من كون هذه الوظائف الثلاث تصب كلها في وظيفة واحدة، ألا وهي وظيفة التواصل. [1]

ما نخلص إليه هو أنه لا يمكن أن ننظر إلى الوظيفة بمعزل عن النظام ، وأن هذه الوظيفة تمتلك القدرة على كشف المعاني التي يهدف النظام اللغوي إلى توصيلها

المبحث الثاني الخطاب :

أولا الخطاب :

من الضروري قبل الشروع في أي بحث من تحديد مصطلحاته وتجلية مفاتيحه والوثوق في نجاعة وسائله الإجرائية التي تشتغل عليها أجهزته المفاهيمية قصد بلوغ النتائج المتوخاة . في هذا البحث ارتأينا تحديد مفهوم اجرائي لمصطلح "**خطاب**"، فمن الضرورة بما كان الحديث عن هذا المصطلح الوارد في هذا البحث من حيث مفهومه والتمييز بينه وبين مصطلحات أخرى جارية في ركابه، كمصطلح "**النص** "[2]

1/الخطاب لغة:

لعل أهم ما يرشدنا إلى المفهوم الاصطلاحي هو تلك العلاقة بين الفهم اللغوي للفظ واستعماله الاصطلاحي.

---

[1] جميل حمداوي ، المقــاربة التداولية في الأدب والنقــد : من http://www.diwanalarab.com
[2] الساسي عمامرة ، الخطاب الصوفي ، وغشكالاته التواصلية ، أطروحة دكتوراه ، جامعة محمد خيضر بسكرة ، تخصص علوم اللسان العربي ، الجزائر ، 2015 ، ص 15.

خطَبَ: الخَطْبُ: الشَّأْنُ أَو الأَمْرُ، صَغُر أَو عَظُم؛ وقيل: هو سَبَبُ الأمر. يقال: ما خَطْبُك؟ أَي ما أَمْرُكَ؟ وتقول: هذا خَطْبٌ جليلٌ، وخَطْبٌ يَسير. والخَطْبُ: الأَمر الذي تَقَعَ فيه المخاطَبة، والشأْنُ والحالُ؛ ومنه قولهم: جَلَّ الخَطْبُ أَي عَظُم الأَمرُ والشأْن. وفي حديث عمر، وقد أَفْطَروا في يومٍ غيمٍ من رمضان، فقال: الخَطْبُ يَسِيرٌ. وفي التنزيل العزيز: "قال **فما خَطْبُكُم أَيُّها المُرْسلون**" الذاريات آية 31. وجمعه خُطُوبٌ؛ فأَما قول **الأَخطل**:َ لَمْعِ أَيْدِي مَثَاكِيلٍ مُسَلَّبةٍ ... يَنْدُبْنَ ضَرْسَ بَناتِ الدَّهْرِ والخُطُبِ إِنما أَراد الخُطوبَ، فحذفَ تَخفيفاً، وقد يكونُ من باب رَهْنٍ ورُهُنٍ[1]

وأصله اللغوي عند الغربيين مأخوذ من أصل لاتيني يسمى :

"**DISCURSUS** "المشتق بدوره من "**DISCURRERE**" الذي يعني (الجري هنا وهناك) أو (الجري ذهابا وإيابا) وهو فعل يتضمن معنى التدافع الذي يقترن بالتلفظ العفوي، وإرسال الكلام، والمحادثة الحرة، والارتجال[2]

2/الخطاب اصطلاحا:

كل ملفوظ يندرج تحت نظام اللغة وقوانينها فهو نص، وإذا ما خرج ليندرج تحت السياقات الاجتماعية سمي خطابا، فالخطاب إذن يطلع بمهمة توصيل رسالة، ومن ثم فهو مغمور في الأيديولوجيا ،ومبالغ في خرق النظام بحثا عن المرجع، هكذا **تنظر "يمنى العيد"** إلى الخطاب .وانطلاقا من قولها هذا نصدر حكما مقتضاه أن النص الأدبي هو خطاب، وليس سوى خطابا؛ ومن ثم فإن "**النص الأدبي**" في أبسط مظاهره(كلام) والنص الأدبي يبدعه فرد من الجماعة ،ويتجه به إلى مجموع القراء، لذلك تناوله علم الاجتماع بالدرس، وهكذا إلى آخر العلوم الإنسانية ، علما أن لكل منها طريقا تسلكه إلى الظاهرة الأدبية فتمتحن مناهجها عليه[3]

[1] أبو الفضل ابن منظور، لسان العرب، دار صادر للطباعة والنشر،بيروت،1965، مادة خطب
[2] جابر عصفور : أفاق العصر، مهرجان القراءة للجميع، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1997م، ص64
[3] حسين واد ،في مناهج الدراسة الأدبية، دار سراس للنشر، تونس 1985، ص 37.

حيث ينطلق صاحب النص من كون النص الأدبي مظهرا كلاميا احتوته علوم اللسان من منطلق أنه سلوك لفظي، يومي يتصف بطابع الفوضى، والتحرر ويشكل مصدرا للغة، لكونه نتاجا فرديا صادرا عن وعي وإرادة، واختيار حرّ من قبل الناطق، الذي يستخدم أنساقا للتعبير عن فكره الشخصي، مستعينا في إبراز ذلك بآليات نفسية وفيزيائية[1] الغرض من إبداع النص ليس سوى التوجه به إلى مجموع القراء، بذلك تكتمل الحلقة التواصلية مشكلة من باث ومتلق، ورسالة مشحونة ببلاغ، بالإضافة إلى الشفرة المتعارف عليها لفك الرموز البانية للخطاب، ذلك لأن "الخطاب لا يتم إلا بين شخصين فما فوق ،لأن الكلام لا يتم إلا به، وأن التواصل لا يتحقق إلا بوجوده، وقد أشار "**القاضي عبد الجبار**" إلى أن المخاطبة مفاعلة، ولا تستعمل إلا بين نفسين يصح لكل واحد منهما أن يخاطب ابتداء، ويجيب صاحبه عن خطابه"[2]

يمكن القول : إن للخطاب جذور في اللسانيات، لكونه يستمد وجوده من ثنائية "**اللغة**" و"**الكلام**" التي قال بها "**دو سوسير Du Saussure** "، للخطاب كذلك جذور في الأسلوبيات، سواء من واجهتها القديمة التي تعنى بالبلاغة إلى جانب قواعد اللغة، أو من واجهتها الحداثية التي راعت النظام الصوتي والتركيب المورفولوجي، والبناء الدلالي، أي الملفوظ الذي يراه اللسانيون نصا، ويراه النقاد خطابا، سلوكه لغوي تظهر فيه جدلية الصراع بين الدوال والمدلولات.

يعد الخطاب في البحث النقدي، فعل النطق، أو فعالية تقوّل، تصوغ في النظام ما يريد المتحدث قوله " **الخطاب**" إذن كتلة نطقية لها طابع الفوضى وحرارة النفس، ورغبة النطق بشيء، ليس هو تماما الجملة، ولا هو تماما النص، بل هو فعل من يريد أن يقول "[3]

أما "**ميخائيل باختين "Bakhtin Mikhail**" يرى أن الخطاب هو اللغة المجسدة ذات الشمول والاكتمال، كما أنه يرتبط بشكل أو بآخر بالكلمة المنطوقة، التي تقوم على أساس العلاقات الحوارية سواء

[1] رابح بوحوش، الأسلوبيات وتحليل الخطاب ،مختبر جامعة عنابة ،2006،الجزائر ص 71.
[2] أحمد يوسف ،سيميائيات التواصل وفعالية الحوار،م مخبر السيميائيات جامعة وهران،2004 الجزائر،ص 22.
[3] رابح بوحوش، المرجع السابق،ص 85.

داخل أو خارج اللغة، من خلال زاوية حوارية، ومن ثم تكون العلاقات الحوارية خارج نطاق علم اللغة، ولكن – في الوقت نفسه – لا يجوز أن تفصل عن مجال الكلمة، أي عن اللغة بوصفها ظاهرة ملموسة ومكتملة، فاللغة تحيا فقط في الاختلاط الحواري بين أولئك الذين يستخدمونها...[1]

من خلال هذه الرؤية، يرى **'جابر عصفور'** أن دراسة الخطاب لدى "**باختين**" تعني دراسة عمليات التلفظ اللغوي في سياقات أدائها الاجتماعي، وذلك على أساس أن السياق الاجتماعي هو جزء لا ينفصل عن أي فعل لغوي، وأن معنى كل تلفظ يتضمن وضع المتكلم بوصفه ذاتا اجتماعية تنعكس على غيرها، كما يتضمن أفق الاستقبال الذي يعني القيم السابقة للمستمع، والتجسد التاريخي للغة بوصفها فضاء ايديولوجيا تؤسسه، وتتفاعل فيه، بوصفها ظواهر اجتماعية، وبوصفها علاقات (علامات) قوة في الوقت نفسه [2]

3/تعريف "الخطاب الإسلامي":

يمكننا أن نعرف الخطاب الإسلامي تعريفًا موجزا حيث يعني: الكلام الذي يستند لمرجعية إسلامية من أصول القرآن والسنة، وأي من سائر الفروع الإسلامية الأخرى، سواء أكان منتج الخطاب جماعة إسلامية أم مؤسسة دعوية رسمية أو أهلية أم أفرادًا متفرقين، جمعهم الاستناد للدين وأصوله، مرجعيةً لرؤاهم وأطروحاتهم، ولإدارة الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية التي يحيونها، أو للتفاعل مع دوائر الهُويات القطرية أو الأممية أو دوائر الحركة الوظيفية التي يرتبطون بها ويتعاطون معها.[3]

والخطاب كما قيل: هو الكلام الذي يُقصد به الإفهام، إفهام من هو أهل للفهم، والكلام الذي لا يقصد به إفهام المستمع، فإنه لا يسمى خطابًا، والإسلام هو خطاب الشارع للمكلفين كما عند الأصوليين.

أما على مستوى المفاهيم الحديثة:

---

[1] ينظر باختين، ميخائيل: شعرية دوستويفسكي، ترجمة جميل نصيف التكريتي، دار توبقال، ط1 ،الدار البيضاء 1986 م، ص267.

[2] جابر عصفور : أفاق العصر، مهرجان القراءة للجميع، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1997م، ص68.

[3] من بحث " توظيف الوسائل التكنولوجية المعاصرة في تطوير الخطاب الإسلامي" - مؤتمر اتحاد علماء المسلمين 2012

الخطاب: اصطلاح فلسفي، يقارب في الدلالة "المقولة الفلسفية"؛ فالخطاب الفلسفي لفلان هو منهاجه في التفكير والتصور وفي التعبير عن أفكاره وتصوراته، وهذا الخطاب يتعارضُ أو يتوافقُ مع الخطاب الفلسفي لعلان.

ودخل هذا المفهوم في الفكر السياسي المعاصر، فصار الخطاب السياسي منطويًا على المنظومة الفكرية والمضمون الإيديولوجي، مما يجعل الخطاب السياسي لهذه الجماعة معبرًا عن عقيدتها السياسية واختياراتها المذهبية؛ فالخطاب في هذا المقام ليس مجرد أسلوب للتبليغ، وطريقة للتعبير عن الرأي والموقف.. لكنه، أيضًا، الوعاء المعبر عن العقيدة والروح والفلسفة والمذهب.

وينطبق هذا المفهوم أيضًا على الخطاب الثقافي، والخطاب الأدبي، والخطاب الفني، والخطاب الإعلامي، وإن كان الخطاب الإعلامي أكثر استيعابًا للمضامين الواسعة، بحيث يمكن أن يستوعب المستويات الخطابية جميعًا، فيكون الخطاب الإعلامي الديني، والخطاب الإعلامي الفلسفي، والخطاب الإعلامي السياسي ... إلخ.[1]

إذا كان الخطاب في علاقته بالدين يشكلان علاقة الظاهر بالباطن كمستويين يكونان موضوع التلقي. فالخطاب نسق بنائي تشكله (في حالة الخطاب اللغوي) دوالّ ينتجها مرسل إلى متلقي. أما الديني فهو المقولة التي تمثل حمولة هذا الخطاب. فالخطاب دالّ يقول الديني عقيدة وحقائق، التي بدورها تشكّل ما يخبر عنه الخطاب، فهي مجموع معانيه التي يبتغي منتج الخطاب تمريرها إلى المتلقي. أما النص الإبداعي فيقوم أساسًا على مبدأ البديل الخطابي الذي له أدواته التواصلية الإجرائية المفارقة للخطاب العادي من جهة طبيعة الممارسة، والمحايثة للخطاب من جهة مفهومه.

يتأسس مفهوم الخطاب النوعي على بعد التواصل، وكل الكتابات التي تناولت هذا المفهوم أو تلك

[1] **من بحث " توظيف الوسائل التكنولوجية المعاصرة في تطوير الخطاب الإسلامي" - مؤتمر اتحاد علماء المسلمين 2012**

التي ضمّنته في سياقاتها الفكرية اشتغلت عليه بوصفه حالة تواصلية.[1]

تجمع بين طرفين: المتكلم، وما يتجاوز المتكلم من فعل التلقي المفتوح على الزمن. فالخطاب بوسائله المختلفة اللغوية وغير اللغوية يرتبط حيويًا بأنا المتكلم، ومجموع المحددات الذاتية والسياقية التي تخضع لها هذه **الأنا**[2] أما المعنى فيتشكل من تلك الأفكار التي يريد المتكلم تقاسمها مع المخاطَب، ولأجلها كان تعامله مع اللغة موظِّفًا ومستثمرًا نظامها، ونحن إذ نرصد تحولات هذه العلاقة بين المتكلم في اتجاه اللغة، وبينه وبين المخاطَب، لا نستطيع أن نبعد دور السياق الحاضن لعملية التواصل في مجملها؛ ذلك أنه -**أي السياق**- يمارس فعالية مهمة في ضبط وتوجيه كيفيات التواصل بما تحقق له من مواصفات تؤثر على المتكلم وعلى علاقته باللغة وإلى أي مدى يتحقق التلقي المثالي وفق موجبات هذا السياق[3].

لا يمكن تحقيق الرصد الكامل لمفهوم الخطاب دون استحضار المتلقي الذي يمثل عنصرًا حيويًا في منظومة التواصل، وفي قدرته على تحيين المعنى عبر التاريخ.

ذلك أن المتكلم في الخطاب لا يستطيع التحرر من الارتهان إلى الزمن وإلى خصوصيات لحظة إنتاج الخطاب، على الرغم من كونه الأصل والمبدأ في مشروع التواصل، في حين أن التلقي هو ممارسة مفتوحة تتزايد مشروعيتها عبر الزمن من خلال قدرتها على إحياء وتجديد الخطاب، وما تمتلكه من إمكانات تحرير المعنى من أحادية الأبعاد؛ لذلك نقول إن الخطاب يمتلك أهميته وحيوية مفهومه لا فقط من خلال ارتباطه بمنتجه التاريخي (المتكلم)، وإنما بمنتجه العبر تاريخي وهو المتلقي.

ثانيا /النص :

1-مفهوم النص وأهميتة الاجتماعية :

يعد النص أحد المرتكزات الأساسية التي تقوم عليها الحياة ، الاجتماعية ، لذلك تزخر حياتنا الاجتماعية بأنواع مختلفة من النصوص الفلسفية والدينية والأدبية وغيرها ، وكل واحد له دوره المتميز في تحريك

---

[1]- **الجابري، محمد عابد، الخطاب العربي المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، ط 5، 1994.** نقلا عن إبراهيم أنيس الكاسح، لخطاب الديني واستثمار ممكنات النص الإبداعي،http://www.alukah.net .

[2]- **إسماعيل، عز الدين، الأسس الجمالية في النقد الأدبي، دار الفكر العربي، ط 3، 1974.** نقلا عن إبراهيم أنيس الكاسح، لخطاب الديني واستثمار ممكنات النص الإبداعي، http://www.alukah.net.

[3]- **يونس، محمد، مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، دار الكتاب الجديد المتحد، بيروت، 2004.** نقلا عن إبراهيم أنيس الكاسح، لخطاب الديني واستثمار ممكنات النص الإبداعي، http://www.alukah.net.

التفاعل الاجتماعي والنص ليس مجرد تدوين للحفظ والتسجيل لكنه يمثل سلطة تقنين وتوجيه وتشريع ... وغالبا ما يتخذ النص شكلا كتابيا يضمن له صورته الظاهرية المجسدة، مما يجعل التعامل معه تعامل مع واقع ملموس .[1]

يعد النص من المصطلحات الأكثر تداولا عند الباحثين والدارسين خاصة في الدرس اللغوي الحديث فقدمت له تعريفات متعددة حاولت جميعها الإلمام بما يحتويه من أفكار ومرجعيات ساهمت في تشكله ، ومهما تعددت التعريفات والتحديدات يبقى مفهوم النص في الدرس اللغوي الحديث غير المفهوم المعروف والمتداول في التراث العربي الإسلامي، وتدور محتويات التعريفات الحديثة بما نقله "**سعيد حسن بحيري**" على اشتراط وحدة الموضوع ووحدة المقصد، والنص عند أغلب المعاصرين يتجاوز الكينونة اللغوية المحدودة ولا ينحصر في مقولة اللغة رغم تشكله منها وإنما يراعي الواقع الخارجي فهو المعادل للواقع الإنساني الكوني .[2]

ينبغي الإشارة إلى تزاحم مصطلحين هم 'الخطاب والنص '، ونجد اضطرابا ولبسا في استعمالهما وقد ظهر ذلك في الثقافة الغربية قبل انتقاله إلى اللغة العربية ، عن طريق الترجمة ، يقول "**محمد العبد**" : "...**وإن كان يغلب في التقليد الأوروبي استخدام النص، على حين يغلب استخدام الخطاب في التقليد الأنجلو أمريكي بيد أن التداخل بين النص والخطاب من حيث هما مصطلحان محوريان، وعلمان لسانيان، مما لا يحسم أمره في الأدبيات، وتستطيع عبارات مثل (خطاب النص)، (نص الخطاب) (النص بنية خطابية)، (الأدب خطاب نصي) .... وغيرها أن تؤكد التداخل والاشتباك بين هدين المصطلحين**"[3] .

---

[1] **الأخضر الصبيحي ، مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه ، الدار العربية للعلوم ، ص 14/13 .**
[2] **سعيد حسن بحيري ، علم لغة النص ، المفاهيم والاتجاهات ، الشركة المصرية العامة للنشر ، القاهرة 1997، ص 109.**
[3] **محمد العبد ، النص والخطاب والاتصال ، ط1 ، الاكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي ، القاهرة 2005 ، ص 07.**

يقول **'بول ريكور Paul Ricor '** : " تطلق كلمة النص على كل خطاب تم تثبيته بالكتابة وهذا التثبيت أمر مؤسس للنص ذاته ومقوم له " [1]

يحتمل مفهوم النص في اللغة العربية عدة معان منه الرفع ، الإظهار وغير ذلك يقول **'ابن منظور'** في معجمه لسان العرب " النص رفعك الشيء .... وكل ما قد أظهر فهو نص وأصل النص أقصى الشيء ..."[2] من الملاحظ أن العرب وضعوا حدودا للنص من حيث وجوبه الغاية باكتمال المعنى والدلالة وكأن النص مرتبط بالظاهر والبيان .

2-مفهوم النص لدى الغربيين المعاصرين والعرب المعاصرين

عند العودة إلى الأصل اللاتيني لكلمة نص في اللغات الأوروبية تحيلنا إلى "**Text** " أو "**Texte**" المشتقين من **Textus** "بمعنى **النسيج**، وهو ما يحيل إلى تلك العلاقات التي تربط الوحدات اللغوية فيما بينها بوساطة ربط عناصر ربط تشكل عاملا مهما في بناء النص، وتجاوزت الدراسات اللغوية الحديثة الدراسات القديمة وذلك باعتبار **النص** وحدة كبرى وبدأ الاهتمام بنحو النص .

وعليه **فالنص** نسيج من الكلمات يترابط بعضها ببعض هذه الخيوط تجمع عناصره المختلفة والمتباعدة في كلّ واحد، وهو ما نطلق عليه بمصطلح النص " [3]

أما عن مفهوم النص في اللسانيات الحديثة فقد جاء في معجم اللسانيات الحديثة : **"نسمي نصا مجموع الملفوظات التي يمكن اخضاعها للتحليل ، فالنص إذا عينة من السلوك اللغوي الذي يمكن أن يكون مكتوبا أو منطوقا "**

---

[1] الأخضر الصبيحي ، مرجع سابق ، ص 14.
[2] أبو الفضل جمال الدين بن مكرم بن منظور ، لسان العرب ، المجلد 11 ، مادة نصص .
[3] الأخضر الصبيحي ، مرجع سابق ص 19.

تعرّفه "**رقية حسن وهاليداي**" في كتابها (**الانسجام في الإنجليزية**) بقولهما " إن كلمة نص تستخدم في علم اللغويات لتشير إلى أي فقرة مكتوبة أو منطوقة مهما كان طولها شريطة أن تكون وحدة متكاملة " [1] ما نستنتجه من تعريفات النص هو أن النص وحدة دلالية " ليست وحدة شكل بل وحدة معنى" .

أما "**محمد مفتاح**" يعول على ثلاثة منطلقات للنص تتمحور حول تجاوز ثنائية الحقيقة والاحتمال إلى عنصر الممكن .[2] وبذلك يتحقق تجاوز الرؤية التقليدية من حيث أحادية معناه وشفافيته وصدقه، ومن الغربيين من وضع النص في دراسة بنيوية تركز على دراسة اللغة لذاتها ومن أجل ذاتها ، فهو بنية لسانية سطحية ، ويعتبر النص عند "**رولان بارث r.barth** " النص بأنه قوة متحولة متجاوزة ظاهرة الأخبار والمراتب المتعارف عليها لتصبح واقعا نقيضا يقاوم الحدود وقواعد المعقول والمفهوم .

هذا ما نلاحظه على نصوص **المثنوي العربي لنوري** إذ أن **'سعيد النورسي'** قد علق نصوصه بالمثنوي **'لجلال الدين الروم'** وكذلك كتابات ونصوص أخرى، وهذه يعترف بها جلية في بداية المثنوي العربي .

هذا ما يدعى بالتناص أو تداخل النصوص، فالنص ذو إنتاجية يتعلق بنصوص أخرى، ونجد هذا جليا في تعريف "**جوليا كريستيفا** Julia Christieva " الذي ترى فيه " بأنه نظام غير لغوي وذلك بإقامة علاقات بين الكلام التواصلي الذي يهدف إلى الإبلاغ المباشر وبين الملفوظات القديمة والمعاصرة " عكس التعاريف البنيوية للنص **أخرجته "جوليا كريستيفا"** من الإطار الشكلاني إلى فسحة المجتمع والتاريخ مركزة على رسالته، وعلى علاقته بالنصوص الأخرى، وهو ما يسمى " **بالتناص** " [3] ، ويقول "**محمد مفتاح**" في هذا " **التناص** هو:"تعالق نصوص مع نص حدث بكيفيات مختلفة " ، وهو يتجاوز المكونات الدلالية إلى مكونات تأويلية وتلفظية .[4]

---

[1] **المرجع السابق ، ص 21/20.**
[2] **محمد مفتاح ، تحليل الخطاب الشعري استراتيجية التناص ، المركز الثقافي العربي ، (د.ط) الدار البيضاء المغرب ، 1986 ، ص 121.**
[3] **الأخضر الصبيحي ، مرجع سابق ص 23.**
[4] **المرجع نفسه ، ص 121.**

وبخطية الدال اللغوي يظهرا لنّص مكوناته، ومن الملائم أن يكشف أي باحث عن العناصر التي تسمح باستمرارية النص فالكتابة تبتث النص وتحقق له "**الدوام** " حيث هي وسيلة لتجاوز ضعف الذاكرة وفعل الزمن فيتخذ الملفوظ حيزا في الفضاء فيخترق العصور . [1]

3/ التباس مفهوم خطاب بمفهوم نص :

أما النص فالإشكال فيه أكثر تجذُّرا واتصالا، رغم أنه كان يغلب في التقليد الأوروبي استخدام النص، على حين يغلب استخدام الخطاب في التقليد الأنجلوأمريكي[2]

في ضوء هذا الزخم المفاهيمي والمصطلحاتي الذي أفرزته الحركة النشطة للترجمة غير الدقيقة في مختلف العلوم الوافدة إلينا من ثقافة الغرب، يمكن النظر ابتداء إلى أقوال المتصوفة على أنها خطاب لا نص، فهو يوافق ما ذهب إليه الباحث "**محمد عزام** "من أن الخطاب يختلف عن النص، حيث يعتبر الخطاب رسالة تواصلية إبلاغيه متعدد المعاني يصدر عن باث (مخاطب) موجه إلى متلق معين عبر سياق محدد، وهو يفترض من متلقيه أن يكون سامعا له لحظة إنتاجه، ولا (يتجاوز سامعه إلى غيره، ويتميز بالشفوية، ويدرس ضمن لسانيات الخطاب، وهذا ينسجم مع أقوال المتصوفة. وبما أن خطاب **'سعيد النورسي'** قريب من الخطاب الصوفي بل البناء الشكلي صوفي حقيقة هذا بغض النظر على المعاني . ونحن ندرس الخطاب **'النورسي'** في سياقاته التاريخية والاجتماعية .

أما النص عنده فهو تلك الرسالة أو التتابع الجملي الذي يهدف إلى غرض تواصلي، ولكنه يوجه إلى متلق غائب، ويثبت بالكتابة، كما يتميز بالديمومة، ولهذا تتعدد قراءات النص، وتتجدد بتعدد قرائه، ووجهات النظر فيه، ووفق المناهج النقدية التي يقرأ بها، ويعني بوصف العلاقات الداخلية والخارجية لأبنية النص بكل

[1] الأخضر الصبيحي ، مرجع سابق ، ص 15.
[2] ينظر العبد، محمد: النص والخطاب والاتصال، مرجع سابق، ص7

مستوياتها (النصية)، وتشرح المظاهر التواصلية، واستخدامات اللغة وتحليلها في علوم مختلفة.[1]

ونحن في بحثنا هذا لا نفرق بين النص والخطاب بل هما مصطلحان مترادفان كون خطاب **'بديع الزمان سعيد النورسي'** في المثنوي العربي النوري ضمّنه سياقات اجتماعية، وكونه مكتوب فهو مزيج إذن بين مفهوم النص والخطاب .

المبحث الثالث / التداولية

قبل خوضنا غمار البحث في التداوليات أرقنا سؤال من أين نبدأ ؟ خاصة وأن الموضوع لازال يلتمس طريقة في الدراسات العربية، فكان أن اهتدينا عبر بعض الدراسات الغربية المترجمة إلى العربية وغير المترجمة إلى السبيل الذي ارتأيناه مسعفا في تتبع مسار التداوليات، في مهدها الغربي .

غير أن حيرتنا وقلق البدايات سرعان ما بدأت تنقشع عتمتها ونحن نكتشف ما كان يبدو لنا صعبا فكان ذلك سببا في فتح مغاليق البحث وسبر أغواره .

لقد كان لاجتهادات فلاسفة اللغة دور بارز في تغيير النظرة القاصرة للغة، هذه النظرة التي تختصر اللغة فقط في جانب نقل المضامين المجردة، دون النظرة إلى الجانب المهم فيها ألا وهو الوظائف التي تختلف باختلاف السياقات والمقامات المتنوعة .

التداخل والتكامل بين الحقول المعرفية (علم النفس ، وعلم الاجتماع ، وعلوم الاتصال والعلوم المعرفية، والفلسفة والمنطق، والسيميائيات ، واللسانيات ...) قاد إلى انقسام الدرس اللساني خلال النصف الثاني من القرن العشرين إلى اتجاهين كبيرين : اتجاه شكلي / صوري يميل إلى رؤية اللغة على أنها ظاهرة عقلية، ويدرسها على أنها نظام مستقل، واتجاه وظيفي تواصلي يرى أن اللغة ظاهرة اجتماعية ، فيدرسها على هذا الأساس .

---

[1] ينظر عزام محمد: النَّص الغائب ـ تجلّيات التّناص في الشعر العربي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق2001م، ص49.

ولئن عرفت الساحة اللسانية العربية حضورا قويا ولافتا للاتجاه الأول من خلال الهيمنة الكبيرة والحضور القوي للاتجاهين البنيوي والتوليدي، فإن الاتجاه الثاني، وضمنه الاتجاه التداولي لم يحظ بالاهتمام نفسه، على الرغم من أهمية البحوث والدراسات التي تمت مراكمتها في هذا المجال .

بيد أن الاهتمام بالاتجاه الوظيفي التواصلي بدأ يوما بعد يوم يرسم حدودا واضحة على خريطة البحث اللساني المعاصر، تشهد على ذلك آلاف المقالات وعشرات الكتب التي تصدر هنا وهناك ، بأكثر من لغة محاولة استجلاء معالم هذا الاتجاه وإبراز خصوصياته وتحديد المجالات التطبيقية العملية، وقد أسهم الاتجاه التداولي بنصيب وافر في هذا التحول وهذا الاهتمام نظرا إلى ما قدمته من رؤى اشتد بها عضد التيار الوظيفي .

فما هي التداولية ؟ وما موضوعها ، وماهي أصولها ؟ وماهي مفاهيمها الأساسية ؟ وماهي أهدافها وغاياتها ؟ ومن هم أعلامها وروادها ؟ ؟ وماهي علاقتها ببعض المعارف ؟ وكيف يمكن استثمارها في مقاربة بعض النصوص ؟[1]

قبل أن نلج إلى جوانب التداولية أو الركائز الأساسية من أفعال كلام، وبنية الحوار ومبدأ التعاون ، والمقصدية بين الافتراضات المسبقة والقوة الإنجازية، يجب أن نمر على مجموعة من الحدود والتعريفات، تكون منارة للطريق الذي يعقبها .

1/الإرهاصات التي مرت بها التداولية :

إن أقرب حقل معرفي إلى التداولية "**La Pragmatique**" في منظورنا هو اللسانيات ، وإذا كان الأمر كذلك فإنه من المشروع البحث في صلة هذا العلم التواصلي الجديد باللسانيات وبغير اللسانيات من الحقول المعرفية الأخرى إما لأنها قريبة منه أو لأنها تشترك معه في بعض الأسس العلمية ،

[1] **-حافظ اسماعيلي علوي ، التداولية علم استعمال اللغة ، عالم الكتاب الحديث ، إربد ، الأردن ط1 ، 2011 ، ص 1 .**

نظرية كانت أو إجرائية، وذلك قبل وضع تعريف للتداولية أو تحديد مفهومها، ومن ثم نرى أنه من اللائق التساؤل عن المعيار الذي يصلح أن يكون ضابطا في تحديد مفهوم التداولية فعلى أي معيار نحدد هذا المفهوم ؟ هل نحدده بناء على معيار البنية اللغوية ؟ إن هذا الصنيع يجعلها مساوية للسانيات البنيوية فلا يكون أي فرق بينهما، وليس هذا هو ما تقدمه البحوث التداولية، هل نحدده على معيار الاستعمال اللغوي وحده ؟ إن تحديده على الضابط فيه إقرار بأنه لا صلة تذكر بينه وبين البنية اللغوية، وهو ما يخالف أيضا النتائج التي انتهت إليها آخر الأبحاث والدراسات التداولية، هل نحدده بناء على تعالق البنية اللغوية بمجال استعمالها ؟ إن هذا الصنيع يبدوا مبررا ولكنه – إذا ذكر إجمالا دون تفصيل – قد يغفل بعض الصلات الرابطة بين العلوم المتشابكة والمتكاملة مفاهيميا، خاصة مجالات : الفلسفة والتداوليات اللغوية وعلم النفس المعرفي وعلوم الاتصال .

عليه فإن الحديث عن التداولية وعن شبكتها المفاهيمية يفرض الإشارة إلى العلاقات القائمة بينها وبين الحقول المعرفية المختلفة، لأنها تشي بانتمائها إلى حقول مفاهيمية تضم مستويات متداخلة كالبنية اللغوية، وقواعد التخاطب، والاستدلالات التداولية والعمليات الذهنية المتحكمة في الإنتاج والفهم الغويين... فنحن نرى أن التداولية تمثل حلقة وصل هامة بين حقول معرفية عديدة : منها الفلسفة التحليلية، ممثلة في فلسفة اللغة العادية ومنها علم النفس المعرفي ممثلا في نظرية الملائمة "**Théorie de pertinence** "على الخصوص، ومنها علوم التواصل ومنها اللسانيات وعلوم اللغة بطبيعة الحال .[1]

على الرغم من اختلاف وجهات النظر بين الدارسين حول التداولية، وتساؤلاتهم عن القيمة العلمية للبحوث التداولية وتشكيكهم في جدواها فإن معظمهم يقر بأن قضية التداولية هي إيجاد القوانين الكلية

[1] حافظ اسماعيلي علوي، التداولية علم استعمال اللغة ، مرجع سابق ، ص 32.

للاستعمال اللغوي والتعرف على القدرات الإنسانية للتواصل اللغوي، وتصير التداولية من ثم جديرة بأن تعرف بأنها علم استعمال اللغة، وقد نقول في تعريفها : بأنها نسق معرفي استدلالي عام يعالج الملفوظات ضمن سياقاتها التلفظية، والخطابات ضمن أحوالها التخاطبية .

ويأتي هذا التعريف في مقابل اللسانيات البنيوية التي تدرس اللغة بوصفها بنية مجردة، أو نسقا مجردا تحكمه قوانينه الداخلية الخاصة، وهي روابط تجريدية خالصة بتعبير **'يالمسليف'** ، وفي مقابل اللسانيات التوليدية التحويلية التي تدرس اللغة بوصفها كفاءة عقلية دماغية تؤدي عن طريق الإنجاز الكلامي، أما التداولية فتدرس اللغة بوصفها علما تخاطبيا تواصليا يعنى بالأبعاد الخطابية الاستعمالية للغة [1] ، وهذا ما ترسخ شيئا فشيئا في الحقول المعرفية، إذ أصبح النظر إلى اللغة بوصفها أداة للتواصل والتفاعل الاجتماعي فصارت بهذا الاهتمام لها قواسم مشتركة بين تيارات فلسفية مختلفة ، وهو ما حدا ب **ميرلوبونتي** "M.Merleau –pounty **1908–1961** "إلى اعتبار اللغة لب الدراسات الفلسفية وقد سار على منهجه بعض الأنصار المتأخرين للفينومينولوجية الفرنسية أمثال "**بول ريكو** Paul Ricor "[2]

من مصادر استمداد الدرس التداولي المعاصر الفلسفة التحليلية التي تعترف بالدور اللغوي الذي تؤديه اللغة في الفلسفة، وقد تجاوز الفلاسفة التحليليون النظر إلى اللغة على أنها مجرد وسيلة، وأعدوها هدفا من أهداف البحث الفلسفي، من ثمّ حددت الفلسفة التحليلية لنفسها هدفا منذ تأسيسها، فأدارت ظهرها للفلسفة الكلاسيكية، و راحت تبدئ وتعيد في الإلحاح على أن أولى مهام الفلسفة هي البحث في اللغة وتوضيحها .[3]

---

[1] حافظ اسماعيلي علوي ، مرجع سابق ، ص 31-38-39.
[2] محمد مهران رشوان ، دراسات في فلسفة اللغة ، دار قباء للطباعة والنشر ، مصر ، د ط ، 1998 ، ص 101.
[3] مسعود صحراوية ، التداولية عند العلماء العرب ، دراسة تداولية لظاهرة الافعال الكلامية ، في التراث اللساني العربي ، درا الطليعة بيروت لبنان ، ط1 ، 2005 ص 20

إذن التحول الجذري الذي شهدته اللغة يرجع إلى الفلسفة التحليلية التي تحولت من البحث حول تكوّن المعرفة حول الكون والأشياء إلى البحث في اللغة وتبرز الفلسفة التحليلية حسب المخطط الآتي : .

الشكل رقم 01: يمثل الظواهر اللغوي التي درستها الفلسفة التحليلية وموقع الاتجاهات الثلاثة من التداولية وموقفها منها .[1]

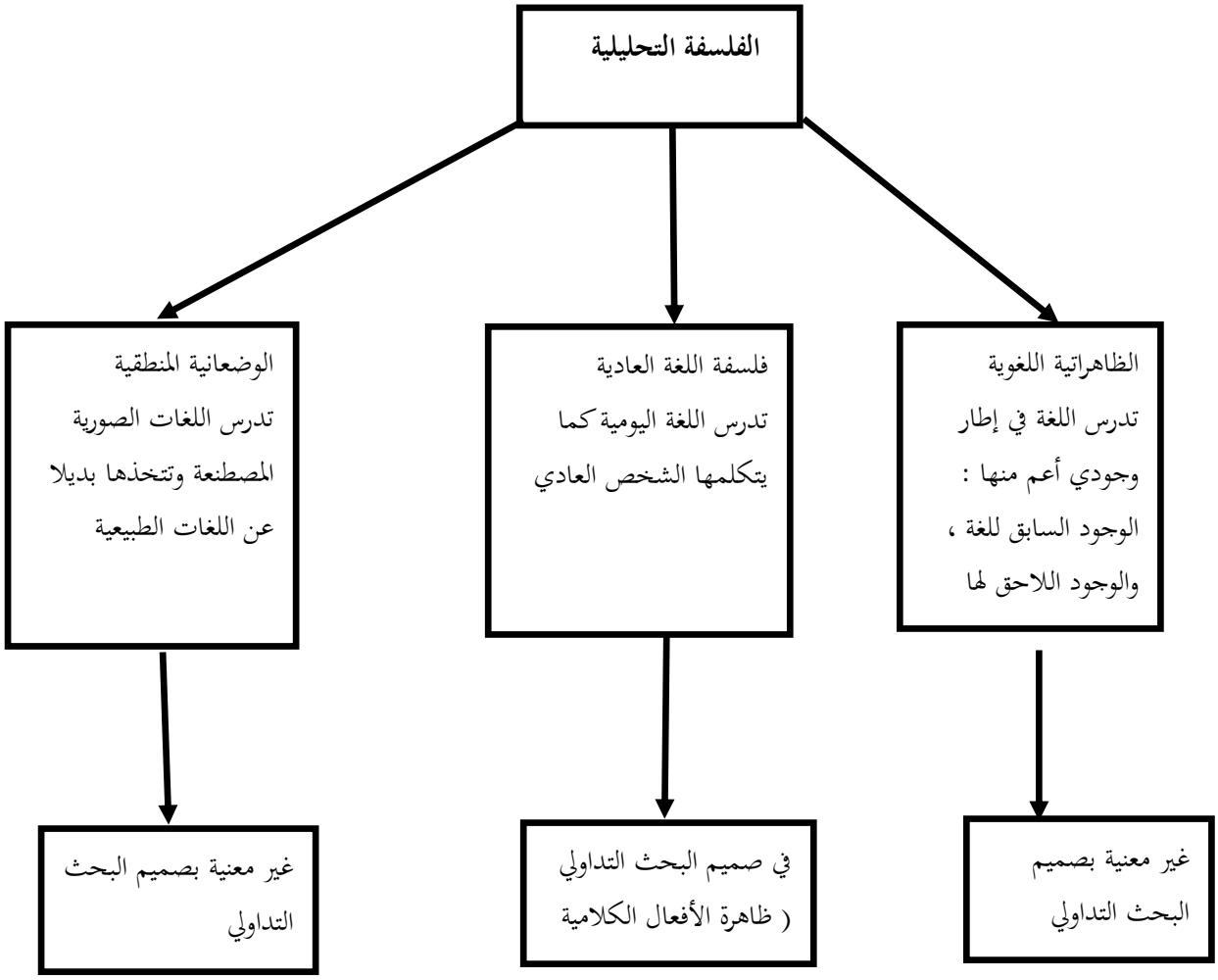

ما نلح عليه، في هذا المقام ، هو أن التداولية تمثل حلقة وصل قوية بين عدد من العلوم الإنسانية كما أشرنا سابقا.

[1] حافظ اسماعيلي علوي، التداولية علم استعمال اللغة ، مرجع سابق ، ص 31-38-39.

يظهر من الجدول أن استعراض نشأة اللسانيات التداولية ليس بالأمر الهين، وأن النظرية اللسانية –أيا كانت جاذبيتها – مدينة لا للتفكير الفلسفي فحسب بل كذلك لوجهتها التي تمس الواقع والمعيش اليومي .[1]

ويمكن تصوير ذلك في الشكل الآتي[2] :

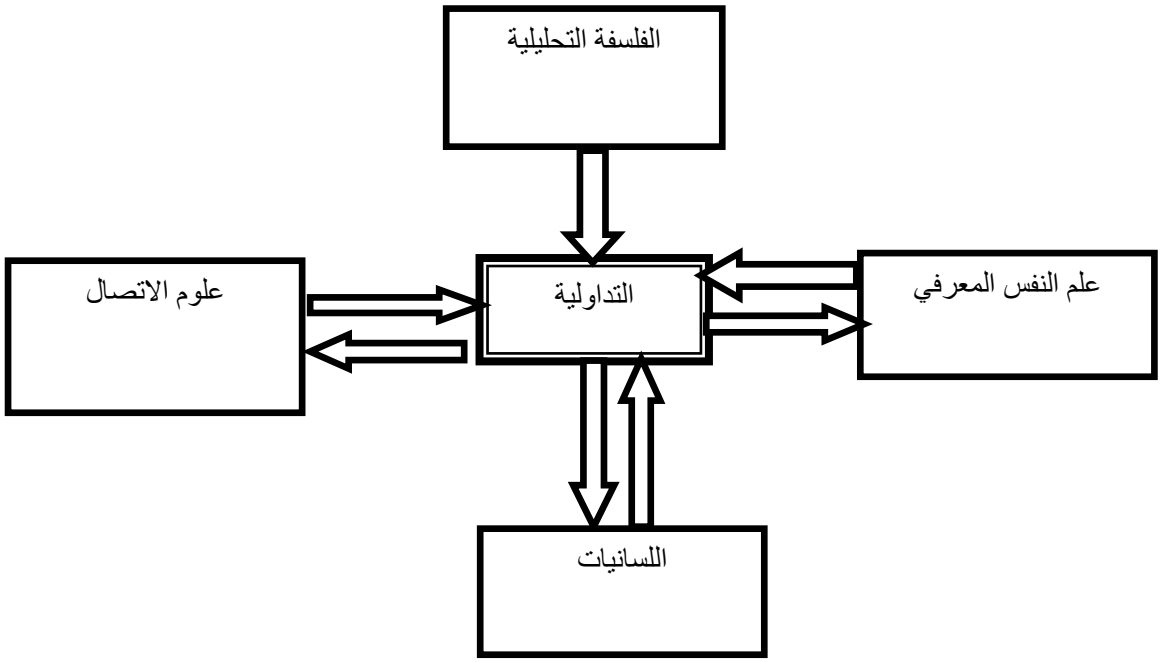

ما يجب توكيده أن من رحم (**الفلسفة التحليلية**)[3] وتحديدا فلسفة اللغة العادية ، بدأ الاهتمام بمقاصد المتكلمين ، وباستعمال اللغة ، وبدأت بذلك المقاربة التداولية تعرف طريقها إلى النمو والازدهار وكانت

[1] محمد يحياتن ، مدخل إلى اللسانيات التداولية ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الساحة المركزية بن عكنون ، الجزائر ، ص 4
[2] حافظ اسماعيلي علوي ، مرجع سابق ، ص 31-38-39.
[3] -الفلسفة التحليلة عملية اكتشاف عنصر معين من أجل غرض خاص ، هذا يعني أن الغرض من التحليل هو تقليل درجة الغموض في المركبات بتوجيه الانتباه إلى الأجزاء المتعددة التي تتركب منه . ينظر إلى ناصر إبراهيم فلسفات التربية ، عمان دار وائل للنشر والتوزيع ، ط2 ، 2004. تلك الفلسفة ترى أن التحليل الفلسفي للغة كفيل بإيصالنا إلى تحليل فلسفي للفكر ، وتفسير الفكر كفيل بإيصالنا إلى الفهم الكلي للكون .

أعمال فلاسفة أكسفورد بمثابة ارهاصات لما يعرف اليوم بمحاور التداولية ويأتي التفصيل لهذه المحاور في الفصول التي سوف تأتي متوالية .[1]

2/تطور التصورات التداولية :

مرت التداولية كما حدد مسبقا بمراحل متباينة في محاولة لتأسيس، أو لتحديد مجال مفهومي محدد على اعتبار أنها تلامس أكثر الحقول اللغوية والعلمة، وتشتغل في مساحة التواصل اللغوي من منطلق قيمة السياق الكلامي في تحديد وتداول المعنى وضمان حد ما لتواصله، فكيفية استعمال اللغة في الاتصال كان هم الدرس التداولي، ويمكن أن يكون موضوع التداولية إضافة سياق الاستعمال للدلالة، كما يمكم أن يكون موضوع التداولية هو نفسه موضوع الدلالة الثابت، بإضافة سياق الاستعمال(**contexte**)[2]

لعل الخوض في مسالك المكون التداولي يستدعي بداءة إلطاف النظر في الأصول الفلسفية المنجبة له، وتتبع مآلاته في الدراسات اللسانية .[3]

فالتداولية مقاربة وجدت لبداياتها منشأ في حضن فلسفة اللغة العادية، هذا التيار الفلسفي الذي نشأ مع رواد الفلسفة والمنطق، فشهدت حينها مرحلة ما بعد البنيوية تغييرا جذريا في مسار البحث اللساني الذي مهدت له أعمال العديد من الفلاسفة واللسانيين فجاءت بحوثهم مزيجا بين الفلسفة واللسانيات[4]. ومن رواد الفلسفة والمنطق الذين اشتغلوا بهذا المجال أمثال : "**فريج Frege** " "**وراسل Russell**" ، "**وفتجنشتاين Wittgenstein**" سميت مدرسته بمدرسة التحليل .[5] وقد تأثر العديد من الأساتذة ب فتجنشتاين منهم "**وستراوسون Strawson**" و "**جون أوستن**" وحتى

---

[1] ليلى كادة : المكون التداولي في النظرية اللسانية العربية ، أطروحة دكتوراه ، في علوم اللسان العربي ، جامعة الحاج لخضر باتنة ، الجزائر ، 2013 ، ص 33.

[2] fançoise latraverse.la pragmatique. Hstoire et critique .pierre mardaga. Bruxelles.p137

[3] ليلى كادة : المكون التداولي في النظرية اللسانية العربية ، مرجع سابق ، 2013 ، ص 10

[4] المرجع نفسه ، ص 10

[5] محمد مهران رشوان : دراسات في فلسفة اللغة ، مرجع سابق ، ص 40-41.

"**غرايس**" الذي ينتمون إلى جامعة **أكسفورد** ، فكان هناك تيارين تيار يهتم بالعلاقة بين اللغة والعالم وتيار آخر أولى عناية فائقة للعلاقة بين اللغة والمتكلم . [1] وفي مرحلة ظهر "**كارناب Carnap**" "**وبارهيلل Barhillel**" ... الذين حاولوا التمهيد لتداوليات نظرية انطلاقا من فكرة المعارف والعلاقات الاجتماعية، حاولوا بناء نموذج يعتمد في دراسته أولا على شروط صدق التعابير المرتبطة بالمقام، نحو بناء نظرية عامة للفعل "**action** " أبرزها معالمها بوضوح "**أوستين AUSTIN**" "**وسورل SEARL** " كما أمكن للتداوليات أن تجد بوادر قيامها في تأملات بعض الباحثين الذين اهتموا منذ أمد بعيد بآثار الخطاب في المتخاطبين، من هؤلاء الباحثين سوسيولوجيين ومحللين نفسانيين، ومتخصصين في البلاغة ولسانيو تحليل الخطاب أمثال : "**أنسكومبر Anscombre**" "**بيرلمان Perelman** " و "**ديكروا Ducrot** " و "**أوروكيوني Oreccbioni**"[2]

محصلة ما سبق هي أن "**فتجنشتاين**" يعتبر الرائد الأول لهذا التيار الفلسفي وأن فلاسفة أكسفورد برغم تأثرهم الواضح به، لم يكونوا مجرد مرددين بل كانت لهم مواقفهم المستقلة وتصوراتهم الخاصة للغة العادية، وللعلاقة بين الممارسة الفلسفية وفلسفة اللغة العادية .[3]

لعل أهم الاعمال هي أعمال "**أوستن**" وتلميذه "**جون سيرل**" و كذا " **بوهلر** " ، إذ تعد نقطة تحول في فلسفة اللغة العادية، من هذا المنطلق أصبح من الضروري تسليط الضوء على المطارحات التي نشأت فيها التداولية .[4]

[1] صلاح اسماعيل عبد الحق : التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد ، دار التنوير للطباعة والنشر ، بيروت لبنان ، ط1 ، 1993 ،ص 34.
[2] حافظ اسماعيلي علوي : التداولية علم استعمال اللغة ، عالم الكتاب الحديث ، مرجع سابق ، 2011 ، ص 2 .
[3] ليلى كادة : المكون التداولي في النظرية اللسانية العربية ، مرجع سابق ، ص 31.
[4] المرجع نفسه، ص 10 بتصرف .

أصبح الاهتمام بالتداوليات متزايدا، حيث كانت التحليلات التداولية تعتمد تارة على بنيات تحتية سيكولوجية وتارة على تمفصلات ذواتية واجتماعية، لتبقى التعريفات طافية أو معممة، تتعدد حينا وتتضارب أحيانا .[1]

تعد التداوليات التي نشأت في حضن الفلسفة هي قبل كل شيء محاولة للإجابة عن أسئلة من قبيل : ماذا نفعل حين نتكلم ؟ ماذا نقول بالضبط ؟ ولماذا نطلب من جارنا على المائدة ما إذا كان في استطاعته أن يناولنا الملح ؟ مع أن ذلك يبدو بإمكانه ؟ من يتكلم إذن ولمن ؟ ومع من ؟ ولأجل ماذا ؟ من تظنني أكون حتى تكلمني هكذا ؟ ما الذي يجب معرفته لرفع الإبهام ؟ وما هو الوعد ؟ وكيف يمكننا قول شيء آخر غير ما كنا نريد قوله ؟ هل يمكن أن نقتصر على المعنى الحرفي لقضية ما ؟ ما هي استعمالات اللغة ؟ إلى أي حد يكون الواقع الإنساني محددا بكفايته اللغوية ؟[2]

كما أصبح وضع اعتبار للمعطيات في التواصل أمرا ضروريا، وقد أثير في ذلك مجموعة من الأسئلة التي باتت محيرة وتتطلب إجابات نظرية، ومثل هذا الباعث الأساسي لضرورة قيام تحليل تداولية في الفلسفة مثلت جوانب اهتماه قضايا تعلقت بالإحالة والمرجع / تعلقت بالاقتضاء والاستلزام والفعل ، قضايا مثلت دروسا حيوية في الفلسفة ودشنت لمشروع لسانيات التداول، وإن كانت فلسفة اللغة العادية تعالج الحقائق المفهومية، فإن اللسانيات ستعالج الوقائع التجريبية، وما كان من الواقعة التواصلية يمثل موضوعا فلسفيا إلى عهد قريب، سيصبح آليات ضرورية للبحث اللساني المعاصر .

هذا وقد ساد إلى حدود السبعينات من القرن المنصرم الاهتمام بالنحو كنظرية للقدرة الذهنية، إذ لا يتجاوز الأمر آنداك حدود ما يؤكد مصداقية صورنة اللغة، واعتبار مستعمليها نماذج مجردة، وبعد هذه المرحلة فقد هذا التوجه سيطرته على البحوث اللسانية حيث ظهرت إلى الفضاء اللساني دراسات تجاوزت

[1] حافظ اسماعيلي علوي ، لتداولية علم استعمال اللغة ، مرجع سابق ، ص 2 .
[2] المرجع نفسه ، ص 2.

القدرة الإنجازية، وأكدت على قيام الذاتية في التواصل، وقد دشنت أعمال "**بنفنيست** Benveniste "لهذا المشروع ، يقول : " إنه قبل العملية التلفظية لا يكون اللسان إلا إمكانية للسان " ويضيف : " إن العملية التلفظية هي حيث يوظف اللسان بواسطة فعل الاستعمال " فلم تعد اللغة لذاتها هي موضوع البحث اللساني، بل أصبح الاهتمام منصبا على التلفظ وما يتبعه . " إننا في العملية التلفظية نأخذ بعين الاعتبار على التوالي، الحدث نفسه، والسياق المقامي الذي يتحقق فيه، وآليات إتمامه" إننا مع **بنفينيست** نمر من لسانيات اللغة إلى لسانيات التلفظ ، ثم إن هذا يحدد مؤشرات العبور إلى لسانيات تداولية .

إلى جانب ما أسفرت عنه التجربة الأروربية يمكن أن نميز في التداوليات تيارا أمريكيا مثل في بدايته جانبا من مشروع فلسفي عام، حيث ارتبط بعمق بالموقف الوضعي من خطاب العلم ، هذا الموقف الذي فسر المفاهيم (الفكر ، الذهن ، الدلالة ...) التي كانت تعتبر ذهنية صرفة بالقاموس الوصفي لعلم النفس الاجتماعي والسلوكي، إن هذا الرأي المسبق الذي كرس كفكرة أولية للتفاعل، كان له أثر بليغ في قيام تداوليات أمريكية . استقرت كمكون ثالث إلى جانب التركيب والدلالة داخل النموذج السيميائي العام "**لبيرس** . **Cb.S.Peirce**"

ثم إن الفضل في إدراج مصطلح . "**pragmatique**" في الدراسات اللسانية يرجع إلى "**شارل موريس** **CB.Morris**" حيث تعد التداولية في نظره " معالجة العلاقة بين العلامات ومستعمليها "[1] وهو أقدم تعريف ، ومصطلح "**pragmatique** "ينسب "**لكانت** **Kant** "كان قد أخذ به "**بيرس**" في بناء نظرية عامة للعلامات، هذه النظرية التي تقوم على فكرة "**السيميوزيس** **Sémiosis** " هو السيرروة التي يشتغل من خلالها شيء ما كعلامة، هذه الفكرة التي تنبني على ثلاثة عوامل يتعلق الأمر بما يدرك كعلامة وما تعود إليه هذه العلامة ثم الأثر المحدث في التأويل ." إن

[1] **فرنسو ارمينيكو ، المقاربة التداولية ، تر ، سعيد علوش ، مركز الإنماء القومي ، 1986 ، ص 8.**

التداوليات تكرس للعامل الثالث، إنها دراسة للعلاقة بين العلامات واستعمالاتها " هكذا ترتبط التداوليات الأمريكية " بموقف أخلاقي وسياسي وتنبني على فلسفة وضعية ذريعية في آن واحد " [1]

ما نشير إليه في هذا المبحث –نظرا لأهميته– هو أن العالم السميائي "**ش.س.بيرس**" كانت له اليد الطولى في المنعطف الحاسم صوب التداولية، حين أقرّ أن العالَم بالنسبة إليه يتم إدراكه بواسطة التفاعل ما بين الذوات والنشاط السميائي، أي يتم بفضل الأدلة .[2] يشرع **'بيرس '** في تطوير نظريته حول الدليل الذي يتوفر حسب نظره على علاقة ثلاثية تتحقق بواسطة سيرورة متجانسة أو سيرورة سميائية تدعى " sémiosis" تتمثل في الموضوع –خاطرة أو فكرة –النوعية – الدليل .

الدليل يتوفر على علاقة ثلاثية الأبعاد هي : تأويل فكرة، أو مجعول من أجل موضوع بعينه، أو موجود على نحو من النوعية تضعه في علاقة مع موضوعه .[3]

من جهة يميز "**بيرس**" بين ثلاثة أنماط من الأدلة هي الرمز والأيقونة و الأمارة ، تلعب السيرورة السميائية كأنها عملية انصهارية تشتغل كوحدة متكاملة .[4]

ثم أتى **'شارل موريس'** بتصور مبني على وظيفة الدليل الثلاثي عند **'بيرس'** ، أصبح ينظر إلى الناقلات المادية للسيرورة السيميائية، فالنظرية السيميائية يجب النظر إليها كسيرورات سلوك، فالجسم من حيث هو جسم يفعل في المحيط وينفعل به .

سيرورة الدليل عند **' موريس'** أو ما يعرف (**sémiosi'e**) تحتوي على أربعة عناصر هي :

–العنصر الذي يقوم مقام الدليل –الناقل–.

–العنصر الذي تتم إحالة الدليل عليه، أو " المدلول عليه ".

---

[1] حافظ اسماعيلي علوي ، مرجع سابق ، ص 24/17
[2] محمد يحياتن : مرجع سابق ، ص 8.
[3] المرجع نفسه، ص 9.
[4] المرجع نفسه، ص 9 بتصرف .

-عنصر الأثر الذي يبدوا للمرسل كأنه الدليل أو المؤول .

-عنصر المؤول .[1]

يرى **'موريس'** أن الأدلة التي نستخدمها يمكن أن تكون ناقلة لثلاث وظائف أساسية، من بينها وظيفة المسمى على الدلالة التي تعمل على :

-تهيئ المرسل إليه إلى رد فعل ما مثل "هناك كلب أمام الدار"

-تهيئ المخاطب إلى رد فعل معين مثل " ما أجمل المنظر !" إذا استخدم المثال في أوضاع ومقامات معينة فإنه يثير وظيفة اللغة التقييمية .[2]

في هذا السياق أتى عالم النفس الألماني "**كرال بوهلر Kral Buhler** " رافضا تحليل اللغة الذي قام به **'دي سوسير'** ، واقترح **'بوهلر'** صيغة تداولية ، توصل على أثرها أن الفعل يقوم بوظيفة مركزية تحدد بنية الجملة .

توصل **'بوهلر'** إلى أن الدليل اللغوي بوصفه رمزا يمثل العالم الخارجي ويطلع بوظيفة التمثيل، كما يطلع بوظيفة الإبانة على الأغراض، ويصبح الدليل إشارة موحية إلى سلوك المرسل إليه وتتحقق آنداك وظيفة النداء . هذا التمييز بوظائف اللغة يذكرنا بذلك الذي وضعه **'موريس'** .[3]

حاولنا فيما سبق توضيح ما قام به ممثلو الفلسفة الذرائعية الأمريكية **'بيرس'** و**'موريس'** ، كما وضحنا وظائف **'بوهلر'** اللغوية، وسجلنا بعد ذلك إدخال " **الفعل الكلامي** "

إذا كان البحث في التداوليات عند "**موريس Morris**" لم يتجاوز تحديد أهدافها الوصفية فإن رواد الفلسفة التحليلية حددوها كدراسة تهتم بالأفعال اللغوية مركزين بذلك على الجانب الاستعمالي

[1] حافظ اسماعيلي علوي : مرجع سابق ، ص 10-11
[2] محمد يحياتن ، مرجع سابق ، ص 11-12.
[3] -المرجع نفسه، ص 13.بتصرف

لإثبات خطابية اللغة مدركين ما كان يربك الأبحاث الشكلية أو ينفلت من قبضتها وصيغت لأجل ذلك نظريات عدة يمكن أن نقتصر من بينها على :

*نظرية الاقتضاء La Présupposition

* ونظرية الاستلزام التخاطبي L'imlicitation conversationnelle

*ونظرية الأفعال الكلامية اللغوية . les actes langage

*نظرية الاشتقاق الإنجازي La dérivation illocutoire[1]

ما تجدر الإشارة إليه وما نلاحظه هو أن فكرة هذا البحث تنطلق من تمفصلين تاريخيين أشار إليهم الأستاذ "**مسعود صحراوي**" في مسار المعرفة المعاصرة، يتمثل التمفصل الأول في ظهور توجهات منطقية جديدة لا صورية، توجهات أدركت قصور المنطق الصوري في صيغته القديمة والحديثة، ووقفت على عجزه عن أن يكون أداة مفيدة في وصف وتفسير الظاهرة التدليلية، كما تتجلى فعلا في العلوم الانسانية والاجتماعية بشكل عام، وفي التفاعل الحجاجي بشكل خاص، بعبارة أخرى، أن المنطق الصوري لم يستوف الكفاية الضرورية لدراسة الاستدلال والتفاعل الحجاجيين الذين لا يمكن تصور وجودهما من دون ذوات، ومن دون لغة تتواصل بها هذه الذوات .

هذا التمفصل المعرفي التاريخي الأول سبب تمفصلا ثانيا في مسار الدراسات اللغوية، فقد أثرت تلك التوجهات المعرفية الجديدة في مناهج ونظريات الدراسات اللغوية، فمنذ ثلاثين سنة، ثم اختراق ساحة العلوم اللغوية بتيارات فلسفية ونفسية واتصالية، وتم تقسيم البحث اللغوية في اللسانيات الغربية إلى نموذجين لسانيين متنافسين : المنحى الشكلي الصوري بزعامة البنيوي، والمنحى الوظيفي بزعامة التداولية ، وقد ظهر هذا المنحى الأخير متأخرا عن الأول بعض الشيء؛ وقد كانت التداولية من أسباب تعميق هوة

[1] **حافظ اسماعيلي علوي ، مرجع سابق ، ص 24/17.**

الخلاف بين هذين التوجهين فقد أذكت جذوة الخلاف، ومعركة التنافس بين التيارين بل إن الكفة قد رجحت لصالح الثاني منهما، أي الاتجاه الوظيفي بدعم وتأييد من التداولية بما بتته من مفاهيم ورؤى اشتد بها عضد التيار الوظيفي الجديد .[1]

خلاصة ما سبق هو أن التداولية علم استعمال اللغة، فذلك يعني أننا نسعى من خلال قوانين المحادثة ومن خلال الاستدلال والاستلزام والافتراض إلى معرفة المعنى الصحيح والصريح الملائم للسياق وغير الملائم له، وهذا سيفضي لا محالة إلى ملاحظة التشابه بين المقاربة اللسانية والنقدية في توجهها نحو تحديد معالم إنتاجية النصوص وفك مغالقها الدلالية بواسطة الفهم، و التداولية تتجاوز محددات الدلالة إلى مدى إمكانية الكشف عن قصدية المتكلم من خلال إحالة الجملة أو النص إلى السياق التداولي لتحديد مدى التطابق واللاتطابق بين الدلالة وظروف السياق، والاستعانة ببعض معالم التداولية المعرفية التي تفرض الإحالة إلى العمليات الذهنية والإدراكية، قصد تحديد إنتاج النصوص وترجمتها بقواعد متنوعة تقضي بالعودة إلى القدرات العقلية والسياق الاجتماعي، وهذا ما نجده عند **'سعيد النورسي'** في رسائله التي تعد ربطا واضحا بسياق اجتماعي فرضته مستلزمات ذلك العصر .

لا يمكن أن نغض النظر على أن المساهمات في إنشاء اللسانيات التداولية لا تسعها وريقات معدودة وأبحاث مجزوئه بل هي أكثر بكثير من ذلك .

[1] حافظ اسماعيلي علوي ، مرجع سابق، ص 25.

***-التداولية هي الترجمة العربية الاكثر رواجا للمصطلحين : المصطلح الإنجليز Pragmatics بمعنى هذا المذهب اللغوي التواصلي الجديد الذي نحن بصدد التعريف به ، والمصطلح الفرنسي Pragmatique بنفس المعنى وليست ترجمة لمصطلح Pragmatisme الفرنسي لأنه يعني الفلسفة النفعية الذرائعية . أما الأول فعلم جديد للتواصل يفسر كثيرا من الظواهر اللغوية .**

3/التداوليات : حدود وتعريفات

1/3/المعنى اللغوي :

يرجع المصطلح إلى مادة " **دَ وَ لَ** " وقد وردت في مقاييس اللغة على أصلين :" أحدهما يدل على تحول الشيء من مكان إلى مكان، والآخر يدل على ضعف واسترخاء ، قال أهل اللغة (أنْدال) القوم إذا تحولوا من مكان إلى مكان آخر، من هذا الباب **تدَاول** القوم الشيء بينهم إذا صار من بعضهم إلى بعض ، **والدَوْلة والدوّل لغتان** ، ويقال بل الدولة في المال والدولة في الحرب، إنما سيما ذلك من مقياس الباب لأنه أمر يتداولونه ، فيتحول من هذا إلى ذاك " [1]

ورد في معجم **'أساس البلاغة للزمخشري** ت 538هـ' : " **دَ وَ لَ**- دَالتْ له الدولة ، ودَالتْ الأيام بكذا ، وأَدلّ الله بني فلان من عدوهم، جعل الكثرة لهم عليه ...وأديل المؤمنين على المشركين يوم بدر ، وأديل المشركون على المسلمين يوم أحد ... والله **يُدَاول** الأيام بين الناس مرة لهم ومرة عليهم ...وتداولوا الشيء بينهم، والماشي يُدَاول بين قدميه ، يرواح بينهما " [2]

وجاء في **'لسان العرب لابن منظور'** :" **تدَاوَلنَا** الأمر ، أخذناه **بالدُول** وقالوا **دَوَاليك** أي مُداولة على الأمر . **ودَالتْ** الأيام أي دارت والله يُدَاولها ، بين الناس، **وتَدَاولتْه** الأيدي أخذته هذه مرة وهذه مرة ، وتدَاولنا العمل والأمر بيننا، بمعنى تعاورناه فعمل هذا مرة وهذا مرة "[3]

---

[1] **أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء ، مقاييس اللغة ، ت عبد السلام هارون ، ط2 ، دار الجيل ، لبنان ، 1991 ، مادة "دول" ، ج2 ، ص 314. أنظر إلى: سعاد حميتي : الخطاب المسرحي الجزائري المعاصر دراسة تداولية رسالة دكتوراه ، جامعة باتنة ، 2016/2015 ، ص26.**

[2] **الزمخشري ، أساس البلاغة ، تح عبد الرحيم محمود ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان 1982 ، ص 139..**

[3] **ابن منظور ، لسان العرب ، دار صادر بيروت ، المجلد 11 ، ط3 ، 1993 ، ص 253 ، 252.**

والدَوْلة : الفعل والانتقال من حال إلى حال، وفي الحديث 'حدثني بحديث سمعته عن رسول الله عليه الصلاة والسلام لم يتداوله بينك وبينه الرجل'، أي لم يتناقله الرجال وترويه واحد عن واحد، إنما ترويه أنت عن رسول الله عليه الصلاة والسلام .

والدَوْلة الانتقال من حال الشدة إلى حال الرخاء، وتداولنا الأمر: أخذناه بالدَوَل، **ودَالت** الأيام أي دارت ، ودواليك أي تداولا بعد تداول ، قال **'عبد بن الحسحاس'** :

إذا شق برد بالبرد شق مثله دواليك حتى ليس للبرد لابس [1]

يقتصر المعنى اللغوي في الثلاثة معاجم السالفة الذكر على التحول والتبدل .

ما يظهر لنا أن العلاقة المرتبطة بين التعريف اللغوي والاصطلاحي تكمن في أن اللفظ اللغوي يأخذ معناه ويتبدل من مقام إلى مقام ولهذا سميت بمقام الحال، وتلك حالة اللغة متحولة من حال لدى المتكلم، إلى حال أخرى لدى السامع، ومتنقلة بين الناس، يتداولونها بينهم ولذلك كان مصطلح تداولية، أكثر ثبوتا بهذه الدلالة من المصطلحات الأخرى الذرائعبة، النفعية، السياقية " [2] .

2/3/ المعنى الاصطلاحي :

أ/تعريف التداولية اصطلاحا :

أقدم تعريف للسانيات التداولية (**البراغماتية***) هو تعريف **'موريس '** إن التداولية جزء من السميائيات التي تعالج العلاقة بين العلامات ومستعملي هذه العلامات " فالتداولية إذن هي دراسة استعمال اللغة في الخطاب .[3]

[1] -يسمينة عبد السلام ، نظرية الأفعال الكلامية في ظل جهود أوستين ، مجلة المخبر ، ابحاث في اللغة والأدب الجزائري ، كلية الآداب واللغات ، جامعة بسكرة ، الجزائر ، 2014 ، ص 99. نقلا عن ابن منظور ، لسان العرب ، دار صادر للطباعة والنشر ، بيروت ، 1997 ، المجلد : 11 مادة -دول - ص 252-253.
[2] خليفة بوجادي ، في اللسانيات التداولية ،مع محاولة تأصليةي في الدرس اللغوي القديم ، بيت الحكمة للنشر والتوزيع ، العلمة ،الجزائر ن ط1 ، 2009 ، ص 148.
[3] -مسعود صحراوي : التداولية عند العلماء العرب ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، 2005 ، ص 36.

فالتداولية هي دراسة للجانب الاستعمالي للغة. و هنا تحدد (**أوركيوني Orecchioni**)وظيفة التداولية "في استخلاص العمليات التي تمكن الكلام من التجذر في إطاره الذي يشكل الثلاثية الآتية : **المرسل – المتلقي – الوضعية التبليغية**. إن أي تحليل تداولي يستلزم بالضرورة التحديد الضمني للسياق التي تؤول فيه الجملة.و هنا يتجلى العنصر الرابط بين مختلف النظريات والتوجهات التي شكلت ما نسميه التداولية، و هو السياق "**Context** "فاختلاف الزاوية التي ينظر من خلالها إلى السياق، هو الذي جعل تلك النظريات تختلف فيما بينها في تحديد ماهية التداولية؛ فمنهم من يرى أنها هي الأقوال التي تتحول إلى أفعال ذات صبغة و امتداد اجتماعيين، بمجرد التلفظ بها وفق سياقات محددة، و منهم من يلخص التداولية في دراسة الآثار التي تظهر في الخطاب، و يدرس هؤلاء أثر الذاتية في الخطاب من خلال الضمائر و الظروف المبهمة .(**Déictiques**) و منهم من يلخصها في مجموعة من قوانين الخطاب " "**Lois du discours** " أو أحكام المخاطبة "**Maximes contersationnelles**" على حد تعبير الفيلسوف **'غرايس'** التي تضفي على الخطاب صيغة ضمنية أو تلميحية، و ذلك من خلال دراسة الأقوال الضمنية "**Les énonces implicités**" كالافتراضات المسبقة "**Présupposes**"و الأقوال المضمرة[1].

في بحثنا هذا يظهر لنا أن المفهوم **الإجرائي** الأقرب للعملية هو أن: " التداولية هي تلك النظرية التي تدرس الظواهر الأدبية والثقافية والفنية والجمالية في ضوء التداوليات اللسانية". ويعني هذا أن المقاربة التداولية تدرس النص أو الخطاب الأدبي في علاقته بالسياق التواصلي، والتركيز على أفعال الكلام،

[1] **Orecchioni, C. K : Enonciation de la subjectivité dans le language.- Paris, Armand Colin, 1980.-p. 185**

واستكشاف العلامات المنطقية الحجاجية، والاهتمام بالسياق التواصلي والتلفظي. وبتعبير آخر، تركز المقاربة التداولية على عنصر المقصدية والوظيفة في النصوص والخطابات.[1]

لو سقنا مصطلحا من هذا النوع المقاربة التواصلية، أو المقاربة الوظيفية، أو المقاربة الذرائعية، أو المقاربة المنطقية، أو المقاربة البراجماتية، أو المقاربة الحجاجية .. فإننا نقصد به المقاربة التداولية .

إذا نظرنا في تراثنا البلاغي والأصولي، فسنلحظ أن الاستعمال- الذي يقابل الوضع عادة- يطلق على النشاط الذي يقوم به المتكلم في عملية التخاطب .[2]

3/3/الدرجات الثلاث للتداولية

أشرنا سابقا إلى الدور الأساسي للسياق في تحقيق النمط التداولي للغة، فقد أضحى هو العامل المشترك بين مختلف النظريات المشكلة للتداولية، إلا أن درجة تدخل السياق في كل نظرية هو الذي يحدد ميزات كل منها، و أضحى هذا التصور الخطوة الأولى في تنظيم و هيكلة النظريات التداولية. و يعد "**الهولاندي هانسون**" أول من جرب التوحيد بطريقة نظامية و تجزئة مختلف المكونات التي تطورت لحد الآن بطريقة مستقلة.[3]

أ- التداولية من الدرجة الأولى أو نظرية الحديث

إن أشهر من نظر لهذه النظرية العالم اللغوي الفرنسي **'إميل بنفنسيت E.Benveniste '** الذي أكد على ضرورة التمييز بين اللغة كسجل من الأدلة، ونظام تتركب فيه هذه الأدلة، و اللغة كنشاط يتحقق من خلال وقائع الخطاب التي تخصصها علامات خاصة، تلك العلامات التي يسميها

---

[1] **جميل حمداوي ، المقـــاربة التداولية في الأدب والنقـــد : من http://www.diwanalarab.com**
[2] **المرجع نفسه .**
[3] **عمر بالخير ، مدخل إلى دراسة بعض الظواهر التداولية في اللغة العربية (الخطاب المسرحي نموذجا) ، مجلة انسانيات ، http://insaniyat.revues.org/9668**

"**بنفنيست** " "**المؤشرات**" يكمن دورها في تصيير اللغة خطابا فعليا. هذا التعبير يسميه الحديث "**Enonciation**"وهو إجراء اللغة و تحقيقها من خلال فعل كلامي فردي.

و يعكف الدارسون في هذا المستوى على دراسة البصمات التي تشير إلى عنصر الذاتية في اللغة.[1]

ب– التداولية من الدرجة الثانية أو نظرية قوانين الخطاب

و هي تتضمن دراسة الأسلوب الذي يرتبط بقضية مطروحة، حيث تكون هذه الأخيرة متباينة عن الدلالة الحقيقية للقول، و هي تدرس كيفية انتقال الدلالة من المستوى الصريح إلى مستوى التلميح، بالسعي وراء استنباط و معرفة العمليات المتسببة في ذلك فهذه النظرية تنظر إلى اللغة باعتبارها مجموعة من الاقتراحات المسبقة و من الأقوال المضمرة و الاحتجاج...[2]

ج– التداولية من الدرجة الثالثة أو نظرية أفعال الكلام La théorie des actes du langage

تنطلق هذه النظرية من مسلمة مفادها أن الأقوال الصادرة عن المتكلمين، ضمن وضعيات محددة، تتحول إلى أفعال ذات أبعاد اجتماعية.

ترجع هذه النظرية في أول عهدها إلى الفلاسفة التحليليين الإنجليز أمثال **'أوستين Austin'** و تلميذه "**سيرل** "اللذان بينا أن اللغة ليست بنى و دلالات فقط، بل هي أيضا أفعال كلامية ينجزها المتكلم ليؤدي بها أغراضا، فهو عمل يطمح المتكلم من خلاله إلى إحداث تغيير معين في سلوك المخاطب بالفعل أو بالكلام. تقول **أوركيوني** في هذا الإطار : "**إن الكلام هو بدون شك، تبادل للمعلومات، ولكنه أيضا**

[1] عمر بالخير ، مدخل إلى دراسة بعض الظواهر التداولية في اللغة العربية (الخطاب المسرحي نموذجا) ، مجلة انسانيات ، http://insaniyat.revues.org/9668
[2]- المرجع نفسه

إنجاز لأفعال مسيرة وفق مجموعة من القواعد" (بعضها كلية، حسب **هابرماس** (**Habermas**) من شأنها تغيير وضعية المتلقي و تغيير منظومة معتقداته أو وضعه السلوكي، و ينجز عن ذلك أن فهم الكلام و إدراكه يعني تشخيص مضمونه الإخباري و تحديد غرضه التداولي، أي قيمته و قوته الإنجازية.

و يتكون الفعل الكلامي، حسب **'أوستين'** من الآتي :

- فعل لغوي acte locutoire : لا تدخن
- فعل إنجازي acte illocutoire : و هو النهي في المثال السابق
- الفعل التأثيري acte perlocutoire : و يتمثل في رد فعل المخاطب بالاستجابة أو الرفض.

وقد وسّع "**سيرل**" نظرية أفعال الكلام، فأبرز أن لكل فعل شروط إنجازه، ووضع مجموعة من القواعد تتحول بها الأفعال الكلامية المباشرة إلى أفعال غير المباشرة، إضافة إلى هذه التقسيمات الثلاثة، هناك أخيرا، مجموعة من التحليلات اللغوية تندرج ضمن الدراسات التداولية، تهتم بالخطاب بصفته نصا تحدده قواعد معينة سواء أكنا نهتم بالمحادثة أو بالمحاجة أو بالنصوص بمختلف أنواعها، حيث تطورت منذ سنوات قليلة دراسات يمكن إدراجها فيما يسمى اليوم اللسانيات النصية.(La linguistique textuelle) [1]

وسنوضح الدرجة الثالثة من التداولية في ما سيأتي من العنصر الذي هو مفاهيم أساسية للتداولية ، والذي سنعالج فيه مفهوم الفعل بشيء من التوسع .

[1] **Orechioni,C.K : Op.cité.-p.185.**

4/مفاهيم أساسية للتداولية :

تقوم التداولية على مفاهيم ثلاثة يمثل تحديدها أساس الدرس التداولي لوجودها متضمنة القراءة التداولية لكل الخطابات وهي[1]:

1/4-مفهوم الفعل:

يتجاوز مفهوم الفعل في التداولية مفهوم تمثيل العالم وإنتاج ألفاظ دالة على المعاني، إلى القيام بفعل وممارسة التأثير من خلال استعمال اللغة، هذا المفهوم الذي أسس لنظرية **"أفعال الكلام"** وقد قسّم **'أوستن** الأفعال إلى "إنجازية **actes performatifs** "و"تقريرية أو واصفة **actes constatifes** " بحيث يقترن في الأولى' **الإنجاز** 'بالتلفظ نحو "**بعت، اعتقدت...**" فالعمل هنا دلالة اللفظ، وفي الثانية تصف حالة عالم مستقل عن التلفظ نحو "**اقتربت الساعة**" إلى جانب ذلك فقد قسم **'سيرل' الأفعال الإنجازية** إلى خمسة أصناف(**التأكيدات، الأوامر، الالتزامات، التصريحات، الإدلاءات**) وهو تقسيم يصب في خانة المفهوم التداولي للفعل أو الممارسة الفعلية للغة التي ترتبط دلالتها الفعلية بالحال أو السياق.

لم يعد تحليل النصوص حكرا على المناهج القرائية، التي تستمد روحها وفلسفتها من الأصول البنيوية والنماذج اللسانية فحسب ، ولكن المجال اتسع ، وبات أكثر شمولا ما يساعد على إنتاج نظرية تستوعب منجزات اللسانيات، ومختلف العلوم التي بإمكانها مقاربة اللغة باعتبارها نظاما تواصليا ذا طبيعة متعددة ، ليست لغوية فقط ولكنها ذات صلة وثيقة بالجوانب السياقية والمقامية المصاحبة لفعل التلفظ .

[1]- نواري سعودي أبو زيد: في تداولية الخطاب الأدبي، المبادئ والإجراء، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، سطيف، الجزائر، ط1، 2009، ص26-30

إن للأبعاد غير اللغوية دورا أساسيا في إنتاج المعنى وإنجاز عملية التواصل، وهو شكّل مادة خصبة لنظرية لسانية جديدة، نجحت في مقاربة النشاط اللغوي في إطار علاقته بمستعمله وآليات استخدام العلامات اللغوية والسياقات التي ينجز ضمنها هذا النشاط .[1]

تنوعت مصادر الدرس اللساني المعاصر، إذ كان لكل مفهوم من مفاهيمه حقل معرفي يستمد منه مادته العلمية، فالأفعال الكلامية مثلا : مفهوم تداولي منبثق من مناخ فلسفي هو الفلسفة التحليلية .[2]

وقد اهتم فلاسفة اللغة بالاستعمال ونذكر من هؤلاء : (**كارناب** ، **راسل** ، **جورج مور** ، **غوتلوب** ، **فريجة** ، **بيرس** ، **فتجنشتاين**) ففرض هذا المنهج نفسه على التطوارت، وخاصة الفلسفة التأويلية كما هو الحال عند (**بول ريكور**) أو عند مدرسة فرانكفورت وخاصة عند (**هابرماس Habermas**) .

وفي اللسانيات البنيوية كما يظهر عند "**بنفنست**" و"**ميشال فوكو** Michel Foucault ".ولقد اقتصر التداوليون على المعنى المقامي واعتبروه عمدة التفسير، ونظروا في قيمة القول خارج العالم اللساني، أي النظر إلى البعد العملي للقول، وذلك بجعل الفعل اللغوي حدثا في العالم وهو ما يؤسس لظهور نظرية أفعال الكلام .[3]

1/1/4/الأفعال الكلامية : المفهوم والوظيفة والأنواع :

تعتبر الأفعال الكلامية النواة المركزية للنظرية التداولية، يقول **'فان ديك van dijk '**:" تختص التداولية بوصفها علما بتحليل الأفعال الكلامية ووظائف منطوقات لغوية، وسماتها في عمليات الاتصال بوجه عام " [4] ؛لأن وظيفة اللغة كما يرى التداوليون ليست الإخبار ونقل المعلومات فقط وإنما هي وسيلة عمل وتأثير في الغير .

---

[1] حبيب بوزوادة :ظاهرة الأفعال الكلامية في الخطاب النبوي مقاربة تداولية لحجة الوداع ، مجلة جذور ، ع 35 ، أصار النادي الأدبي والثقافي بجدة ، نوفمبر 2014 ، ص 213.
[2] محمد مدور : نظرية الأفعال الكلامية بين التراث العربي والمناهج الحديثة دراسة تداولية ، مجلة الواحات للبحوث والدراسات ، ع 16 ، قيم اللغة العربية وآدابها ، المركز الجامعي غرداية ، غرداية، الجزائر ، 2012 ، ص 47.
[3] محمد مدور : نظرية الأفعال الكلامية بين التراث العربي والمناهج الحديثة دراسة تداولية ، مرجع سابق ، 2012 ، ص 49.
[4] محمد الأخضر الصبيحي ،مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقية، مرجع سابق ،ص 49.

شكّل الفعل الكلامي الموضوع الأساسي لدى التداوليين فبينوا طبيعته وشروطه وأقسامه والقواعد التي تضبطه لتحقيق إنجازيته، نبدأ في هذه المناسبة بالطرح الذي قدمه رائد نظرية الأفعال الكلامية " **أوستن Austin** حيث انطلق في محاضراته من تمييز الملفوظات الوصفية(**constative**) والملفوظات الإنجازية (**performative**) مبينا أن هذه الأخيرة لم تنل حظها الكبير من الدراسة فناقش طبيعتها وخصوصياتها إلى أن توصل إلى فكرة الفعل الكلامي، فبين ماهيته ثم فصل القول في شروطه وأقسامه الثلاثة (فعل القول ، الفعل الإنجازي ، الفعل التأثيري) ووصولا إلى ضبط أصناف الفعل الإنجازي، وقد طوّر أفكاره واستدرك بعض هفواته دارسون آخرون، منهم تلميذه **'سيرل searle'** و**'فوندرليش wunderlich'** **و'فان ديك van dijk'** و**'أوركيوني Orecchioni '** و**'ريكاناتي Récanati '** وجورج **يول' George Yule '** وغيرهم .[1]

الأفعال الكلامية هي موضوع من موضوعات التداولية، والفعل الكلامي يعني: "كل ملفوظ ينهض على نظام شكلي، دلالي، إنجازي وتأثيري وفضلا عن ذلك يعد نشاطا ماديا نحويا يتوسل أفعال قولية (**locutoires Actes**) لتحقيق أغراض إنجازية (**Actes illocutoires**) تخص ردود فعل المتلقي (كالرفض والقبول) ومن ثم فهو فعل يطمح إلى أن يكون ذا تأثير في المخاطب اجتماعيا ومؤسساتيا ومن ثم إنجاز شيء ما" [2]

نظرية الأفعال الكلامية تهدف إلى دراسة:"...مقاصد المتكلم ونواياه، فالمقصد يحدد هدف المرسل من وراء سلسلة الأفعال اللغوية التي يتلفظ بها، وهذا ما يساعد المتلقي على فهم الخطاب ومن ثمة يصبح توفر

[1] بن عيسى عبد الحليم، مداخلة بعنوان : تداولية مبدأ التأديب في انجاز الفعل الكلامي ، ملتقى دولي بعنوان أصول المنهج التداولي في الدرس العربي والغربي من التاصيل إلى التفعيل ، كلية الآداب واللغات ، جامعة أحمد دراية أدرار ، 02/01/ديسمبر 2015.

[2] التداولية عند العلماء العرب: مسعود صحراوي، (مرجع سابق)، ص20

القصد والنية مطلبا أساسيا، وشرط من شروط نجاح الفعل اللغوي الذي يجب أن يكون متحققا ودالا على معنى" [1]

ويرى **' أوستين'** أن للفعل الكلامي ثلاث خصائص هي: [2]

ـ إنه فعل دال.

ـ إنه فعل إنجازي (أي ينجز الأشياء والأفعال الاجتماعية بالكلمات).

ـ إنه فعل تأثيري (أي يترك آثارا معينة في الواقع خصوصا إذا كان فعلا ناجحا).

إن الفعل الكلامي ليس بالضرورة أن يحقق إنجازا حتى نقول عنه فعلا كلاميا، فقد يثير الكلام فضولا في نفسية المخاطَب وهذا كاف.[3]

وضوح **' أوستين'** أننا بإنتاجنا فعلا كلاميا ننتج في الواقع ثلاثة أفعال متزامنة .[4]

.**فعل لغوي** : ويتضمن فعلا صوتيا ، وفعلا تركيبيا ، وفعلا دلاليا طبقا لقواعدية اللغة .

.**فعل إنجازي** : ويقصد به تغيير العلاقات القائمة بين المتفاعلين بالإخبار أو السؤال أو الوعيد أو الإنذار .

.**فعل تأثيري** : من خلال الأثر الذي يخلفه التلفظ لدى المخاطب كأن يستبشر أو يرعب أو يطرب أو يغضب .

يقول **'منغونو'**:" نعتبر أن الفعل الكلامي قد يتحقق، حتى وإن لم تثبت نتيجة (في الواقع)، إن مجرد إصداره يضفي عل مشروعيته، بمعنى آخر إن الذي يصدر منه فعلا كلاميا لا ينتظر حتى تتوفر جميع الشروط ليقوم بذلك، إن مجرد التلفظ يعني أن تلك الشروط قد اجتمعت".[5]

---

[1] نعمان بوقرة ، نحو نظرية لسانية عربية للأفعال الكلامية قراءة استكشافية للتفكير التداولي في المدونة اللسانية التراثية،، مجلة اللغة والأدب، العدد 17 ، 2006 ، ص 170.

[2] التداولية عند العلماء العرب: مسعود صحراوي، (مرجع سابق)، ص33

[3] Pragmatique pour le discours littéraire: Maingueneau d.n, paris, bordas, 1990 .p09,

[4] .صلاح الدين حسنين ، الدلالة والنحو ، ص 212.

[5] Pragmatique pour le discours littéraire: Maingueneau d.n, paris, bordas, 1990 .p09,

فالأفعال الكلامية دورها تحويل معتقدات المتخاطبين واستمرارية الخطاب بين أطرافه، فالاستعمال المتبادل للأفعال الكلامية هو: ما يخلق التفاعل الكلامي وهذا من خلال الحوار.

أخذنا بتقسيم "**أوستين**" الذي قسم الأفعال **الإنجازية** إلى أقوال تقريرية، وأقوال إنشائية .

أ-الأقوال التقريرية

هي عند العرب الأساليب الخبرية وهي عبارة عن الأقوال التي تحتمل الصدق أو الكذب، أي تستطيع الحكم عليها بالصدق إن طابقت نسبة الكلام فيها الواقع، وبالكذب إن لم تطابق نسبة الكلام فيها الواقع ، ومنها:

- الأقوال الدالة على الثبات .

-الأفعال الإخبارية.

-الأفعال الدالة على الحكم. وسيأتي التفصيل في الفصل الرابع من البحث .

-ب-الأقوال الإنشائية :

هي أقوال لا تصف، ولا تخبر، ولا تمثل، ولا تخضع لمعيار الصدق أو الكذب، أي أن ميزتها الأساسية أن التلفظ بها يساوي تحقيق فعل في الواقع، وقد صنفها "**سيرل**" إلى أفعال كلامية مباشرة، وأفعال كلامية غير مباشرة .

***-الأفعال الكلامية المباشرة :**

هي عبارة عن الأقوال التي تدل صيغتها على ما تدل عليه هذه الأقوال، أي الصيغة تساوي المحتوى، وهي:

-الأقوال الاستفهامية.

-الأقوال الناهية.

-الأقوال الأمرية.

وهذه الأقوال الغرض منها التأثير في المتلقين وإقناعهم.

***-الأفعال الكلامية غير المباشرة :**

هي عبارة عن تلك الأقوال التي لا تدل صيغتها على ما تدل عليه **كالاستفهام الإنكاري،** وكالتشويق مثلا. **وسيأتي تفصيلها والتدليل عليها في الفصل الرابع من البحث.**

يقوم كل فعل كلامي على مفهوم القصدية (**intentionnalité**) فقد اعتبر "**سيرل**" الغرض المتضمن في القول عنصرا ومكونا أساسيا من مكونات القوة المتضمنة في القول .[1] فلا يمكن الاستغناء عن المؤلف كما دعت إلى ذلك البنيوية وخصوصا في النصوص الاحتمالية، حيث " نجد اغراضا شعرية يصعب التفرقة بينها بمقياس واضح مثل شعر الحب البشري والحب الإلهي، وشعر الخمرة الدينية والدنيوية ، وأشعار التصوف وبعض الأشعار الفلسفية " [2] حيث يكون استحضار مقصدية المؤلف في العملية القرائية ضروريا للفصل بين الأغراض .

تحدث "**سيرل** "عن شروط نجاح الفعل الكلامي، ووضع جملة من القوانين أهمها –بحسب **'محمد مفتاح'** – **مبدأ الوجاهة** : ويقصد به مطابقة الكلام لمقتضى الحال فلا يتصور كلام مفيد يصدره المرسل ويستلمه المتلقي دون الاعتماد على هذا المبدأ .[3] الذي يعد الأساس في النظرية التداولية .

2/-**مفهوم السياق:** تطرقنا له سابقا في مدخل البحث وفي طيات هذا الفصل ولهذا نوجز فنقول السياق : يعني الموقف الفعلي الذي توظف فيه الملفوظات، والمتضمن بدوره لكل ما نحتاجه لفهم وتقييم ما يقال.

3/-**مفهوم الكفاءة:** ويعتبر مفهوم الكفاءة إشارة لاعتماد التداولية على استعمال اللغة في السياق. أو هي حصيلة إسقاط محور الفعل على محور السياق، وبناء على ذلك تتحدد كفاءة وميزات المتكلمين.

---

[1] مسعود صحراوي :التداولية عند العلماء العرب ، مرجع سابق ،ص 44.
[2] محمد مفتاح ، تحليل الخطاب الشعري ، مرجع سابق ، ص 35.
[3] - المرجع نفسه ، ص 35.

إنّ سيرورة العمل التخاطبي للوصول إلى المعنى يتحدد عبر سيرورة خطية تنطلق من المتكلم الذي يحاول إنجاح خطابه، مرورا بمحتوى الرسالة وما يستلزمها من خصائص تضمن نجاح التواصل وصولا إلا احتياجات السامع الذي يكيّف الرسالة وفق احتياجاته. وإذا كانت التداولية تعنى بالجانب التواصلي وتحاول – كما يرى بيرس- أن تكون منهجا من أجل تقرير دلالة الألفاظ الغريبة، فإنها تُعنى أساسا في إجراءاتها التطبيقية (بفهم الجملة الواحدة من الكلام فتذهب في البحث عن طبيعة وضعها، انطلاقا من العناصر المعجمية إلى المؤشرات النظمية أو المعطيات السياقية)[1].

5- مبادئ المنهج التداولي:

يركز المنهج التداولي في جانبيه النظري والتطبيقي على التموضع في مجال مفهومي يفرق بين وضع اللغة وبين استعمالها، ذلك أن دلالة الوضع كما يعرفها اللغويون هي دلالة الألفاظ والجمل على المعاني في حالتها الصورية المطلقة بغض النظر عن السياق التخاطبي، بينما دلالة الاستعمال هي دلالة اللفظ والجملة على المعنى ضمن سياق معين.

يعد استعمال اللغة هو جوهر الدرس التداولي على الرغم من استناده على الوضع وقيامه عليه؛ على اعتبار أن الأخير هو نقطة التقاء واشتراك بين المتكلمين، ولكن استناد الاستعمال إلى الوضع اللغوي أمر نسبي لأن الاستعمال يجوز الوضع على أساس اختلاف السياقات الذي يستلزم اختلاف المعاني، ومنه جاء معنى المجاز اللغوي؛ لذلك يمكن الحديث عن دور المنهج التداولي في النصوص الإبداعية التي تعتمد على جماليات المجاز اللغوي في انفتاح المعنى وبناء جسوره بين القارئ والكاتب.

[1] _عبد الملك مرتاض، نظرية النص الأدبي، دار هومة، الجزائر، ط1، 2007، ص403.

لعلّ أبرز ما يظهر في العملية التخاطبية هو قيمة الخطاب المرسَل، أو مدى نجاح المخاطب في إرسال خطابه وتبيان معناه، ويعد مقياس "**غرايس**" لمبادئ المحادثة معيارا هاما قدمه التداوليون في محاولة ضمان حد أدنى لضمان نجاح الخطاب، على اعتبار أن "**غرايس**" يعتبر المحادثة عملية مشاركة ومعاونة بين المتكلمين، فقد صاغ "**مبدأ التعاون**" الذي يقتضي أن المتكلمين متعاونون في تسهيل عملية التخاطب وهو يرى أن مبادئ المحادثة المتفرعة عن مبدأ التعاون، هي التي تفسر كيف نستنتج المفاهيم الخطابية"[1]

6-فروع التداولية:

لسعة الدراسات التداولية في اللغة، تفرعت عنها نظريات متعددة، اهتم كل منها بجانب تداولي معين وتطورت أبحاثه في عدة مسارات، فهناك:

1. التداولية الاجتماعية: التي تهتم بدراسة شرائط الاستعمال اللغوي المستنبطة من السياق الاجتماعي.
2. التداولية اللغوية: والتي تدرس الاستعمال اللغوي من وجهة نظر تركيبية.
3. التداولية التطبيقية: وهي تعنى بمشكلات التواصل في المواقف المختلفة.
4. التداولية العامة: وهي التي تعنى الأسس التي يقوم عليها استعمال اللغة استعمالاً اتصالياً.[2]

وخلاصة هذا المبحث

أن طبيعة اللغة – في الدرس التداولي-تتحدد وتفهم في قيمتها التواصلية، فعلى الرغم مما انتقد به الدرس التداولي من عدم قدرة تطبيق مبادئ المحادثة "**لغرايس**" على النص الأدبي لوجود ميزة الخيال والمجاز فيه

[1]- محمد يونس علي. مدخل إلى اللسانيات. دار الكتاب الجديد المتحدة، الامارات العربية المتحدة، ط1، 2004.ص. 99

[2] نحلة، محمود أحمد، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر مرجع سابق ، ،15.

والتي تشكل مسافة نقل المعنى الحقيقي وغير المباشر بين المخاطِب والمخاطَب.لذلك أوجب علينا أخذ تعريف للتداولية وهو " **دراسة كيف يكون للمقولات معان في المقامات الخطابية**"[1] .

يتضح لنا أن التداولية تهتم بالمرجع والإحالة اللذان أهملهما الدرس **'السوسيري'** -حصر العلامة في الدال والمدلول -فضلا عن ذلك، المقاربة التداولية تدرس اللغة العادية واللغة اللاعادية؛ و ترتكز على ثلاثة مكونات ضرورية ومتكاملة حسب **'شارل موريس'**، وهي: التركيب، والدلالة، والوظيفة. زد على ذلك، اللغة ثلاثة مظاهر: مظهر خطابي، ومظهر تواصلي، ومظهر اجتماعي[2]

كما يتضح أن هناك جملة من الأسباب أدت إلى ظهور التداولية نذكر منها :

-اللسانيات التوليدية التحويلية التي لاحظت وجود ظواهر تركيبية يستحيل تفسيرها بعيدا عن السياق .

-النحو لا ينبغي تفسيره على أساس الحدس اللغوي بل على أساس الاستعمال الحقيقي.

-إقصاء الدلالة وخاصة في البنيوية الأمريكية .

استثمار منجزات اللسانيات في علوم مختلفة كالأسلوبية والبلاغة .[3]

وكخلاصة لابد من التمييز بين أنواع من التداولية لعل أهمها : التداولية التلفظية عند **'شارل موريس'**، والتداولية التخاطبية الممثلة بنظرية الفعل اللغوي **'أوستن' و'سيريل'** والتداولية الحوارية.[4]

---

[1]- محمد محمد يونس علي: مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، دار الكتاب الجديد المتحدة، الامارات العربية المتحدة، ط1، 2004، ص13.

[2] جميل حمداوي ، المقـــاربة التداولية في الأدب والنقـــد : من http://www.diwanalarab.com

[3] سعاد حميتي : مرجع سابق ، ص 130-131.بتصرف

[4]- إدريس مقبول، الأسس الإبستيمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سيبويه، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء، المغرب ، ص263.

الفصل الثاني

استراتيجيات الخطاب

في المثنوي العربي النوري

المبحث الأول : استراتيجيات الخطاب في المثنوي العربي النوري.

المبحث الثاني : بنية الحوار ومبدأ التعاون الحواري في المثنوي العربي النوري.

المبحث الثالث : الافتراض التداولي المسبق في المثنوي العربي النوري

طبيعة اللغة – في الدرس التداولي-تتحدد وتفهم من قيمتها التواصلية، يقول "**جفري ليج Jeffrey Liege**" : " **لا نستطيع حقيقة فهم طبيعة اللغة ذاتها إلا إذا فهمنا التداولية- كيف نستعمل اللغة في الاتصال**" والتداولية تتصل بعديد من الموضوعات ذات الأهمية الكبيرة في الدراسات اللسانية بصفة عامة، و قد صار لها محاولات تطبيقية منشورة عبر دراسات عديدة تهتم بتطبيقات المنهج التداولي في الإبداع اللغوي، على الرغم مما انتقد به الدرس التداولي من عدم قدرت تطبيق مبادئ المحادثة "**لغرايس**" على النص الأدبي لوجود ميزة الخيال والمجاز فيه ،التي تشكل مسافة نقل المعنى الحقيقي وغير المباشر بين المخاطِب والمخاطَب.لذلك أخذت تعريفا " **دراسة كيف يكون للمقولات معان في المقامات الخطابية**"[1]

لم يعد تحليل النص حكرا على المناهج القرائية التي تستمد روحها وفلسفتها من الأصول البنيوية والنماذج اللسانية فحسب ، لكن المجال اتسع ، وبات أكثر شمولا ما يساعد على إنتاج نظرية تستوعب منجزات اللسانيات ومختلف العلوم التي بإمكانها مقاربة اللغة باعتبارها نظاما تواصليا ذا طبيعة متعددة ، ليست لغوية فقط ولكنها ذات صلة وثيقة بالجوانب السياقية والمقامية المصاحبة لفعل التلفظ .

للأبعاد غير اللغوية دورا أساسيا في إنتاج المعنى وإنجاز عملية التواصل ، وهو شكّل مادة خصبة لنظرية لسانية جديدة ، نجحت في مقاربة النشاط اللغوي في إطار علاقته بمستعمله وآليات استخدام العلامات اللغوية والسياقات التي ينجز ضمنها هذا النشاط .[2]

المبحث الاول : الإستراتيجيات الخطابية

أولا: المستويات اللغوية وغير اللغوية في المثنوي العربي.

لا يمكن لأي استراتيجية خطابية أن تنبني بدون عناصر لسانية وغير لسانية كون المنظومة التواصلية والدلالية للغة تتطلب ذلك ،ولما رأى اللسانيون أهمية المستويات اللغوية في تحقيق المقصد الكلامي أكدوا على ضرورة

[1]- محمد محمد يونس علي، مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، دار الكتاب الجديد المتحدة ،الامارات العربية المتحدة، ط1، 2004، ص13.

[2] حبيب بوزوادة ،ظاهرة الافعال الكلامية في الخطاب النبوي مقاربة تداولية لحجة الوداع ، مجلة جذور ، ع 35 ، اصار النادي الادبي والثقافي بجدة ، نوفمبر 2014 ، ص 213.

سلامة الصوت في الأداء الكلامي ،إذ أن البيان يحتاج إلى تمييز وسهولة مخرج وهذا نجدة في طيات المثنوي العربي النوري ظاهرا إذ أن بديع الزمان يستعمل الأصوات الشفوية في آخر الكلم عنده بما يعرف بتناسق الأصوات .أما من حيث المستوى الإفرادي (الصرفي) نجده قد حرص على إعمال القواعد الصرفية حتى لا يوقع المتلقي في الغموض إلا أنه لم يوفق في بعض الألفاظ التي نذكر منها : " حسّانة المصنوعات "[1] على وزن فعالة أي على وزن اسم الآلة. ويقول أيضا " نظّامة المخلوقات " [2] ويقول " إن الشرك والكفر والكفراء "[3]

هذا من حيث الصرف أما من حيث المعجم فاستعمال ألفاظ مترادفة لا تستعمل في سياق واحد بمعنى واحد مثل كلمة "**مطر**" التي لا يلفظ بها في القرآن إلا للانتقام والعامة لا يفرقون بينها وبين "**الغيث**". [4]

لعل السلامة من حيث المستوى التركيبي هي أهم عنصر لساني كون التركيب **المفيد** لا يخلو من دلالة وحتى تكون الدلالة واضحة يجب أن يكون التركيب سليما يقول الجاحظ : " ...**والمفهم لك والمتفهم لك شريكان في الفضل ، إلا أن المفهم أفضل من المتفهم ، وكذلك المعلم والمتعلم** " [5] ،هذه إشارة إلى مبدأ التعاون عند التداوليين .

إضافة إلى العلامات اللسانية في الخطاب النورسي نجد أهمية العلامات الغير لسانية ظاهرة هي الأخرى في إبراز الاستراتيجيات التخاطبية ، و تظهر هذه العلامات الغير لسانية في المقامات الكلامية التي يتطلبها نص المثنوي العربي النوري في تواصله ؛هذه العلامات الغير لسانية التي تعوض القصور الذي يلف المنظومة اللسانية اللغوية .

الظاهر أن الاستراتيجيات الخطابية لا تتجسد إلا من خلال آليات لغوية وأدوات معينة .

---

[1] النورسي : المثنوي العربي النوري ، ص473
[2] المرجع نفسه : ص 473
[3] المرجع نفسه : 87.
[4] الجاحظ : البيان والتبيين ، تح عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ـ القاهرة ، ج1 ، ، ص 14-15.
[5] نفس المرجع ، ص 11.

ثانيا: الآليات الخطابية في المثنوي:

الآليات الخطابية هي: الأدوات اللغوية والتعبيرية التي يحرك بها النورسي رؤاه الفكرية في ممارسته الخطابية التي دفعته لاتباع آليات تواجه التيار الغربي من تسرب الفلسفة المادية إلى تراكيب الحياة الإسلامية، ولهذا نجده عاملا على إنقاد الإيمان، فهو يخاطب في أعماله الجوهر الإنساني، هذا الأخير الذي يعد تركيبا مزجيا بين العقل والقلب .[1] بالتالي هو يخاطب العقل بالسرد المنطقي والقلب بالكلمات الجميلة الوارثة قيما شعرية هائلة .

الناظر في خطابات **سعيد النورسي** يلاحظ أنه يسعى دائما إلى طرح المعاني السامية والدلالات الكبرى في هذا الوجود بأسلوب شعري ، يقترب من الشعر كثيرا لعلاقته بالوجدان وبأعماق النفس .[2]

يلاحظ في تخاطبية **سعيد النورسي** أنه يسعى إلى الإقناع وبسط القول في أي موضوع يريد معالجته واللجوء إلى الحوار والتمثيل والوصف والإشارة، يرتبط أسلوبه العام في كتاباته بأنه صاحب رسالة يريد أن يبين من خلالها للخصوم ولغيرهم صدق ما يقول .[3]

الظاهر أنه استعمل في اتصاله الخطابي مجموعة من الأصوات تظهر أنه عالم بهذا المستوى اللساني يقول :

"فبينما يخرج النفس من عالم الغيب إلى عالم الشهادة تبعا ، إذ يتداخل في المخارج متكيفا بالصوت والصوت يتفرق على المقاطع ، متحولا حروفا أجدى من تفاريق العصا ..."[4]

الناظر لقوله السابق يعلم أننا أمام خبير بعلم الأصوات ونحن نجزم أن أي خطاب لا يحتوي أصواتا تقع موقع القلب، لن يكون مؤثرا بأي من استراتيجياته التخاطبية .

---

[1] أنظر : النورسي أديبا ، بأقلام نخبة من المفكرين ، ندوة سعيد النورسي أديبا بكلية الآداب والعلوم الانسانية ، الدار البيضاء المغرب ، يومي 18/17/ .2003.مختبر تحليل الخطاب بكلية الآداب والعلوم الانسانية /ابن مسيك –الدر البيضاء .ص 27. بتصرف

[2] أنظر إسماعيل إسماعيلي علوي ، الجمال المعنوي والفني من خلال البلبل ، مقال مقدم ، لندوة ، النورسي أديبا ، بأقلام نخبة من المفكرين ، ندوة سعيد النورسي أديبا بكلية الآداب والعلوم الإنسانية ، بن مسيك ، الدار البيضاء المغرب ، يومي 18/17/ .2003. ص 33. بتصرف

[3] -المرجع نفسه :ص 42.

[4] النورسي ، صيقل الإسلام ، ص 188

نجد في كتاب الجاحظ البيان والتبيين مقطعا يبين فيه مواصفات الخطاب البليغ حيث يقول : " **إن البيان يحتاج إلى تمييز وسياسة وإلى ترتيب ورياضة ، وإلى تمام الآلة وإحكام الصنعة ، و إلى سهولة المخرج وجهارة المنطق ، وتكميل الحروف وإقامة الوزن** .." [1] . نجد أن الجانب الصوتي مهم في المفهوم التداولي وآليات الخطاب واضحة عند "**الجاحظ**" مقاربة لمفهوم المعاصرين ،بل أن هذا النص للجاحظ أضبط يقول في الصحيفة الهندية : " **أول البلاغة اجتماع آلة البلاغة ، وذلك أن يكون الخطيب رابط الجأش ، ساكن الجوارح قليل اللحظ ، متخير اللفظ لا يكلم سيد الأمة بكلام الأمة ، ولا الملوك بكلام السوقة** "[2] **وقوله أيضا : " جماع البلاغة التماس حسن الموقع ، والمعرفة بساعات القول** " [3]. نجده ربط الكلام البليغ بالفهم والمقام وأحوال المخاطبين ، لهذا نجده يقصد بالبلاغة أحيانا استراتيجية الحجاج ويقول : " **جماع البلاغة البصر بالحجة ، والمعرفة بمواضع الفرصة** ".[4]

ثالثا : القصدية في الخطاب النورسي

القصدية من المصطلحات القديمة الجديدة في الفكر اللغوي، كثيرا ما أشار إليها العلماء في تراثنا العربي إشارات بارقة ذكية .[5] لو نظرنا إلى "**عبد القاهر الجرجاني**" نراه قد جمع مفهوم القصدية ضمن مصطلح النظم ، في إلحاقه الألفاظ للمعاني وربطها بمقاصد المتكلمين، كما عرض للقصدية تحت مسمى معاني النفس التي يصلها –بقوة– بغرض المتكلم .[6]

---

[1] **الجاحظ : البيان والتبيين ، تح عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ـ القاهرة ، ج1 ، ص 14**
[2] **أبو هلال العسكري ، الصناعتين ، تح ، علي محمد البجاوي ، وأبو الفضل إبراهيم ، ط2 ، القاهرة ، مصر ، 1971 ، ص 23**
[3] **الجاحظ ، البيان والتبيين ، نفس المرجع ، ص 88**
[4] **نفس المرجع ، ص 88**
[5] **غنية تومي ، التفكير اللغوي في كليات رسائل النور ، أطروحة دكتوراه تخصص اللسانيات واللغة العربية ، جامعة محمد خيضر بسكرة ، الجزائر ، 2016-2017 ، ص 248.**
[6] **-المرجع نفسه ، ص 249.**

يقول الباحث "**حميد الحمداني**" : " **إن مقصدية المتكلم عند الجرجاني تَعني في جميع الأحوال أن المتكلم يملك زمام التحديد القبلي للمعاني المراد تبليغها للقارئ ، من هذا الجانب فإن فعالية القارئ يتم قصرها على فهم وإدراك ما هو موجود من معاني في النصوص** ". [1]

قبل معالجة مفهوم الاستراتيجيات الخطابية ارتأينا أن نمر بمصطلح القصدية الذي يتعلق بالمتكلم وما يدور في الجانب العميق عنده ،أثناء إصداره للملفوظات، يرتبط هذا المفهوم بكل ما من شأنه أن يحفّز المتكلم إلى تحريك العملية التبليغية، سواء ارتبط ذلك بما تم التصريح به من ملفوظات أم يرتبط ،وتكتنفه علاقة بوظيفة المتلقي الأساسية مساعدا في تأويل الملفوظات أو في التبليغ عموما ؛فمن الناحية المنهجية يؤدي القصد دورا محوريا في تأويل الملفوظات والنصوص، باعتباره صادرا عن شخص قد لا يصرح عن مقاصده إلا قليلا، وعلى المحلل في هذا المجال ،أن يبحث عن هذه المقاصد في كل شبر من ملفوظات المتكلم ،هذا من جهة و من جهة أخرى في مختلف الظروف التي أسهمت في صدور الملفوظات؛ في هذا المجال لا يمكن الحديث عن انسجام الخطاب إلا بالتحرر من الخطابات ذاتها، والركون إلى معرفة القصد الذي أصدرته هذه الخطابات[2] تقول **آن روبول Ann Robol**: " **إنه لمن تحصيل الحاصل أن نقول إن مفهوم الحالة الذهنية، أو بمعنى أدق القصد يشكل محور إنتاج وتأويل الملفوظات والخطابات** " [3]

انطلقت "**آن روبول Ann Robol** "، في منهجيتها لبناء نظرية تعتمد على القصد لتأويل الخطابات من تمييز "**ويلسون ويسبربر Wilson** " بين نوعين من المقاصد:[4]

– **القصد الإخباري**: الذي يكمن في رغبة المتكلم في إظهار مجموع ما يطلع عليه للمخاطب.

– **القصد التبليغي**: وهو أن يعلن المتكلم صدقه بحقيقة قصده الإخباري.

---

[1] **حميد حمداني ، القراءة وتوليد الدلالة ، تغيير عاداتنا في قراءة النص الأدبي ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط1 ، 2003 ، ص 105.**

[2] **https://omarbelkheir.wordpress.com يوم 10-10-2016.**

[3] **A.Reboul, J.Moeschler (1998) ; la pragmatique de discours, Paris, Armand Colin, P .156**

[4] **A.Reboul, J.Moeschler, OP.cit, P.152-**

نقول انطلاقا من هذا التحديد: إن استراتيجية المؤول تكمن في التنبؤ بسلوك الأشخاص بالوقوف على مقدمتين :[1]

تشير المقدمة الأولى إلى أن الأشخاص هم عوامل أو ذوات عقلانية ،وتشير الثانية إلى أن هؤلاء الأشخاص هم نتاج معتقداتهم ورغباتهم وأحوالهم الذهنية.

ما نشير إليه أن الاستراتيجيات التي يتبناها المتكلم في خطاباته لا بد أن تكون نتاج القصد ؛وعليه تكمن غاية المتكلم أثناء مخاطبته للآخر في انسجام مقاصده بالأساليب التي يصوغ عليها ملفوظاته، لذلك لا نتصور شخصا يقصد التأثير في الآخر – مهما كانت طبيعة هذا التأثير – ما لم يتبنّ استراتيجية معينة يفرضها عليه المقام التبليغي ومختلف سياقاته ،بأسلوب آخر يلجأ المخاطب من أجل تحقيق غاية تأثيرية إلى تبني بعض الأساليب الكلامية ».[2] الاستراتيجية هنا معبر أو مسلك يتخذه المتكلم يكون وفق سياق فتحقق تواصل وتنفذ إرادة المتكلم ويعبر بها عن مقاصده.[3]

تعد المقاصد من أهم المؤثرات في استعمال اللغة، فهي تؤثر في توجيه المرسل إلى اختيار استراتيجية الخطاب – لهذا يشترط أن القصد شرط في بلوغ الكلام – يتمثل دوره الأساسي في بلورة المعنى كما هو عند المرسل الذي يتوجب عليه مراعاة كيفية التعبير عن قصده ،وانتقاء الاستراتيجية التي تتكفل بنقله مع مراعاة العناصر السياقية الأخرى ،منه فوظيفية اللغة هي: تحقيق التفاعل والانسجام بين عناصر الخطاب بما يخدم السياق فتتضح المقاصد بمعرفة عناصره ،سواء أكانت تلك المقاصد مباشرة أم ضمنية .

تعددت مفاهيم القصد في مختلف الدراسات النظرية كما حددها "**ظافر الشهري**" إلى ثلاثة أمور هي : الإرادة ، المعنى ، دال على هدف الخطاب –هذه هي المفاهيم العامة للقصد–[4] . يحيلنا القصد إلى المبدأ التداولي

---

[1] https://omarbelkheir.wordpress.com **بتصرف**

[2] https://omarbelkheir.wordpress.com **نقلا عن D.Coste, R. Gallisson (1976), Dictionnaire de didactique des langues, Paris, Hachette, P 188.**

[3] **سعاد حميتي : الخطاب المسرحي الجزائري المعاصر ، دراسة تداولية مرجع سابق ـ ص 252.**

[4] **يونسي فضيلة ، مفاهم المقاصد وعلاقتها بالخطاب ، المركز الجامعي لبويرة ، ص 283.**

الذي اشتقه "**طه عبد الرحمان**" من التراث العربي الإسلامي -مبدأ التصديق-وهو كما صاغه : " **لا تقل لغيرك قولا لا يصدقه فعلك** "[1]

لقد كان القصد مدار بحث متواصل عند البلاغيين سواء في القديم أم حتى في الحديث حيث تم التركيز عند البلاغيين القدماء على الأحوال والمقاصد، إذ ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدارا لمعاني ويوازن بينها وبين المستمعين وبين أقدار الحالات ... حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات، وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات " [2]. وقد وصف" **الجرجاني**" العدول عن التركيب الأصل بأنه بيان قصد المرسل بالاستجابة للسياق التداولي، كما أن القصد هو المعنى في معالجة مختلف الآليات من كناية ومجاز بصفتهما من آليات الاستراتيجية التلميحية . [3]

لا شك أن **لسعيد النورسي** مقاصد من خطابات المثنوي العربي النوري يسعى في إبلاغها للمتلقي وتتضح مقاصد **بديع الزمان** من البراهين الإثباتية للإيمان والإسلام ،والحث على التضلع من أنوار القرآن لمواجهة زيف المادية الإلحادية وإنقاد الإيمان.

1-مفهوم الإستراتيجية :

يحقق الإنسان أهدافه من خلال الأفعال التي يمارسها في حياته اليومية ، وترتبط هذه الأفعال بسياق معين وبما أن أفعاله مختلفة فإنه يسعى إلى إتباع طرق متباينة تتناسب والسياق لتحقيق أهدافه ،تسمى هذه الطرق " **الاستراتيجية** " [4] وهي على العموم تطلق على الطرق أو الخطط الموضوعة من طرف الهيئات العسكرية لتحقيق سياسة معينة ، وتعدّى هذا المفهوم ليشمل ويتسع من حيث الاستعمال علوما معرفية كثيرة. و في مفهومها العام

[1] طه عبد الرحمان ، اللسان والميزان ، ط1 ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، 1998 ، ص 250.
[2] الجاحظ البيان والتبيين ، ج1 ، تح ، عبد السلام محمد هارون ، دار الجيل ، بيروت ، دت ، ص 138 ، 139.
[3] يونسي فضيلة ، مرجع سابق ، ص 286.
[4] دليلة قسمية ، استراتيجيات الخطاب في الحديث النبوي الشريف ، ماجستير ، جامعة باتنة ، الجزائر ، 2011، 2012، ص 68.

هي : " **علم وفن ينصرفان إلى الخطط والوسائل التي تعالج الوضع الكلي للصراع . من أجل تحقيق هذه السياسة** " [1] ثم انتقل مفهوم الاستراتيجية إلى علوم عديدة منها علوم اللغة .

***مفهوم الاستراتيجية في الخطاب**

موضوع استراتيجيات الخطاب من الموضوعات اللغوية المهمة، تكمن أهميته في كل مجال من مجالات الحياة منها المجال الاجتماعي والمجال التعليمي والسياسي والاقتصادي ، فللمجتمع سياقات كثيرة تتطلب خطابات متنوعة لترضي أهداف الناس المتباينة ، لذلك فالحاجة قائمة لاكتشاف هذه الاستراتيجيات في المثنوي العربي النوري ،ومعرفة كيفية تطويعها من قبل بديع الزمان سعيد النورسي بما يواكب متطلبات السياق[2]

حصر "**ما نغونو Ma Nguno** " و "**شارودو Sharudo** " مفهوم الاستراتيجية الخطابية في فضائين: فضاء من العقاب يحتوي على معطيات دنيا لابد أن تتوفر ليكون الفعل اللغوي متحققا ،ثم هناك فضاء الاستراتيجيات الذي يحيل على الخيارات الممكنة للمتخاطبين أثناء مشاهدة الأفعال اللغوية.[3]

يتضح أن مفهوم الاستراتيجيات الخطابية :" **هي عملية يقوم بها المرسل باختيار العبارات والكلمات المناسبة ، وكذا اختيار السياق المناسب ، فهو قبل التلفظ بخطابه يخطط لكيفية إنتاجه وكذا كيفية إيصال معناه إلى المرسل إليه ، فالمرسل يحرص كل الحرص على استعمال اللغة بحسب السياق المقامي** ".

أي استعمالا دقيقا يتلاءم و السياق، حتى يتمكن من القيام بهذه العمليات لا بد وأن تكون لديه كفاية لغوية بالإضافة إلى الكفاية التداولية .[4]

والكفاية اللغوية أحد المصطلحات التي وضعها "**تشومسكي Chomsky** " في دراسته للغة " **معرفة**

---

[1] هيثم الأيوبي وآخرون : الموسوعة العسكرية ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، 1981 ، ج1 ، ص6.
[2] محمد محمد يونس علي ، المعنى وظلال المعنى ، أنظمة الدلالة في العربية ، دار المدار الإسلامي ، ط2 ، 2007 ،
[3] انظر : عمر بلخير (2006): معالم لدراسة تداولية وحجاجية للخطاب الصحافي الجزائري المكتوب ما بين 1988 و2000، رسالة أعدت لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة الجزائر، ص 232. بتصرف شديد
[4] دليلة قسمية ، استراتيجيات الخطاب في الحديث النبوي ، مرجع سابق، 2011 ، ص 71.

المحادث " المتكلم السامع بلغته[1]

يجب على المتكلم أن يكون عارفا بالبنية العميقة للغة ، تشمل هذه المعرفة القواعد الأساسية التي بواسطتها يتم تركيب الجمل وصياغتها صياغة صحيحة " فالكفاية اللغوية ينظر إليها على أنها المعرفة المتطلبة لتركيب الجمل الصحيحة الصياغة أو فهمها [2] . إلا أن هذه الكفاية انتقدت من طرف العلماء أمثال "**فان ديك Vandic**" اطلق ما يسمى بالكفاية التواصلية . التي تكونت عنده من مجموعة من الملكات (ملكة لغوية وملكة منطقية وملكة اجتماعية وملكة إدراكية) [3] . القريب من هذا نجده في ثقافتنا العربية القديمة فالشاعر لا يمكن أن يكمل قولا إلا إذا توفرت فيه قوى ثلاثة : قوة حافظة ، قوة مائزة وقوة صانعة ، هذا ما أقره "**حازم القرطاجني**".[4]

ما يفهم مما سبق أن الكفاية التواصلية تمكن المرسل من فهم مقاصد الخطاب .

ذهب اللغويون إلى أن نمو الكفاية التواصلية عند الإنسان يكون نموا طبيعيا بالموازاة مع نمو الكفاية اللغوية واستدلوا في ذلك بقدرة الطفل على إنتاج خطابات في سياقاتها المناسبة ، فهو مثلا يستطيع إنجاز فعل لغوي في كلمة واحدة مثل : "**ماء** " فبالإضافة إلى أنه تلفظ بهذه الكلمة فقد أنجز فعلا لغويا وهو طلب **الماء** [5] وهذه الكفاية هي الأساس الأول الذي بواسطته يتمكن المرسل من اختيار استراتيجية الخطاب. التي تعد المسلك الذي يتخذه المرسل للتلفظ بخطابه، من أجل تنفيذ إرادته ، والتعبير عن مقاصده ، التي تؤدي لتحقيق أهدافه [6]

فالوظيفة المحورية للمقصد في أية عملية تأويلية وتحليلية للخطاب، هي تحقيق غاية تأثيرية، بتبني بعض الأساليب الكلامية ."[7]

---

[1] **محمد محمد يونس علي ، المعنى وظلال المعنى ، مرجع سابق 2007 ،**
[2] **المرجع السابق ، ص148 .**
[3] **احمد المتوكل : قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية (البنية التحتية أو التمثيل الدلالي التداولي) ، دار الأمان ، الرباط 1، 1995 ، ص 16-17.**
[4] **أبي الحسن حازم القرطاجني : منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، تقديم وتحقيق ، محمد الحبيب ابن الخوجة ن دار الكتب 1 الشرقية ،د.ت ، ص:42-4**
[5] **عبد الهادي بن ظافر الشهري : استراتيجيات الخطاب ،دار الكتاب الجديد،ط1 ، بن غازي ، ليبيا ، 2004 ، ص60**
[6] **المرجع نفسه : ص62.**
[7] **D.Coste, R. Gallisson (1976), Dictionnaire de didactique des langues, Paris, Hachette, P 188 منقول عن موقع omarbelkheir.wordpress.com**

استعمل **النورسي** كثيرا من الاستراتيجيات الخطابية مع طلابه وقارئيه، وأسس لمدارج تيسر الفهم في ضوء قدرات المتلقين وتقبلهم للفكر الإسلامي ،ونجد تعدد الاستراتيجيات عنده تكون بتعدد السياقات، فنجده يراعي الجانب التداولي ،كما هو معلوم أن للغة وظائف عديدة، فمن حيث المنظور التداولي هناك وظيفتان رئيسيتان هما: الوظيفة التعاملية والوظيفة التفاعلية ترتبطان بمقاصد الإنسان الذي يستعملها بوضعه الاجتماعي وأهدافه ، فالناس عندما يتحدثون لا يفعلون ذلك لمجرد تحريك أعضاء النطق، ولكن ليؤدوا من خلال كلامهم هاتين الوظيفتين.[1]

إذ كان الخطاب بناءً لغويا مركبا من مستويات تمثل الجوانب التي بواسطتها يكتمل البناء ،فإن الاستراتيجية تتجسد في كل مستوى من هذه المستويات – المستوى الصرفي ، المستوى المعجمي ، المستوى التركيبي ، المستوى الصوتي ، المستوى التداولي . [2]

تُعْرف الاستراتيجيات التخاطبية من خلال أهداف معينة مستنبطة من التفاعل ، فهي تستند إلى حالة مستقبلية يطمح إليها التفاعل، وترتبط بمكون الهدف أي تنشيط أنظمة معرفية معينة، وتمثيل نماذج عقلية واستحضار آراء خاصة ،وأوجه إقناع ومواقف، والإعلام بالقيود الموقفية للفعل التواصلي، المخطط له ؛وبوجه خاص التوجيه المستمر لكل الأنشطة الإدراكية إلى الوظيفة الممكن توقعها للخطاب المخطط له في التفاعل . [3]

تعد الاستراتيجيات من صميم الخيارات التي تتبناها الذوات المتخاطبة ،سواء أكان ذلك بوعي أم بغير وعي والغاية من ذلك هو تحقيق عمليات لغوية ؛وتخضع هذه العملية لمجموعة من العقبات التي تتشكل من قواعد أو أعراف أو مواضعات، ويضيف "**شارودو** Sharudo " إلى كل هذه الشروط، شرط توفر عامل العقد الذي يضمن الاستقرار والقابلية على توقع السلوكات، بصفة تمكّن الذات من اللعب بمعطيات ذلك العقد أو داخل هذه المعطيات، ويضيف أيضا بعد تحديده للاستراتيجيات اللغوية أنها تتمحور حول عدد من الرهانات منها رهان إضفاء الشرعية الذي يحدد وضعية سلطة المتكلم، ورهان الصدق الذي سعى إلى تحديد وضعية صدق المتكلم.

[1] عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتجيات الخطاب ، مقاربة لغوية تداولية مرجع سابق ، ص 4 من المقدمة .
[2] المرجع نفسه ، ص62 .
[3] ادريس مقبول ، الاستراتيجيات التخاطبية في السنة النبوية ، مجلة كلية العلوم الإنسانية ، العدد 15 ، 2014 ، ص 541

ورهان الإثارة الذي تكمن الغاية منه في حمل الآخر على المشاركة في العملية التبادلية التبليغية انطلاقا مما يفكر فيه المتكلم[1] . ونجد هذا في قوانين الخطاب التي تعود إلى مبدأ التعاون وتنبثق منه .[2]

تعد كل محاولة للوصول إلى هدف من خلال الخطاب، نتيجة سلسلة من عمليات اختيار واتخاذ القرار تجري بوعي في العادة .

بذلك يصير واضحا أن الاستراتيجيات تتوسط بين المهام التواصلية المستنبطة من التفاعل والقيود الاجتماعية ، كذلك أهداف المشاركين في التواصل ، هذا من جهة وبين الوسائل اللغوية وغير اللغوية الموضوعة لتحقيقها وتأليف بنيتها من جهة أخرى .[3]

2/أنواع الاستراتيجيات التخاطبية في المثنوي العربي النوري :

لقد تم تصنيف أنواع الاستراتيجيات التخاطبية في الدراسات التداولية بحسب ثلاثة معايير ، وهي :

أولا : المعيار الاجتماعي يتعلق بالعلاقة بين طرفي التخاطب ، وقد تفرعت عن هذا المعيار استراتيجيتان هما : الاستراتيجية التضامينة والاستراتيجية التوجيهية .

ثانيا : معيار شكل الخطاب يتعلق بشكل الخطاب اللغوي للدلالة على قصد المرسل ، وعن هذا المعيار تفرعت الاستراتيجية التلميحية .

ثالثا : معيار هدف الخطاب عنه تفرعت الاستراتيجية الحجاجية.

فإذا اتضح هذا انتقلنا لتفصيل كل واحدة على حدة بما تفضيه من تعريف وتمثيل وشرح وتفصيل في المثنوي العربي النوري .

---

[1] **D. Maingueneau, P. Charaudeau (2002), Dictionnaire d'analyse du discours, Paris, Seuil, P549 منقول عن موقع omarbelkheir.wordpress.com**

[2] **سعاد حميتي : الخطاب المسرحي الجزائري المعاصر : مرجع سابق ص 253.** قوانين الخطاب :هي مبدأ المشاركة ، قانون الإفادة ، قانون الصدق ، قانون الاخبارية ، قانون الشمول

[3] **إدريس مقبول ، مرجع سابق ، ص 541بتصرف**

أشرنا في الصفحات السابقة إلى الارتباط الوثيق لمقاصد المتكلمين بالاستراتيجيات التي يتبناها المتخاطبون من أجل تحقيق مقاصدهم. فالاستراتيجيات هي وسيلة تحقيق المقاصد ،وقد أدركت اللسانيات الحديثة—خاصة التداولية– أنه يستحيل فهم دلالات الخطاب الصريحة منها والضمنية ،ما لم نفهم المقاصد التي وُجدت وراء انتاجها. قد توصل علماء الأصول والفقه وعلماء البلاغة العرب القداماء، إلى ربط الخطاب بمقاصد المتكلمين.[1]

النقاط التي سنعرضها إضافة إلى مقاصد المتكلمين، لا ترتكز على مظاهر اللغة الداخلية (الصرفية أو التركيبية...) بصفة مطلقة ،بقدر ما تحاول المزج بين عناصر اللغة وعناصر السياق المرتبطة بالمتكلم والمخاطَب و الظروف التي كانت سببا في نجاح العملية التبليغية.[2] وقوفا على السياق ومقصد المتكلم.[3]

لا تتحقق العملية التخاطبية إذا لم يتوفر عدد من الرهانات ،منها ما يحدد وضعية سلطة المتكلم، ومنها ما يحدد وضعية صدق المتكلم، ومنها ما يحمل الآخر على المشاركة في العملية التبليغية، انطلاقا مما يدور في خلد المتكلم[4].

قد وردت في المثنوي العربي النوري استراتيجيات عديدة ندرجها ونمثل لها في الآتي :

*الاستراتيجية التضامنية في المثنوي العربي النوري :

عرّفت بأنها الاستراتيجية التي يحاول المرسل أن يجسد بها درجة علاقاته بالمرسل إليه ونوعها ، وأن يعبر على مدى احترامه لها ورغبته في المحافظة عليها ، أو تطويرها بإزالة معالم الفروق بينها ،بتفهم حاجات الجمهور ؛واجمالا هي محاولة التقرب من المرسل إليه وتقريبه .[5]

---

[1] إدريس مقبول ، المرجع السابق، ص 541 بتصرف شديد
[2] https://omarbelkheir.wordpress.com
[3] ينظر : عمر بلخير (2006): معالم لدراسة تداولية وحجاجية للخطاب الصحافي الجزائري المكتوب ما بين 1988 و2000، رسالة أعدت لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة الجزائر، ص 232. بتصرف شديد
[4] بلخير عمر ، مقاصد الكلام واستراتيجيات الخطاب في كتاب "كليلة ودمنة" لابن المقفع ، مجلة الأثر ، ، العدد الخاص: أشغال الملتقى الدولي الرابع في تحليل الخطاب ، ص 264. ينظر https://omarbelkheir.wordpress.com .
[5] ينظر: ادريس مقبول ، الاستراتيجيات التخاطبية في السنة النبوية ، مرجع سابق ص 543. بتصرف شديد

ومن مسوغات الاستراتيجية التضامنية تأسيس العلاقة الودية بين طرفي الخطاب أو إعادة الحميمية لها بعدما تعرضت للبرودة ،كذلك تيسير طرق التعليم والإفهام عن طريق التأدب ،وغيرها من المسوغات التي سنمثل لها في المثنوي العربي النوري الذي لا تخلوا فقرة منه إلا وحملت استراتيجية تضامنية .من أمثلة ذلك :

استيعاب الجرأة الشبابية : موضوع الحوار التهذيب والتربية . **وأطرف الحوار** هم : سعيد النورسي وقرائه من طلبة النور وغيرهم ،وهنا المقام الذي يدخل في زمان ومكان الحدث التواصلي الذي هو زمن مفتوح بدايته هي بداية تأليف الرسالة ، والمكان هو تركيا ، وبما أن المثنوي العربي النوري كتب بالعربية فهو موجه للأتراك وللعرب ، أما قناة الخطاب فكانت الكتابة ،والنظام رسائل موجهة .

يقول سعيد النورسي :" لا تخف من تمرد النفس ، لأن نفسي الأمارة المتمردة المتجبرة انقادت وذلت تحت سطوة ما في هذه الرسالة من الحقائق بل شيطاني الرجيم افحم وانخنس" .[1]

ويقول في رسالة **لمعات من شمس التوحيد** :" يا أيها الغافل المنغمس في الأسباب إن الأسباب حجاب تصرف القدرة إذ العزة والعظمة تقتضيان الحجاب ، لكن المتصرف الفعال هو القدرة الصمدانية ، إذ التوحيد والجلال هكذا يقتضيان "

وهذا ساقه في بيان جواهر من خزائن الآيات مثل آية " **اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (62) لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (63)** "الزمر آية 63.62.

لعلى طبيعة الحوار الدائر بين سعيد النورسي وقارئ المثنوي العربي النوري ، من شباب النور الذين يعيشون فترة العلمانية الحرجة التي نخرت السلطة العثمانية ، جعل بديع الزمان في ظل التخلف والجمود الذي تشهده الخلافة العثمانية يدعوا الشباب من طلاب النور ومن مسلمي تركيا إلى محاربة شيطان النفس والعودة إلى رحاب التوحيد ،

[1] **النورسي : المثنوي العربي النوري، ص 34.**

ويضرب سعيد النورسي المثل بنفسه إذ أن نفسه انقادت وذلت ويقول " **كن من شئت فلا نفسك أطغى وأعصى من نفسي ، ولا شيطانك أغوى واشقى من شيطاني** ".[1]

وهنا يربي الشباب بتجاربه التي سطّر لها كليات رسائل النور ، فأصبحت تحمل تربية روحانية منقطعة النظير .

ففي الاستراتيجية التضامنية لا يخاطب المرسل المرْسَل إليه بمنطق التوجيه أو التواصل العمودي ، بل يحرص على الاقتراب منه بأدب [2] ، قصد التأثير فيه أكثر ،خصوصا إذا علم أن القضية موضوع الحوار ليست عقلية محضة ، بل يتداخل فيها ما هو عاطفي بما هو عقلي بما هو اجتماعي بما هو شرعي ، ولهذا نجد بديع الزمان في المثنوي العربي النوري يطرح استفهامات أي يستعمل الجانب الإنشائي لتوجيه الشباب إلى براهين التوحيد وإلى شعاعات شمس القرآن التي تعتبر ثابتة وما دونها متغير . هذه الأنوار القرآنية المضيئة التي لو انفتح العقل عليها ارتفعت معدلات الوعي النفسي والاجتماعي وغيرها ، وهنا سيستفيق الفرد المسلم من بشاعة التنويم العلماني والإلحادي وسيؤْثر أنوار القرءان على النعيم العلماني المتوحش ، لأنه سيصدم مع قيم سامية .

من الأمثلة التي نضربها أيضا من المثنوي العربي النوري من **الرسالة الثالثة لا سيما** : حيث يعالج نفوسا ملوثة بالشرك . وهو مثال للاستراتيجية التضامنية أيضا والحوار يدور هنا بين سعيد النرسي والملحدين العلمانيين حيث يقول في بداية الرسالة : " اعلم يا من سدت عليه الطبيعة والأسباب باب الشكر ، وفتحت له باب الشرك ، إن الشرك والكفر والكفراء تأسست على محالات غير محدودة ، فانظر من تلك المحالات الى هذا المحال الواحد ، وهو :

عن الكافر إذا ترك سكر الجهالة ونظر إلى كفره بعين العلم ، يضطر – للإذعان بكفره – أن يحمل على ظهر ذرة واحدة ألف قنطار ، وأن يقبل في كل ذرة ذرة ملايين مطبعات للطبيعة واطلاع –مع مهارة – على جميع دقائق الصنعة في جميع المصنوعات ، إذ كل ذرة من الهواء –مثلا–تصلح أن تمر على كل نبات وزهرة وشجرة ،

---

[1] المرجع السابق : ص 34.
[2] ينظر : ادريس مقبول ، الاستراتيجيات التخاطبية في السنة النبوية ، مرجع سابق ص 545. بتصرف شديد

وثمرة ، وأن تعمل في بنيتها ، فلا بد لهذه الذرة والقوة البسيطة المستترة فيها –إن لم تكن مأمورة ، تعمل باسم من بيده ملكوت كل شيء – أن تعرف كيفية جهازات كل ما دخلت الذرة في بنيتها وكيفية صنعته وتشكيله ، مع أن الثمرة مثلا متضمنة لمثال مصغر للشجر ، بل إلى نوعها بل إلى الأرض أيضا ، ومن هذه الحيثية فالثمرة بعظمة صنعتها ومعناها في جسامة صنعة الأرض بوجه ، فمن بناها بهذه العظمة المعنوية الصنعوية ، لا بد أن يعجز عن حمل الأرض وبنائها .فيا عجبا للكافر المنكر يدّعي العقل والذكاوة مع أنه يتبطن –بكفره–في قلبه مثل هذا الحمق والبلاهة ".[1]

في هذا الحوار يظهر حرص سعيد النورسي على البعد التضامني في التخاطب من خلال الاقتراب من الذين تأثروا بالإلحاد ، وبرغم إلحادهم هو يتضامن معهم بغية أن يبث فيهم روح الإيمان الذي هو مبثوث أصلا في نفوسهم ، وهو ثمن قوامه اتزان الانسان ،كاتزان الكون ، ولقد نجحت الاستراتيجية التضامنية في المساهمة في نزع لوثة الشرك والإلحاد من الكثير وظهرت الثمرة في تلاميذ النور .

ونجده يختم رسالته "**لا سيما**" بالدعاء الذي يتمنى فيه الخير والسعادة ويقول فيه " اللهم اجعلنا من أهل السعادة وأحشرنا في زمرة السعداء وادخلنا الجنة مع الأبرار بشفاعة نبيك المختار " لما عالج قضية الإلحاد في الرسالة ختمها بهذا الدعاء الذي يحمل باب التوحيد وباب النبوات .

وبين دفتي المثنوي العربي النوري نجد:

* **الاستراتيجية التوجيهية** : التي تعد استراتيجية يرغب المرسل بها تقديم توجيهات ونصائح وأوامر ونواه يفترض أنها لصالح المخاطب أو المرسل إليه ، ولا يعد التوجيه هنا فعلا لغويا فحسب ، وإنما يعد وظيفة من وظائف اللغة التي تعنى بالعلاقات الشخصية حسب تصنيف "**هاليداي** Halliday " فاللغة تعمل على أنها تعبير لسلوك المرسل، وتأثيره في توجيه المرسل إليه وسلوكه .[2] وسبب اختيار المرسل لهذه الاستراتيجية في رأي بعض

[1] النورسي :المثنوي العربي النوري، ص 87.
[2] ادريس مقبول : الاستراتيجيات التخاطبية في السنة النبوية ، مرجع سابق ص 549.

الدارسين هي إصرار المرسل على تبليغ قصده من وراء الخطاب؛ وكذا توجيه المرسل إليه من خلال النصح والتحذير والإرشاد وهذه الأفعال لا تقتضي استعمال المرونة في الخطاب، كما أنه يود باستعمال هذه الاستراتيجية أن يفرض قيدا على المرسل إليه بشكل أو بآخر، وإن كان قيدا بسيطا، وأن يمارس فضولا خطابيا عليه أو توجيهه لمصلحته بنفعه من جهة، وبإبعاده عن الضرر من جهة أخرى. [1] الظاهر أنها تختص بالمرسل فقط. نجد ذلك في حديث "أبي حيان التوحيدي" للوزير "**ابن سعدان**" وهو يروي كلاما "**لابن المقفع**" إذ قال: أي الأمم أعقل ؟ فظننا أنه يريد الفرس ، فقلنا فارس أعقل الأمم ..فقال كلا ليس لها ولا فيها هم قوم علموا فتعلموا . ويبقى يسأل ويوجه حتى يرد الأمر إليه فيقول العرب ..إن العرب ليس لها أول تؤمه ولا كتاب يدلها أهل بلد فقر ووحشة ..) [2]

وصنف العلماء المرسل إليه عند استعمال هذه الاستراتيجية إلى صنفين : المرسل إليه المتخيل وهنا يكون المرسل على معرفة مستقيمة بالمرسل إليه؛ ويمتاز الخطاب في هذه الحالة بالعموم والديمومة ،والمناسبة لكل وقت . أما الصنف الثاني فهو المرسل إليه الحاضر عند التلفظ بالخطاب هنا قد يكون الخطاب أو التوجيه مقتصرا عليه والسبب في ذلك هو ضيق السياق الذي يدور فيه الخطاب ،لابد أن يأخذ المرسل بعين الاعتبار ميزات الفرد وكذا المعرفة المشتركة بينهما وقد استبعد الدارسون للخطاب كون التوجيه مجرد فعل لغوي بل تجاوز ذلك باعتباره إحدى أهم الوظائف التي تؤديها اللغة وهكذا كان . تصنيف"**رومان جاكسون Roman Jackson** " إذ يسمي وظيفة التوجيه في اللغة بالوظيفة الإيعازية أو الندائية .[3]

سلطة المرسل هو كون "**سعيد النورسي**" له تجارب في مجال الجانب العقلي، مستمدة من كونه صاحب علم راسخ ومشهود له، وله قيم ثابته ؛أما جهة المرسل إليه اتضحت من خلال نصوص المثنوي العربي النوري .

---

[1] ـ عبد الهادي بن ظافر الشهري : استراتيجيات الخطاب ، مرجع سابق ، ص322

[2] ـأبو حيان التوحيدي : الإمتاع والمؤانسة ، صححه وضبطه وشرح غريبه أحمد أمين ، وأحمد الزين ، دار مكتبة الحياة ، لبنان ، د،ت .ص 69،73.

[3] رومان جاكسون : التواصل اللغوي ووظائف اللغة في : ميشال زكريا : الألسنية (علم اللغة الحديث، قراءات تمهيدية)، 1 المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، ط2 ، 1405هـ ، 1985م.

وتتسم الاستراتيجية بالوضوح في التعبير عن قصد المرسل، إذ لا يحتمل الخطاب أكثر من تأويل، ويكمن هذا في كونها تستعمل الأفعال اللغوية الصريحة . [1]

لقد اتجه العلماء المحدثون في دراسة الاستراتيجية التوجيهية و وقوعها إلى اتجاهين:[2]

***الاتجاه الأول** : ويهتم بالدراسات التي تؤكد على **مبدأ التأدب**. وتقول " جانيت هولمز " holmez janet " إن التأدب يعني لغويا أن تخاطب الآخرين على ضوء علاقتك بهم .[3]

***الاتجاه الثاني** : ركز اهتمامه على كيفية إنتاج الخطاب وفقا للاستراتيجية التوجيهية . يظهر في الدراسات المعاصرة لأفعال الكلام وتصنيفاته .

صنف " **سيرل** Searl " الأفعال اللغوية إلى خمسة أصناف من ضمنها الأفعال التوجيهية وهي تلك الأفعال التي يحاول فيها المرسل التأثير على المرسل إليه للقيام بفعل شيء ما في المستقبل والأفعال التي تدل عليها هي : أطلب، أرجو، أسأل، ألتمس، أناشد، أتضرع، أستعطف ، أشجع ، أنصح ، أتحدى، أعترض . والتي أدرجها " **أوستين** Austin " على أنها أفعال سلوكية .[4]

من مسوغات الاستراتيجية التوجيهية : هناك عدد من المسوغات تدعو لاستعمال الاستراتيجية التوجيهية منها :

* الطابع الرسمي في العلاقات التواصلية وكذا الحفاظ على التراتبية التي تضمن استمرار الاحترام والتقدير؛ إصرار المرسل على تنفيد قصده عند إنجاز الفعل .

*عدم التشابه في عدد من السمات . المرسل فقط يكفي بتكوين حججه بهدف تنظيم خطاب لا يهمه المرسل إليه .[5]

*رغبة المرسل في الاستعلاء أو الارتفاع بمنزلته الذاتية .

---

[1] دليلة قسمية ، استراتيجيات الخطاب في الحديث النبوي 82.
[2] عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، ص331
[3] محمد العبد ، النص والخطاب والاتصال ، ص298
[4] عمر بلخير : تحليل الخطاب المسرحي 1 في وضوء النظرية التداولية ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، ط1 ، 233 ، ص ص159 -160
[5] سعاد حميتي : مرجع سابق ، ص 274.

*إصرار المرسل على تنفيذ قصده عند انجاز الفعل، وعلى حصول أقصى مقتضى خطابه، والتأكيد على أنه لا يتوانى عن تعقب خطابه والتمسك بمدلوله .

*حصول تحد واضح للمرسل أو لتعليماته، أو تحد ضد الأنظمة والتعليمات العامة أو بالإساءة إليه رغم سلطته أو عندما يشعر المرسل بأن المرسل إليه قد يتجاوز حدوده في النقاش أو الحوار أو أنه يتحداه بفعل ما .

*الشعور بالتفاوت الفكري أو الاعتبار الاجتماعي أو الطبقي .

*مناسبة السياق التفاعلي لاستعمال الاستراتيجية التوجيهية [1]

وغيرها كثير من المسوغات التي يكون الاتصال فيها عمودي. ومن أمثلة الاستراتيجية التوجيهية في خطابات "**سعيد النورسي**" رسائله في المثنوي العربي النوري التي يسجل فيها تجاربه التوجيهية يقول مثلا " اعلم أنه قيل لي إن الناس يقولون : لا نفهم كثيرا مما في آثاره فتصير ضائعة فأقول : لا تضيع بإذنه تعالى وسيجيئ زمان يفهمها أكثر المتفكرين والمتدينين إن شاء من بيده مقاليد كل شيء ،إذ أكثر هذه المسائل أدوية جربتها في نفسي أعطانيها الفرقان الحكيم، لكن يمكن أن لا يفهمها الناس كما أفهمها بتمامها لأن نفسي بسوء اختيارها —من الرأس إلى القدم ملمعة بالجروح المتنوعة ،فالسليم بحياة القلب لا يفهم درجة تأثير الترياق في السقيم بلدغ حية الهوى كما يفهمه هو ." [2]

فهنا يظهر شعوره بالتفاوت الفكري ونجده يقول في النقطة الرابعة من مقدمته: " لما كان أكثر اشتغال سعيد القديم بعلمي الحكمة والحقيقة ويناظر عظماء العلماء ويناقشهم في أدق المسائل وأعمقها، ويراعي درجة إفهام طلابه القدامى المطلعين على العلوم الشرعية العالية ، فضلا على أنه يشير إلى ترقياته الفكرية وفيوضاته القلبية بأدق العبارات وأقصر الجمل التي لا يفهمها إلا هو ، لذا قد لا يدرك قسم منها —بعد جهد جهيد —إلا الراسخون في العلم"[3] . فهنا أيضا يبرز الشعور بالتفاوت الفكري ويظهر رسوخه في العلم .

---

[1] عبد الهادي بن ظافر الشهري استراتيجيات الخطاب ، ص328 .
[2] النورسي : المثنوي العربي : 218.
[3] النورسي : المثنوي العربي 32.

وما يبرز الجانب التوجيهي في المثنوي العربي النوري الطابع الرسمي في علاقته التواصلية، إذ أنه من عالم إلى تلاميذه وإلى عامة الناس وإلى من اشتغلوا بالعلوم العقلية، إضافة إلى هذا أن المثنوي العربي النوري لا يخلو من الدلائل القرآنية وهذا يجسد الطابع الرسمي ويقول : " اعلم إني أقول ما دمت حيا كما قال مولانا جلال الدين الرومي : "لأني أرى القرآن منبع كل الفيوض، وما في آثاري من محاسن الحقائق ما هو إلا من فيض القرآن ، فلهذا لا يرضى قلبي أن يخلو أثر من آثاري من ذكر نبذ من مزايا إعجاز القرآن "[1]

تعكس لغة المثنوي العربي النوري الذي كتبه بديع الزمان، بالعربية علو مرتبة المرسل الذي هو **بديع الزمان** على المرسل إليه الذين هم طلاب النور وغالبيتهم أتراك، وهو يدعوهم لتعلم اللسان العربي، ولكي يتحقق المراد من التأثير النفسي، من خلال خطابات المثنوي العربي النوري تُظهر الرسائل عدة قضايا تواصلية غاية في الأهمية منها : لغة العرض ، الموقف الأولي والمثالي ، دائرة المشترك .[2]

وهي كلها مؤشرات الاستراتيجية التوجيهية **لبديع الزمان** في مخاطبته من منصب المجرب الراسخ في العلم الذي يأخذ فيه بمراعاة المنازل تجسيدا للقوة الخطابية من وجهة نظر لسانيات الخطاب .[3]

من خلال رسائل المثنوي العربي النوري تبرز لغة العرض المنتقاة المتناسبة مع المقام الحواري كما تبرز ملامح الإطلاقة، ومستوى القوة والمرونة، وفي كل رسالة نجد مستوى مغاير.

ما نشير إليه خلال تباحثنا للاستراتيجية التوجيهية هو: إنها ترتكز على وسائل لغوية سنعرض لها من خلال المثنوي العربي النوري ونذكر منها "**الأمر**" الذي يعد من الأفعال التوجيهية عند المحدثين، ومن النصوص التي استعمل فيها بديع الزمان **صيغة الأمر** ،يقول في لمعات : " أنظر إلى دستور التعاون كيف يجري من الشمس والقمر من الليل والنهار من الصيف والشتاء.."[4] غرض الأمر هنا يخرج للالتماس وكل رسالة لمعات مملوءة بفعل الأمر "**أنظر**" فهو يلتمس من المتلقي النظر ، للتعلم من العالم الشهودي ؛أما في "**ذيل الحبة** "فيكثر من فعل

[1] النورسي : المثنوي العربي النوري : 156.
[2] انظر ادريس مقبول ، الاستراتيجيات التخاطبية في السنة النبوية ، مرجع سابق ص 550. بتصرف
[3] ادريس مقبل : نفس المرجع
[4] النورسي ، المثنوي العربي النوري ، ص 47.

الأمر "**اعلم** "يقول " اعلم أن الملك له ... اعلم إنه لا تزاحم بين العوالم المختلفة في نوع الوجود ..."[1] يحث متلقيه على العلم الجازم بما سيأتي بعد فعل الأمر بل يوجهه حتى يفتح قلبه وعقله لينظر وليعلم أن العالم المشهود رحمة عامة للكافة.

*** الاستراتيجية التلميحية :**

تنبني على معيار شكل الخطاب اللغوي للدلالة على قصد المتكلم [2] ،و تعرف بأنها ما يعبر به المرسل من غير طريق التصريح المباشرة والدلالة الظاهرة ،بل يختار أن ينقل قصده عبر طرق دلالية غير مباشرة (**التضمين والاقتضاء**)[3] يحتاج معها المرسل إليه إلى إعمال آليات الاستدلال للوصل إلى القصد الأصلي فهي استراتيجية يحتاج فهمها إلى الانتقال من المعنى الحرفي للخطاب إلى المعنى المضمر الذي يدل عليه عادة السياق بمعناه العام .[4]

تستعمل هذه الاستراتيجية عادة من خلال استعمال : الاستعارة : التهكم، الأسئلة البلاغية، تحصيل الحاصل ، وكل أنواع التلميحات التي تعبر عن إرادة المرسل أو معانيه في التواصل دون أن يصرح بها مباشرة[5] ،وسنعالج هذه النقطة في الفصل الثالث بكثير من التفصيل . ونلمح إلى أن الاستراتيجية التلميحية هي إعمال أغراض خبرية مجازية وأخرى إنشائية طلبية وغير طلبية مجازية .

ومن مسوغات الاستراتيجية التلميحية نذكر الآتي :

تعتمد على استخدام الأقوال المضمرة والضمنية في الخطاب، هذه الأقوال تحتاج إلى تأويل من طرف المتلقي وذلك باعتماده على السياق والافتراض المسبق .[6] تقتضي هذه الاستراتيجية معرفة اللغة وأساليب إنتاج الخطاب فيها، بما يسمى الكفاءة اللغوية، ومعرفة بعض أبعاد السياق، مع امتلاك مهارة العمليات الذهنية في الكفاءة

---

[1] المرجع السابق ، ص 249.
[2] -بوكلخة صورية : المصطلح الاعلامي العربي ، دراسة في ضوء اللسانيات التداولية ، ماجستير ، جامعة وهران ، الجزائر2007 .ص 229.
[3] نفس المرجع : ص 229. ينظر أيضا ادريس مقبل مرجع سابق ، ص 551.
[4] ادريس مقبل ، ص 551.
[5] -سعاد حميتي : ص 169.
[6] بوكلخة صورية مرجع سابق : ص 230.

التداولية لإنتاج الخطاب المناسب للسياق .[1] تحرص على التأدب في مخاطبة الآخرين بالكناية وغيرها مع الرغبة في التملص من مسؤولية القول . يكتسي الافتراض المسبق والقول المضمر أهمية كبيرة في الاستراتيجية التلميحية . كون الإضمار يتعلق بتحويل الصيغ الكلامية إلى استفهام والافتراض المسبق يتعلق بالملكة البلاغية والذكاء لدى المشاركين في الخطاب .[2]

يظهر كذلك من الاستراتيجية التلميحية الرغبة في اظهار التفوق والاستعلاء مع سلوك طريق التقيّة وغيرها .

والمسوغات كثيرة غزيرة لا يمكن حصرها في أسطر قليلة؛ وما نمثل به على هذا النمط الوافر في المثنوي العربي النوري هو : يقول **'سعيد النورسي'**: " اعلم أن هذا الشخص المشهود لنا بشخصيته المعنوية ، المشهور في العالم بشؤونه العلوية، كما أنه برهان ناطق صادق على الوحدانية ، ودليل حق بدرجة حقانية التوحيد .." [3]

يلمح هنا على النبي عليه الصلاة والسلام ويقول في موضع آخر :

"فإن قلت : من هذا الشخص الذي نراه صار شمسا للكون، كاشفا بدينه عن كمالات الكائنات قيل لك انظر واستمع ما يقول ..."[4] يقول في "**نقطة**" أيضا " إذا ما ألصقت أذنك إلى صدر هذا البرهان الناطق ستسمع حتما "[5] يقصد القرآن الكريم .

ونجده يلمّح على نفسه وعلى الذين ألحدوا فيقول: " يا أيها الغافل المنغمس في الأسباب إن الأسباب حجاب تصرّف القدرة إذ العزة والعظمة تقتضيان الحجاب ..." وهو يتحدث هنا مع طلابه.

لو نظرنا إلى حواراته مع نفسه أو مع تلاميذه أو مع من يخاطب من العلمانيين ومن العلماء فهو دوما يلمّح خاصة إذا أراد التنبيه وهذا أسلوب الراسخين في العلم ونجد هذا من أساليب الرسول عليه الصلاة والسلام الذي

[1] -عبد الهادي بن ظاهر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، مرجع سابق ، ص 378.
[2] بوكلخة صورية مرجع سابق : ص 231.
[3] النورسي : المثنوي العربي ، ص 63
[4] نفس المرجع ، ص 62.
[5] نفس المرجع ، ص 329.

كان إذا بلغه عن أحد من أصحابه ما يحتاج إلى تنبيهه عليه قال في خطبته : ((**ما بال أقوام يقولون كذا** [1]/، ما بال العامل نبعثه فيقول: هذا لك، وهذا لي[2]؟)) وما أشبه ذلك، هذا ليعدل عنه من صدر منه، وليحذر الوقوع فيه من لم يباشره، وهذا من باب التعريض منه صلى الله عليه وسلم ، قال المناوي: "(كان إذا بلغه) من البلاغ (عن الرجل) ذِكر الرجل وصف طردي والمراد الإنسان، (الشيء) الذي يكرهه (لم يقل: ما بال فلان يقول) كذا (ولكن) استدراك أفاد أن من شأنه أن لا يشافه أحداً معيناً حياء منه، بل (يقول) منكراً عليه ذلك: (ما بال أقوام) أي ما شأنهم وما حالهم، (يقولون كذا وكذا) إشارة إلى ما أنكر، وكان يكني عما اضطره الكلام فيما يكره استقباحاً للتصريح".[3] فنظام الحوار في مثل هذه الخطابات توجيهي تلميحي لا يصرح فيه باسم المعني ، وإن كان معروفا عنده ليبقى النص عالمي مفتوح نكرة يقبل العموم ،وليبقى القصد منه التنبيه لا التشويه والإنذار ،ليس القصد منه التشهير والإشهار ،فهو نموذج لحكمة الإشراف ، وفي مثل هذه الخطابات تظهر صفة الأولوية والقيادة ويظهر التوجيه والتصحيح على الانفعال غير المنضبط الذي قد يولد احقادا وهبوطا في القدرة على الاقتداء .

لما كان "**بديع الزمان سعيد النورسي**" داعيا لعقيدة الإسلام، ولنور القرءان وبنوره، وجب عليه مراعاة قواعد الشريعة الأدبية والأخلاقية، ويدخل في الاستراتيجية التلميحية ما جاء على الكناية والتورية والتقية والتعريض والأساليب الإضمارية وغيرها .فأي نداء أو أمر أو نهي أو استفهام لغير العاقل يعد استعارة مكنية سر جمالها التشخيص وما أكثر هذا الأسلوب في المثنوي العربي النوري.على غرار الاستعارة التصريحية التي يصرّح فيها 'بديع الزمان' بالمشبه به، وأتت غالبا في كلمة واحدة جامدة غير مشتقة من فعل ويحذف فيها المشبه.

ما يمكن استنباطه أن "**سعيد النورسي**" بخطاباته التلميحية يريد أن يفهم من كلامه أكثر من معنى ويريد بالمخاطب أن يستصحب المعنى السطحي القريب والزائف وينشغل عن الانتباه للقصد المتواري خلف التركيب الإضماري ، هنا نشير إلى نقطة هي : أن رسائل النور كتبت في زمن صار التحدث فيه عن الإسلام جريمة

[1] من حديث عائشة : رواه أبو داود وصححه الألباني.
[2] رواه البخاري عن أبي حميد الساعدي.
[3] عبدالرؤوف المناوي، فيض القدير شرح الجامع الصغير، المكتبة التجارية الكبرى، مصر.ط1 ، 1356 . (112/5).

وإظهار الحق كبيرة مع الكماليين وغيرهم ممن رضعوا العلمانية فأثمرت فيهم ، فصار لزاما على "**سعيد النورسي**" أن يجعل من خطاباته مضمرة خفية لا يفهمها إلا القلة من تلاميذه وغيرهم من الراسخين في العلم .

فرسائل النور تحمل في بنيتها بنيات تلفظية تتوارى فيها القصود الحقيقية لإنشاء توازن، وتحقيق مصلحة اجتماعية تواصلية كما هو الشأن مع من يناصبونك العداء والخصومة [1].

*** الاستراتيجية الحجاجية الإقناعية :**

يرمي من ورائها المرسل إحداث تغيير في الموقف الفكري أو العاطفي للمرسل إليه ،وهذه الاستراتيجية يتعين على المرسل إقناع المرسل إليه بمختلف الوسائل ؛من مسوغات الاستراتيجية الحجاجية في المثنوي العربي النوري هي قوة تأثيرها في المرسل إليه ، وحصول الاختلاف بخصوص قيمة معينة .

للإقناع آليتين : أحدهما غير لغوية تتمثل خاصة في الإشارات الشخصية الجسدية وهيئات المرسل وهو يلقي خطابه وهي آليات مادية ،في حين تتمثل الآلية الثانية في ممارسة الخطاب ،ويكون ذلك باستعمال اللغة الطبيعية كما لا ننسى دور العلامة السميائية في الإقناع ذلك لكونها عنصرا مهما للحجاج، سواء التي تسبق التلفظ بالخطاب مثل هيئة المرسل ،أو تلك التي يسعى المرسل إلى رسمها بحركة أعضائه أو أي وسائل أخرى ..."[2]

والحجاج وسيلة من وسائل الإقناع أو آلية من آلياته اللغوية والتي نهدف من ورائها التأثير، فهو إنجاز متواليات من الأقوال، بعضها هو بمثابة الحجج اللغوية وبعضها الآخر هو بمثابة النتائج التي تستنتج منها .[3]

ومن ضوابط التداول الحجاجي: تحقيق الإقناع في المرسل إليه كاحترام المتكلم لجملة من المسلمات كالثوابت الدينية، كما أنه لا يجوز للمتكلم أن يناقض نفسه، ولا بد من أن يكون حجاج المتكلم منطقي .[4]

[1] ادريس مقبول : الاستراتيجيات التخاطبية في السنة النبوية ، مرجع سابق ص 554 بتصرف شديد
[2] عبد الهادي بن ظافر الشهري : استراتيجيات الخطاب ، مرجع سابق ، ص 456.
[3] أ أحمد الهاشمي : جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، ط1 ، المكتبة المصرية ، 1999، ص 31.33.
[4] طه عبد الرحمان : اللسان والميزان أو التكوثر العقلي ، مرجع سابق ، ص 226.227.

كما تتوفر الاستعارة والكناية والتشبيه على عدول يمثل درجة أعلى في الإقناع، فعند الانتقال من المعنى الحقيقي إلى المعنى المجازي تحدث فعاليات حجاجية تمثل درجة أعلى في الإقناع والتأثير، كما لا ننسى شكل الفصل والوصل الحجاجيين، ودورهما في محاولة تطبيق مبدأ النفعية في الكلام .[1]

وما نمثل به لهذا النمط من المدونة التي لا تكاد تخلو جملة أو نص إلا **و'لسعيد النورسي'** فيها أساليب حجاجية راقية، إذ إنه يردّ بأنوار القرءان وببراهين ساطعة على المخالفين ممن تضلعوا بالعلوم العقلية وغيرهم .

ففي موضوع التوحيد في رسالة **لمعات** يقول: " انظر إلى خاتم واحد من الخواتم الغير المعدودة الموضوعة على *ذوي الحياة * وهو : أن الحيّ بجامعيته كأنه مثال مصغر للكائنات وثمر مزهر لشجرة العالم ، ونواة منورة لمجموع الكون ، أدرج الفاطر فيه أنموذج أكثر أنواع العالم ، فكأن الحي قطرة محلوبة من مجموع الكون بنظامات حكيمة معينة ، وكأنه نقطة جامعة مأخوذة من المجموع بموازين حساسة علمية ، فلا يمكن أن يخلق أدنى ذي حياة إلا من يأخذ في قبضة بموازين حساسة علمية ....."[2]

إن موضوع الحوار في هذا النص إجابة للملحدين على وحدانية الله وإجابة عن التساؤلات المطروحة في أذهانهم وتحريك لعقولهم بمنطق سليم وعقل راجح ، وفي هذا الحوار وأمثاله يطرح قضية أساسية العقيدة ، وهو يخاطب الإدراك البشري يخاطب العقل المفكر ، والبداهة الناطقة ، والفطرة المستكينة .

وتقنيات الحجاج عند **بديع الزمان** مختلفة تكون باستعمال أو توظيف أدوات لغوية: **كالتعليل** والأفعال اللغوية والتركيب الشرطي، والحجاج بالتبادل، كما قد تكون التقنيات باستعمال الآليات البلاغية كالاستعارة والبديع والتشبيه، إضافة إلى استعمال أدوات شبه منطقية مثل : "لكن وحتى وفضلا عن أدوات التوكيد ."[3]

تعد (**لأنّ**) من الأدوات اللغوية التي يقصد بها التعليل فهي تستعمل لتبرير الفعل أو عدمه ونجد في المثنوي العربي ألفاظ كثيرة للتعليل مثل (**كي**) أو (**لام التعليل**) نجده في رسالة **قطرة** يقول: "..وما انتشر وانتشر في الكائنات

[1] **سعاد حميتي : مرجع سابق ،ص 273.**
[2] **النورسي المثنوي العربي النوري : مرجع سابق ، ص 41.**
[3] **سعاد حميتي ، مرجع سابق ، ص 281.**

(من الحي والحياة) المتضمنتين للحكمة والعناية والرحمة والرزق و الصنعة الدقيقة.... الدالة تلك الحياة على وجوب وجود قادر قيوم محيي مميت واحد **ولأن** كل شيء واحد فخالقه واحد .**إذ** الواحد لا يصدر إلا عن الواحد ."[1]

ومن أدوات التعليل نجد (**إذ**) في قول **بديع الزمان** " وبالنظر في غيرها يدلان على وجوب وجود من خلق كل شيء وقدّره تقديرا ، **إذ** عالم الشهادة مجموعا وأجزاء لكل شيء منه غايات منتظمة "[2] ونجد النورسي يستخدم هذه الأدوات اللغوية كثيرا لأن "**إذ الحرفية التعليلية**" تعوض (**بأن**) وهو عارف للدرس النحوي وقاصد كذلك.

ومن الأفعال اللغوية نجد "**الاستفهام** "الذي يعد حجة بعينها تعين على إقناع المرسل إليه وهذا ما أمده "**علي القارصي** :" ...إن طرح السؤال يمكن أن يضخم الاختلاف حول موضوع ما إذا كان المخاطب لا يشاطر المتكلم الإقرار بجواب ما ، ما يمكن أن يلطف السؤال ما بين الطرفين من اختلاف .."[3]

يقول **بديع الزمان** " أنظر إلى من قال ولمن قال ؟ ولما قال ؟ وفيما قال ؟ نعم إن منابع علو طبقة الكلام وقوته وحسنه وجماله أربعة : المتكلم ، والمخاطب ، والمقصد والمقام ، لا المقام فقط : كما ظل فيه الأدباء ، ثم إن الكلام لفظه ليس جسدا بل لباس له، ومعناه ليس روحا بل بدن له وما حياته إلا من نية المتكلم وحسه " [4] نجده يعتمد على أسئلة متوالية قصد الإقناع القوي، ولتغيير الوجهة الخاطئة .[5] يقول أيضا : " وأين أمر فضولي ناشئ من أمام التمني وهو غير مسموع ؟ وأين الأمر الحقيقي النافذ المتضمن للإرادة والقدرة ؟" فهذا سؤال للمكان وهو هنا يعدله للجانب المعنوي .

وقد يحمل الحجاج نمطا من **الاستفهام المجازي**، خاصة إن كان قصد المرسل بطريقة غير مباشرة وذلك عن طريقة إثارة أسئلة غير مباشرة ، يفهم من خلالها المرسل إليه من أنه مطالب بالإقلاع عن شيء ما غير محمود ومثاله عند 'بديع الزمان' وهو كثير قوله : " كيف أخذ الشرك لنفسه موقعا في نفسه وفي عقله ؟ ....." ويقول

---

[1] النورسي : المثنوي العربي ، مرجع سابق،ص 117.
[2] نفس المرجع :ص 121.
[3] محمد علي القارصي ، البلاغة والحجاج من خلال نظرية المساءلة لميشال ميار ضمن كتاب : أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم باشراف حمادي صمود ، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية ، تونس كلية الآداب منوبة ، 19998 ، ص 398.399.
[4] النورسي : المثنوي العربي النوري ، مرجع سابق ،ص 166.
[5] نفس المرجع : ص 401.

:" ألا ترى أن الكلب اشتهر بعشر صفات حسنة حتى صارت صداقته ووفاؤه تضرب به الأمثال ؟" استفهام بالهمزة .

ومن تقنيات الحجاج المستعملة **السلّم الحجاجي** ،وذلك بترتيب الحجج من الأقوى إلى الأضعف وهو مجموعة غير فارغة من الأقوال مزودة بعلاقة ترتيبية .[1]

"فمقتضى قانون الخفض أنه إذا صدق القول في مراتب معينة من السلم فإن نقيضه يصدق في المراتب التي تقع تحتها .[2] ولتحقيق الحجاج بالسلم الحجاجي استعان بديع الزمان بأدوات لغوية وروابط حجاجية متنوعة (لكن حتى ، فضلا عن ..) إضافة إلى القصر ب (**إنما**) وإلى غير ذلك من الأدوات .

ومن وسائل السلّم الحجاجي اللغوية التي نكتفي بالإشارة إليها وسنعنى بها هي "**الروابط الحجاجية**" كونها الأبرز و الأوضح استعمالا . هذه الروابط تعمل على الربط بين حجتين أو قضيتين ونجد "**لكن**" التي تفيد الاستدراك ومعنى الاستدراك أن تنسب حكما لاسمها يخالف المحكوم عليه قبلها ؛كأنك لما أخبرت عن الأول بخبر خفت أن يتوهم من الثاني مثل ذلك [3] قال "**الزمخشري** ": **فستدرك بها النفي بالإيجاب والإيجاب بالنفي** .."[4] يقول "**بديع الزمان**" : " اعلم أن الانسان كدوائر متداخلة متحدة المركز .ففي دائرة : لباسه جسمه ، وفي أخرى : بلده، وفي أخرى : وجه الأرض، وفي أخرى : عالم الشهادة وهكذا : ولكنه لا فعل ولا تأثير له إلا في الدائرة الصغرى وفيما سواها من الدوائر عاجز مسكين " [5] وقال أيضا : " إنه ينفتح من كل شيء إلى نوره تعالى باب ، لكن بانسداد باب واحد في نظر قاصر لا ينسد ما لا يحد من الأبواب وإن أمكن فتح الكل بفتح واحد".[6]

---

[1]طه عبد الرحمان : اللسان والميزان ، أو التكوثر العقلي ، ص 276.
[2]نفس المرجع ، ص 277-278.
[3]سعاد حميتي ، مرجع سابق ، ص 289.
[4] -الحسن بن قاسم المرادي : الجنى الداني في حروف المعاني ، تح فخر الدين قباوة ، و محمد نديم فاضل ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 ، 1992.ص590.
[5] -النورسي : المثنوي العربي النوري ، ص 178.
[6]- نفس المرجع : ص 194.

ومن أدوات السلم الحجاجي "**حتى** " التي يشترط أن يراعي في المخاطب أو المتكلم تحقق شروط مجرورها في التركيب ، فالأول أن يكون ظاهرا في الغالب ، والثاني أن يكون آخر جزء أو ملاق لآخر جزء ،وأن يكون المجرور بها داخل فيما قبلها على الغالب وأن يكون الانتهاء به أو عنده .[1]

قال "**النورسي**" :" اعلم أن الإسلامية رحمة عامة ، حتى إن الكفار سعادة حياتهم الدنيوية وعدم انقلاب لذائذهم إلى الآلام الأليمة سببها الإسلامية "[2] يقول بديع الزمان أيضا : " الرزق قسمان : حقيقي ومجازي ، فالمتكلف بالآية هو الحقيقي .وأما المجازي الصنعي اللازم بالتزام ما لا يلزم وبالاختيارات السيئة والاعتيادات المضرة ، حتى صارت الحاجات الغير ضرورية ضرورية "[3]

ومن الأدوات اللغوية التي يتحقق بها الحجاج نجد : **درجات التوكيد** "فالضرب الابتدائي" في الأسلوب الخبري الذي يوجه إلى خالي الذهن من الحكم الذي يلقيه إليه المخاطب ، وليس لديه فكرة عن موقف مسبق ومثال ذلك في طيات المثنوي العربي كثيرة يقول بديع الزمان: " فبسر شفافية الملكوتية في كل شيء بسر مقابلة وجه كل شيء للقدرة ، وبسر نورانية تلك القدرة ، وبسر الموازنة الإمكانية وبسر الانتظام بقوانين القضاء والقدر ..."[4] إلى "**الضرب الطلبي**" الذي يوجه إلى مخاطب شاك أو متردد ،ومثاله من **المثنوي العربي النوري** : " إن لكل زمان متاع مرغوب "[5] . وآخر الضروب **"الإنكاري"** الذي يكون عند إنكار المخاطب للحكم الذي صدر من المتكلم ، فالمخاطب يعلم بالخبر على نحو ما ولكنه يذكره حتى يحتاج إلى مؤكد أو مؤكدين يصدران من المتكلم لتأكيد الخبر ،ونجد هذا كثيرا هو الآخر .يقول بديع الزمان : " إني قد تيقنت بلا ريب أنه لو لم تصدق الموجبة الكلية لزم صدق السالبة الكلية في مسألة خلق الأشياء إذ كل الخلق بالتساند المتنظم كل لا يقبل التجزي

[1]- محمد صلاح الدين الشريف : تطابق اللفظ والمعنى بتوجيه النصب إلى ما يدل على المتكلم ، حوليات الجامعة ، التونسية ، تونس ، ع 43 ، ص 26-27.
[2]- النورسي : المثنوي العربي النوري : ص 169.
[3] -نفس المرجع : 162.
[4]- النورسي ، المثنوي العربي النوري ، ص 187.
[5]- نفس المرجع :ص 182.

فإما وإما " [1] والقصد من إكثار "الضرب الإنكاري" و"الطلبي" في بعض الرسائل مثل "**ذرة**" هو تأكيد الجوانب العقدية لمن ينكرها من العقلانيين الفلاسفة .

اعتمد **النورسي** على أراء شائعة –حددت عند عمر بلخير[2]– تعد ضرورة حجاجية، مثل الأمثال والحكم وعبقرية الشعوب ،فمن بين الآراء الشائعة التي جاءت على لسان بديع الزمان "**سعيد االنورسي**" في المثنوي العربي النوري « انظر كما أن الحياة برهان الأحدية، ودليل وجوب الوجود ، فالموت دليل السرمدية والبقاء ..»[3]، أما مقدمة بديع الزمان في محاولة إقناع العقليون من الملاحدة وغيرهم بالعدول عن فهومهم الخاطئة فقد ضمّنها مجموعة من القيم التي يتعين على أي شخص في مرتبة العاقل المكلف أن يتصف بها ليكون ذا غاية في الوجود فمن بين هذه القيم ما جاء في قوله في رسالة "**رشحات من بحر معرفة النبي عليه الصلاة والسلام**": « اعلم أن للمحيط الزماني والمكاني تأثيرا عظيما في محاكمات العقول ..فإن شئت فتعال، نخلع هذه الخيالات الزمانية والعصرية والمحيطية ، ونتجرد من هذا اللباس الملوث ، ثم نخوض في بحر الزمان السيال ، ونسبح فيه إلى أن نخرج إلى عصر السعادات التي هي الجزيرة الخضراء فيما بين العصور والدهور »[4].

يبرز من هذا النص قيمة التجرد من كل شيء قبل الحكم على أي شيء وتمثل القيم سندا أساسا لتطوير أي حجاج ،والسير به نحو نتائج مقبولة ،إن التذكير بها في ذاته يعتبر حجة [5]، الأمر الذي يجعلنا نفهم استراتيجية مقدمات "**بديع الزمان** " ، فهو يذكر في كل رسائله قيم مختلفة وجل تلك القيم مقتبسة من القرءان الكريم أو آيات من الذكر الحكيم والغرض من ذلك هو إظهار أن القرءان نور لا يخبو سناه و إفهام تلاميذه والمخالفين من العلمانيين الملاحدة بأنها قيم مفقودة فيهم ،وهذا بسبب عدم إعمال العقل وثلوث فهومهم والأصل أن يلتزموا

[1]- النورسي ، المثنوي العربي النوري ، ص 301.
[2]- https://omarbelkheir.wordpress.com 2016-10-10
[3]- النورسي ، المثنوي العربي النوري ،ص 50
[4] -نفس المرجع: ص 56
[5]– P. Breton (1996), l'argumentation dans la communication, paris, la découverte, p.p 51–53

بهذه القيم ، وهي قيم موجودة ليتصف بها كل الناس ؛وهناك قيم خاصة بالمفكرين ، أوردها "**سعيد النورسي**" في رسائله (ونحن نجده يكثر من فعل الأمر "**اعلم**" ومن الفعل "**انظر**") ، وأحيانا يخاطب نفسه التي تخبطت بين قيم كثيرة ،حتى اختارت الأفضل فنجده يقول في رسالة "**حبة** "مثلا : " اعلم : يا أنا لك أمور تسعة في دنياك تعاميت عن ماهيتها وعواقبها " [1] وأحيانا يخاطب بألسنة العلماء (وقد تم ذكر هؤلاء) تارة أخرى، وكثير ما نجد يخاطب بلسان الطبيعة وهذا النوع أكثر منه ،فهو يخاطب بالعالم المشهود الذي هو شجرة والإنسان ثمرة الكون وثمرة هذا العالم المشهود، فالقيم التي جاءت على ألسنة الطبيعة كثيرة وعديدة ، وردت كما يلي : « " أما جسدك ، فكالثمرة المتزهرة المتزينة صيفا ، المنكمشة المتفسحة شتاء " [2] والناظر إلى عناوين رسائله تقريبا كلها تحمل ألفاظ الطبيعة ،وهي تجتمع لتشكل نسقا واحدا فهو يأخذنا من "**لمعات**" إلى "**رشحات**" إلى "قطرة "**فحبة**" و"**ذيل الحبة**" التي يقول فيها " إن الانسان كنوع سائر الأنواع " [3] ولهذا يضرب لنا الأمثال بالحيوانات وبالطبيعة ويخاطبنا بها ،وكلها قصد الإقناع بالعالم المشهود .

لم يسلم خطاب "**بديع الزمان** " من استخدام استراتيجية تعدد الأصوات وتناسقها فهو يعرف قيمة الصوت في الإبلاغ ؛كما يعرف مسبقا أن بنية البشر ترفض النقد والإرشاد في أمور يلهو بها الشيطان والنفس لهذا في بداية رسالته قال " كن من شئت فلا نفسك أطغى وأعصى من نفسي، ولا شيطانك أغوى وأشقى من شيطاني " [4] ولا يتقبل هذا المتشبع بالعلوم العقلية الفلسفية الرأي الآخر، وبخاصة إذا جاء من شخص فريد وحيد مثل شخص "**بديع الزمان** "،وهو الأمر الذي دعاه إلى الاستعانة بمخارج أصوات مؤثرة مثلا :" في "**شمة**" يقول " كلا ليحاسبن على النقير والقطمير "[5] فصوت الراء تكراري يشد الأذهان عند سماعه. وقد استشهد بصفة مباشرة تارة، وغير مباشرة تارة أخرى–كناية عن صفة– كم استشهد بأقوال العلماء والحكماء الذين يدرك تلاميذه

---

[1] –النورسي :المثنوي العربي النوري ،ص 221.

[2]– المرجع نفسه ،ص 223.

[3]– المرجع نفسه ، ص 246.

[4] المرجع نفسه / ص 34.

[5]– النورسي : المثنوي العربي النوري مرجع سابق ،ص 358.

والعقليون قيمتهم ،وقيمة علمهم وحكمتهم، واستشهد تارة أخرى بأشهر علماء زمانه من علماء الترك والفرس والعرب، كما استشهد أيضا بما فعله وقام به أباؤه وأجداده بصفاتهم وقيمهم كما أنه أدرج أنواع من حجج تضفي على الخبر بعد الثقة[1].

فالفعل الكلامي الرئيس –الذي نعتبره في هذا الكتاب فعلا جامعا– هو إسداء النصيحة والإرشاد، لم يكتب له النجاح لو لم يبنى على أساس استراتيجية محكمة تخللها تقديم الحجج بمؤكدات كثيرة ومنها الحرف الفجائي "**إذ**" التي لا يمكن دحضها، وهي مصوغة في مجموعة من المقدمات، مكنت المتلقي من فهم الدلالات الضمنية لأقوال بديع الزمان ، دون أن يصرح بها، لأنه يدرك أن التصريح ضمن هذه المواقف نهايته الهلاك من طرف دولة الأتراك الكمالية ؛فهو لم يقل للملاحدة والفلاسفة أنكم فاسدون وخارجون عن الأطر الشرعية بل عالج القضية بمفهوم المخالفة الذي يعرف عند الأصوليين ؛أي النصح موجه لنفسي ولكنه لكم فاعتبروا، ببساطة استخدم استراتيجية ملائمة احترم فيها العقود التي تنبني عليها مثل هذه المواقف والمحادثات ،احترام "**النورسي**" لمكانه باعتباره داعية إلى الله على بصيرة وباعتبار خطابه موجه إلى كل الإنسانية هذا الإنسان الذي أكرمه الله وأعزه ،وجعل له العقل ليعرف به أنوار القرآن ؛وبما أن "**النورسي**" متحدث بأنوار القرآن وجب عليه أن يستجيب لذلك ليقبل منه فعل النصح ،كي لا ينسى أنه في مكان يلزمه التعامل بمبدأ يحترم فيه عقول الناس ؛أي أن يكون خطابه مناسبا لمقتضى الحال وسياق العصر، فحينما رأى ما انتشر من ظلمات وجد أنه الأصلح لنشر أنوار القرآن ،واحتراما منه لمتلقيه خاطب نفسه قبل أن يخاطب المتلقي، وهو في نظرنا ضرب من الأدب والصدق يمكن أن نذرك كذلك أن بدل النصح للنفس أولا وتأنيبيها هو حمل للمتلقي على قبول الحوار دون أن يشعر من ثم جرّه إلى تنازلات كان من الصعب أن يقوم بها ،وقد أخضع كلامه مبادئ تأدب أخرى عملت على تحضير المتلقي من الناحية النفسية ليتقبل ما سيجيئ به من خطاب قد يفشل في إنجازه إذا دخل مباشرة في مضمونه ،فقدّم فعل

[1] عمر بلخير، مقاصد الكلام واستراتيجيات الخطاب في كتاب كليلة ودمنة لابن المقفع، الملتقى الدولي الرابع لتحليل الخطاب، جامعة ورقلة، 19/18/17 فيفري 2007. من خلال الموقع : https://omarbelkheir.wordpress.com/

الأمر في كثير من نصوص "**المثنوي**" (اعلم ، انظر) وبدأ الرسائل بخمس نقاط موجهة إلى المتلقي لفهم نص الكتاب .

وقد فرض المقام عليه أن لا يذكر بعض الكلمات والتعابير التي تشير صراحة إلى فساد عقول الفلاسفة والملحدين، إنما اكتفى بوضع أفكاره في شكل اقتضاءات –متضمنات– نصفها بالتداولية نظرا للأثر الذي أحدثته في نفس المتلقين .وعند شروعه في فعل النصيحة والإرشاد، لم يشر مباشرة إلى صفات الملاحدة والعلمانيين وأفعالهم ،بل تحدث بصفة عامة عن الأخلاق والصفات التي يتوجب على الإنسان العاقل التحلي بها لتكون أعماله نورانية ودربه هو درب السعادة والخلاص، معتبرا حديثه هذا واجبا من واجبات العلماء اتجاه الناس ،فهذا الأسلوب يجعل المتلقي يفهم حقيقة معاني "**بديع الزمان**" ودلالاته ، رغم مخاطبته إياه بأسلوب لا يتجنب فيه – ما يقتضيه المقام– الاستخدام المتواتر للضمير "**أنت**" ،فهو في مقام ينقل تجربته لمن هم دونه.

إن معرفة "**بديع الزمان** " لآداب الحديث وأخلاق الحوار لها الأثر الإيجابي على المتلقين ،وهذا يظهر من القراءات التي أجريناها في هذه الرسائل، فهي تخاطبنا وكأنها معنا ،وهذا راجع إلى إرسال خطابه باحترام القواعد التي تحكم الإنسان في ذلك المقام ،ويمكن القول انطلاقا من نظرية أفعال الكلام :إن الفعل الكلامي الجامع الذي طغى على المثنوي العربي النوري هو: فعل النصح ،ذلك نظرا لطبيعة الموضوع ولمقاصد "**بديع الزمان** " في وضعه والنصح في هذا المقام غايته إصلاح وضع ديني سياسي واجتماعي سائد ؛غير أن هذا الفعل الكلامي الجامع تتخلله أفعال كلامية جزئية تقوم كلها بخدمته ،معنى ذلك أن اختيار الكاتب الأفعال الكلامية الجزئية، لا يكون إلا لتدعيم الفعل الكلامي الجامع وتشكيله، وكل الأفعال الكلامية الجزئية تخدم الغرض الذي من أجله صيغت في ذلك الخطاب ، وهو المقصد الكلي. [1]

[1] **عمر بلخير، مقاصد الكلام واستراتيجيات الخطاب في كتاب كليلة ودمنة لابن المقفع، الملتقى الدولي الرابع لتحليل الخطاب، جامعة ورقلة، 19/18/17 فيفري 2007. من خلال الموقع : https://omarbelkheir.wordpress.com/**

المبحث الثاني : بنية الحوار ومبدأ التعاون الحواري في المثنوي العربي.

تقوم التداولية المعاصرة على مفاهيم عديدة كثيرا ما يتداولها الدارسون المعاصرون وهي : الفعل الكلامي ، القصدية ،الاستلزام الحواري(أو المحادثي) ، متضمنات القول، ونظرية الملاءمة وغيرها ،في هذا البحث سنتناول الاستلزام الحواري والافتراض المسبق–متضمنات القول– للعلاقة الوثيقة بمقصديات التداولية ،وللتساند الوظيفي بينها وبين الاستراتيجيات الخطابية .

1–مفهوم الحوار:

أ.لغة : من **'حوَر'** ، و**'الحوَر'** : الرجوع من الشيء وإلى الشيء **'حار'** إلى الشيء وعنه **'حورا'** و**'محاورة'** و**'حؤورا'** : رجع عنه وإليه ، كما أن أصل كلمة **'الحوار'** من **'حاوره محاورة وحوارا** 'جادله ، قال تعالى : " **قال له صاحبه وهو يحاوره** " الكهف آية 37 ، والمحاورة والمجاوبة ، أو مراجعة النطق والكلام في المخاطبة ، والتحاور التجاوب ، لذلك كان لابد في **'الحوار'** من وجود متكلم ومخاطب ، ولا بد فيه كذلك من تبادل الكلام ومراجعته وغاية **الحوار** توليد الأفكار الجديدة في ذهن المتكلم .[1]

واصطلاحا : هو نوع من الحديث بين شخصين، وهو أن:" **يتناول الحديث طرفان أو أكثر عن طريق السؤال والجواب بشرط وحدة الموضوع أو الهدف، فيتبادلان النقاش حول أمر معين، وقد يصلان إلى نتيجة وقد لا يقنع أحدهما الآخر ولكن السامع يأخذ العبرة ويكون لنفسه وقفا**"[2]

يُعد **'باختين** Bakhtin ' مؤسس هذا المفهوم، بإحالته إلى مجمل العلاقات التي تربط الملفوظ بباقي الملفوظات التي أنتجت سابقا ،وتلك التي سينتجها المخاطبون بعد إصدار المتكلم لذلك الملفوظ ،فتضمن الحوارية إنشاء واستمرار العملية التواصلية، وتسمح للمخاطبين بالتأثير على بعضهم البعض ؛ولقد أثرت أعمال **'باختين Bakhtin'** في الحوارية على التّصور اللّساني للّغة، حديثا ،حيث صار التّفاعل الكلامي محور أي نظرية تتناول اللّغة كموضوع للدّراسة ،ويكمن سر نجاح هذه النّظرية في نظرتها إلى اللّغة على أساس وظائفها التّواصلية والمبَينة

---

[1] **ابن منظور ، مرجع سابق : مادة حور**
[2] **عبد الرحمان النحلاوي : أصول التربية الإسلامية وأساليبها: ، دار الفكر، دمشق، ط 2 ، 1995 ، ص 206.**

للواقع، إذ يرى **'باختين** Bakhtin ' أن التّعبير ليس فعلا فرديا ،لكنه نشاط اجتماعي حدّدته مجموعة من العلاقات الحوارية ،فالحوار إذن لا يمكن حصره فيما يجري بين شخصين في المحادثة اليومية ،إنّه يشمل أيضا كلّ إنتاج كلامي صادر عن الإنسان ،ويدخل **'المونولوج'** ضمن أنواع الحوار بكونه كلاما صادرا عن شخص متوجها نحو شخص آخر ،ولو كان غائبا ،يخضع لنفس مكونات الحوار، وهو الأمر الّذي جعل (**باختين**) يضفي عليه بعدا تفاعليا ،بنفس درجة الحوار ،فهذا البعد التّفاعلي **للمونولوج** أثبتته حوارية النّشاط الكلامي ؛فاللّغة، إذن، ليست هي الأشكال المجردة، ولا التّلفظ **المونولوجي** ،ولا الفعل النّفسي الفيزيولوجي لإنتاجه ،بل هو الظّاهرة الاجتماعية للتّفاعل الكلامي ،المتحقق بالتّلفظ والمتلفظين ،فالتّفاعل الكلامي يشكل الحقيقة الأساسية للغة ،ولا يشكل الحوار بناءً على ذلك ،العملية الكلامية الدائرة بين شخصين أو أكثر. إن الإنتاج الكلامي الإنساني كله يدخل ضمن الحوار ،نظرا لما يحيل عليه هذا الأخير من إعادة صياغة وتحوير وتكرار خطابات سابقة ،فالخطاب المكتوب، حسب **'باختين** Bakhtin ' هو : « **جزء من حديث أيديولوجي على مستوى أعلى: فهو يجيب (على سؤال) ويدحض (فكرة) ويؤكد (حقائق) ويستبق إجابات واعتراضات افتراضية ،ويبحث عن مساندة(...) فكل تلفظ مهما كانت درجة دلالته وتمامه ،لا يشكل سوى جزء من تواصل كلامي غير منقطع للحياة اليومية والأدب والمعرفة والسياسة** » [1]

للحوار فعالية خطابية، وهو الأصل في الكلام ،ويرى المنطقي السويسري الشهير "**جان يليز غريز** J.B.Grize) أن كل خطاب هو حوار ،سواء أكان هذا الحوار مباشرا أم غير مباشر ،صريحا أم مضمرا ؛ولأهمية الحوار وفوائده الكبرى في تحقيق التواصل والتفاعل وحل المشاكل وتدبير الاختلاف ،وجدنا الباحثين يهتمون به في كل المجالات الفكرية والعلمية والثقافية. [2]

---

[1] Mikhael Bakhtine (1977), Le Marxisme et la philosophie du langage, trad. Marina Yaguello, Paris, Les Editions de Minuit, p. 163 نقلا عن https://omarbelkheir.wordpress.com

[2] **انظر إلى مقال النورسي رجل الحوار والاقناع أو فصل المقال فيما بين الحوار والحجاج والاختلاف من اتصال ، أبو بكر العزاوي رفع من موقع : http://www.iikv.org/**

تنبع أهمية الحوار من كونه ضرورة ماسة يقتضيها التعدد اللغوي والتنوع الثقافي واختلاف المصالح الاقتصادية والسياسية ،والإنسان كائن حواري يحيا بالحوار وداخل الحوار ،والدليل على أهمية الحوار أن القرآن كله ذو طبيعة حوارية ،والحوار كان هو الأسلوب الذي اتبعه الأنبياء في الدعوة والتبليغ والتعليم والإرشاد

نتساءل في المستهل ،ترى هل كان **'النورسي '**رجل حوار وإقناع؟ نعم إنه كان كذلك. إنه كان يدعو إلى الحوار والتواصل والحجاج والإقناع، وكان في الوقت نفسه يحاور ويحاجج، يقنع ويقتنع، يتفاعل ويتواصل، ويتحاور مع الذات ومع الغير ،مع الطلاب والعلماء ،مع المسلمين وغير المسلمين، مع الحكام والمحكومين.[1]

حديث بديع الزمان **'سعيد النورسي'** يبدوا لمطالعه أن الحوارية ميزته الأساسية ،إذ هو عبارة عن سؤال وجواب ،وحتى ما كان منه توجيها غير مسبوق بسؤال ،فإنه يفترض فيه أن يستضمر سؤالا ،يأتي التوجيه جوابا عنه كما أكدت ذلك نظرية السؤال التي وضع أسسها (**ميشال مايبر** Michelle Meyber)، هذه الفلسفة التي تفترض أن بنية الكلام في أصل حقيقتها هي عبارة عن أجوبة ، وأن المتكلم (سائل) في كل أحواله ، ليس باعتباره يطرح أسئلة ، لكن باعتباره يسعى في كلامه إلى الجواب عن أسئلة تستثيره وتحركه ،وقد صار السؤال وافتراض السؤال هو المحرك والباعث الوحيد للإنسان في كل أنشطته ،ومن هنا كان السؤال أساس النشاط اللغوي وسبب وجوده عنده ،ومن غيره لم يكن للغة أن تتشكل ولما كان للكلام أن يوجد .[2]

يقف خطاب بديع الزمان على سياقات الورود بما تتضمنه من أطراف التخاطب وأسباب النصوص ومقامه وظروفه وحيثياته فهو يبني سياقه التداولي بما فيه من خاصية الحوارية فيفهم المتلقي أن **رسائل المثنوي** لبنات لمشاهدات عايشها**' سعيد النورسي '**، فالحوارية تجعلنا نقف مع **'النورسي'** وهو يروي تجاربه الإيمانية التي كان **'النورسي'** يعطي فيها المثال والقدوة ، **'فالنورسي'** يتمسك بالحوار ويحرص على احترام نفسه واحترام الآخرين ، وبما أن الحوار هو مناوبة على الكلام ،فهو يصور شكل التفاعل اللغوي ، تصويرا رائعا ، ونجد **'النورسي'** كذلك

[1] مرجع سابق http://www.iikv.orgkts/ يوم 2016/10/20
[2] ادريس مقبول ، مرجع سابق ، ص 538.

ينتهج أساليب حوارية مراعيا مواصفات مخاطبية وأذواقهم وقدراتهم على الفهم والتحصيل والأدراك ، فهو يخاطب الناس بما يفهمون وبما يعون بضرب أمثلة من الطبيعة أو من العالم المشاهد ،ونجد كذلك أن **'النورسي'** يتخاطب مع جميع بني البشر وليس المسلمون والمؤمنون فقط ،فهو يعمل على التواصل الخطابي كما يأتي حرصه على الحوار من حيث أنه آلية تفعيل لجوهر العقل ونظرة **'النورسي'** لهذا نابع من الإسلام الذي لم يعطل دور العقل بل يطالب المتلقين بتفعيل هذه الملكة الربانية ،وبدعوا من يحاور إلى العلم والنظر قبل الإسلام والإيمان .[1]

2/ مفهوم بنية الحوار ومبدأ التعاون الحواري :

للغة من المنظور التداولي وظيفيتن هما الوظيفة التعاملية والوظيفة التفاعلية .

أ. **فالوظيفة التعاملية** هي ما تقوم به اللغة من نقل ناجح للمعلومات تبرز من خلال قيمة الاستعمال اللغوي ، فيركز المرسل جهده نحو بناء الخطاب ليستطيع المرسل إليه أن يأخذ منه المعلومات الصحيحة والدقيقة .

ب. الوظيفة التفاعلية ، فهي التي يقيم بها الناس علاقاتهم الاجتماعية ويحققون لأنفسهم غاياتهم ، وتتمثل في قدر كبير من المعاملات اليومية التي تحدث بينهم فقد يقتصر دور اللغة في بعض السياقات على إقامة العلقات وتثبيتها ،وقد يتجاوز إلى التأثير وغيره .[2]

هذه الوظائف في كل أحوالها لا تتم إلا بواسطة الحوار الذي نعده من الوظائف اللغوية العامة .

فالاستعمال التداولي للغة هو استعمال حوراي من حيث المبدأ لأن التداولية إذا كانت هي العلم الكلي للاستعمال كما يؤكد (**شارل موريس Charles Morris 1938**)فإن استعمال اللغة عموما يطرح شيئين مهمين :الاتصال المضمر مع الآخر في مقام تواصلي محدد ، وكذلك مرجعية الاستعمال ذاته .

---

[1] انظر :ادريس مقبول ، مرجع سابق ، ص 540 بتصرف شديد .
[2] عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتجيات الخطاب ، مقاربة لغوية تداولية ، مرجع سابق ، ص 4 من المقدمة.

وإذا كان الاستعمال يطرح مبدئيا الاتصال المضمر مع الآخر ، فإن الاستعمال التداولي الحواري يطرح اتصالا ظاهريا مع الآخر في سياق ومقام تواصليين محددين .لذا فخاصية الاستعمال التداولي الحواري هي الخاصية التداولية الأولى للتفاعل التواصلي المتعلق بالمتحاورين .

مع مرجعية الاستعمال أصبح الاستعمال هو مرجع العلامات ، ومعه المستعملون هم المحددون لهذه المرجعية خلافا للتركيب (**syntaxe**) أو الدلالة (**sémantique**) الذين يقصيان الاستعمال من مرجعيتهما وبهذا تكون التداولية قد استحضرت قيمة التفاعل وكيفت معه المعتقدات لكي يصير الاستعمال التداولي استعمالا حجاجيا واستدلال من حيث اطلاعه بالدورة الحوارية كما يقتضيها التفاعل التواصلي بين أطراف الحوار .

فقيمة التفاعل التي تعتبر أساسا حواريا هي التي تتضمن الفعل ورد الفعل بين المستعملين بما يحقق القيمة الاستعمالية للعلامات بين افراد المجتمع ،والقيمة التفاعلية تعني انصهار الجميع في تحقيق مرجعية العلامات وهي مرجعية تداولية يحددها الاستعمال التواصلي بين المجتمع .[1]

فاللغة لا تؤدي وظيفة مرجعية تحيل إلى مدلول ،بل تؤدي وظيفة تداولية تتفاوت بحسب القصد أو الهدف الذي من أجله يسوق المتكلم خطابه ،فقد يقتصر هدفه أحيانا على سد الفراغ في المحادثات ،أو التعبير عن اللطف والكياسة أو إعلام الآخر بالاستعداد للدخول معه في أحاديث عفوية يتجاوز مقصده فيها سوق المعلومات .[2]

وينظر إلى الخطاب من الوجهة التداولية أنه قائم على جملة من العناصر الأساسية وهي :

أ- **المرسل** : والذي بدونه لا يكون هناك خطاب وهو في دراستنا **'بديع الزمان سعيد النورسي'** .

ب-المرسل إليه : وهو طرف الخطاب الثاني وعليه تتجه لغة **'المثنوي العربي النوري'** ، والمرسل إليه يلعب دورا مهما في توجيه **'بديع الزمان'** عند اختيار أدواته وصياغة خطابه ،ونجد المرسل إليه العامل الثاني في نجاح العملية

[1] -محمد نظيف ، الحوار وخصائص التفاعل التواصلي ، دراسة تطبيقية في اللسانيات التداولية ، افريقيا الشرق للنشر ، الدار البيضاء المغرب ، 2009 ، 39.
[2] عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتجيات الخطاب ، مقاربة لغوية تداولية ، مرجع سابق ، ص 5.

الحوارية ذلك أن المرسل يحدد طبيعة خطابه بالإحضار الذهني أو العيني للمرسل إليه ، وهذا الأخير يؤول خطاب المرسل انطلاقا من علاقته السابقة وموقفه منه ومن الموضوعات التي يتناولها وبهذا يفكك خطابه.

ج–السياق : وهو الاطار العام الذي يساهم في اختيار أدوات بعينها وآليات مناسبة عند الحوار ،هذا من أجل عملية الفهم والإفهام بين طرفي الخطاب ، ويعد الزمان والمكان من العناصر الهامة للحوار ،فمعرفة عناصر السياق في **'المثنوي العربي'** تسهم في تفكيك بنية الخطاب **'النورسي'** ،ومعرفة المقاصد وإدراك الاستدلالات . والسياق عامل في نجاح مبدأ الحوار ، فهو بعد وسيلة تعاونية في نسيج الخطاب .

د–الخطاب : وكما يسمى ثمرة اجتماع العناصر الثلاثة السالفة الذكر ،من خلال تتبع الخصائص التعبيرية لنص **'المثنوي العربي النوري '** يمكن معرفة الكيفية التي تحاور بها **'سعيد النورسي'** مع المتلقي وحتى مع ذاته فالخطاب من حيث الوظيفة التفاعلية و التعاملية يسعى إلى التعاون ،وبناء بنية حوارية تعبر عن مقاصد معينة وتشير إلى أهداف محددة ، وهذا كله يتجلى من خلال المعطيات السياقية ،والعلاقات التخاطبية والافتراضات المسبقة التي يدركها المرسل ،أو يفترض وجودها .[1]

ويتوخى المحاور خططا معينة نسميها استراتيجيات ،تبرز كفاءته الحوارية التداولية ،المحكومة بعناصر سياقية مختلفة ، فيكون نص المثنوي حينها علامة على مجموعة من انتظامات يراها **'بديع الزمان'** أنها الأمثل من بين الإمكانات التي تتيحها اللغة في جميع مستوياتها ، وذلك من خلال اقتناعات أملاها عليه المرسل إليه وهنا يقوم مبدأ التعاون الحواري .

كما أن العناصر المكونة للسياق تشتمل بالدرجة الأولى على طرف الخطاب – المرسل ، المرسل إليه أو المتكلم أو المخاطب – والمحيط الخارجي الذي يضم عنصري الزمان والمكان (متى ، أين) والشرط أو العنصر الأخير يضم كل ما يتعلق بالمعارف المشتركة بينهما لكل عنصر من هذه العناصر دور معين يؤديه من أجل إنتاج الخطاب وكذا تحقيق الهدف أو لقصد من وراء عملية التخاطب

[1] **المرجع السابق ، ص 5.**

قد أولت التداوليات الحديثة اهتماما كبيرا لعنصري (المتكلم والمخاطب) بحكم أن الخطاب موجه (من وإلى) أحد الطرفين فلا يمكن فهم الخطاب دون استحضار صاحبه وكذا الموجه إليه ،هما يعتبران ركنين أساسيين ومظهرين مهمين في الحالات التكلمية [1]

نضيف إلى ذلك عنصرا مهما للحوار ألا وهو : -**المعرفة المشتركة –فللمعرفة المشتركة** تأثير على طرفي الخطاب ومساعدة لهما على حد سواء مساعدة للأول من حيث أنها تحدد له الطريقة المثلى لبناء وإنتاج خطابه ، مساعدة للثاني بحيث تمكنه من فك شفرات الخطاب والوصول إلى هدف من وراء العملية التواصلية وكذا التوصل إلى التأويل الصحيح للخطاب ،وحتى يتمكن المرسل من إفهام المرسل إليه وإقناعه ، لا بد وأن يكون على معرفة بالمرسل إليه ، كذا بكيفية الوصول إلى هدف الخطاب ،وكذا الأمر ذاته بالنسبة للمرسل إليه .[2]

يستشف من **'المثنوي العربي النوري '** أنّنا أمام نص استلهم معانيه ومقاصده من القرآن الكريم ،وموضوع الحوار في **'المثنوي العربي '** ليس بمنأى عن هذه الخصيصة ،ذلك أنّ من درس رسائل النور بعمق وتمعن يتوصل إلى النتائج التالية:

أ-المدقق في رسائل النور يلاحظ أنّها ذات بنية حوارية واضحة ،إنّها بعبارة أخرى ،مجموعة من الحوارات المباشرة وغير المباشرة ،الحوارات الصريحة أو المضمرة ،الحوارات المنجزة الفعلية أو المفترضة المتخيلة

ب-الحوار في رسائل النور له أشكال عديدة وأنماط متنوعة ،فقد جاء تارة على شكل مناجاة أو مونولوغ Monologue (حوار مع النفس)، وجاء تارة أخرى على شكل مكاتيب ومراسلات مع الطلاب . وقد جاء أيضا على شكل مناظرة أو مناقشة أو نقد أو جوابا عن أسئلة.

ت-اشتمل **'المثنوي '** على معجم حواري ثري. فنحن نجد فيها مصطلحات كثيرة من قبيل: الحوار، المحاورة، النقاش، الجدال، ، التشاور، الرسائل، المكاتيب، الأسئلة والأجوبة، الخطاب، إلى غير ذلك.

---

[1] طه عبد الرحمان : البحث في اللساني والسيماني ، الدلاليات والتداوليات (أشكال وحدود) ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط ، جامعة محمد الخامس ، المغرب ، ط1 ، 1405هـ/1995 ، ص302 ،
[2] دليلة قسمية ، استراتيجيات الخطاب في الحديث النبوي ، مرجع سابق ، 2011 ، ص 66.

ث-المؤشرات الحوارية التي تدل دلالة أكيدة على أن **'المثنوي'** هو مجموعة من الحوارات، ميزتها الكثرة والتنوّع.[1]

من مميزات مجموعة حوارات المثنوي هي العبارات الإشارية الإحالية ،أي الضمائر وظروف الزمان والمكان ،وأيضا ألفاظ القول بمشتقاتها ،وألفاظ أخرى من قبيل: اعلموا، تعلمون، وتعابير مثل: إخوتي الأعزاء، أخي العزيز المحترم، أيها الإنسان ويا نفسي... الخ.

ويمكن أن نورد في هذه العجالة نماذج من الحوارات التي يزخر بها المثنوي العربي النوري ، منها على سبيل المثال لا الحصر.

يقو **'بديع الزمان'** " اعلم يا " أنا" المتمرد المتكبر ،انظر إلى درجة ضعفك وعجزك وفقرك ومسكنتك ،إذ يبارزك ويصارعك –فتخر صعقا – الحوين الذي لا يرى إلا بتكبره مرات ودرجات .."[2]

وكل خطاباته تقريبا حوارية **'فالمثنوي العربي النوري '** كثر فيه حديث النفس فهو يحاور ذاته ويحاور غيره فهو يقول دائما **'اعلم' و'انظر'** ومثال ذلك " اعلم أن تكرار كلمة التوحيد لتجرد القلب من أنواع العلاقات وطبقات المعبودات الباطلة ،ولأن في الذكر أنواعا من لطائف وطبقات من حواس ، لكل توحيد وتجرد من الشرك المناسب له .."[3] فهو موجه لنفسه وناصح لها كما هو متضامن مع متلقيه بهذه المسائل العقدية التي يبنى عليها الإيمان .

يقول **'النورسي'** في مقدمته في النقطة الخامسة " وافردت تلك المسائل بقول اعلم ... اعلم في اوائلها ، فلا تظنن أن المسائل التي كل منها موضوع لرسالة ومشير إلى حقائق متخالفة بعضها عن بعض كلها من فن واحد ، أو عائد إلى مقام واحد ، أو كاشف عن جواهر صدف واحد ، قائلا في نفسك : إن ذكر "اعلم" وتكراره في

---

[1] http://www.iikv.org/ **المرجع السابق .**
[2] **النورسي :المثنوي العربي النوري ، ص 178.**
[3] **المرجع نفسه ، ص 179**

رؤوس هذه المسائل مما لا فائدة له ولا طائل تحته ، لأن كلا منه عنوان وفهرس لرسالة وحقائق ، وتكراره إنما هو للإشارة إلى ما بين تلك المسائل من المغايرة ."[1]

فصيغة فعل الأمر التي تفيد **'الوجوب'** عند الأصوليين تقع من ذات هي أعلى من ذات أخرى وهذا يشير إلى حوار واقع من ذات متعلمة لذات يتضامن معها هذا المتعلم لكي تعلم-يلتمس لها العلم بفعل الأمر مجازا- ،والعلم هنا لا يكون إلا في المسائل التي تيقن صاحبها من صحتها وسلامتها فهو يعالج قضايا عقدية بأدب والعلم لا يساوي المعرفة لأن المعرفة تجمع ما دقق فيه من علم وما لم يدقق فيه من معرفة .

معلوم أن الحوار له قواعد وضوابط لغوية وتأدبية وأخلاقية. وهناك نظريات ونماذج حوارية عديدة طرحت في هذا المجال، نذكر منها نظرية التعاون الحواري (**la coopération conversationnelle**) لبول غرايس (**P. Grice**) ومفادها أن الحوار لا يتم بين شخصين إلا إذا تعاونا على إنجازه ،وقد ركزت بالخصوص على القواعد اللغوية التي تتعلق بِكَم الخبر وكيفه وجهته ومناسبته ،وهناك أيضا نظريات كل من 'روبين لايكوف (R. Lakoff) 'وليتش (Leech) و"**براون Brown** و **لفنسن Vincent** " التي أبرزت لنا كثيرا من القواعد التأدبية الأخلاقية ،ثم إن التراث العربي الإسلامي زاخر بالمباحث والمصنفات التي تعالج ضوابط الحوار وآدابه.[2]

نجد **'فالنورسي'** لم يهمل مبدأ الحوارية ،وهو الذي آمن بأهمية الحوار -حتى وسم جميع مؤلفاته بالرسائل - واتخذه أسلوبا في الحياة للتواصل مع الغير ،ومسلكا في حل المشاكل وتدبير الاختلاف يحاور ويحاور باستمرار ،ولقد حاور الكثير من الفئات والطوائف البشرية .

فنراه مخاطبا القارئ: **"لا تخف من تمرد النفس؛ لأن نفسي الأمارة المتمردة المتجبرة انقادتْ وذلّلت تحت سطوة ما في هذه الرسالة من الحقائق! بل شيطاني الرجيم أُفحم وانخنس.**

كُن مَن شئت، فلا نفسُك أطغى وأعصى من نفسي، ولا شيطانُك أغوى وأشقى من شيطاني"[3]

---

[1] **النورسي : المثنوي العربي النوري ، ص 33.**
[2] **http://www.iikv.org/ar يوم 2016/10/20**
[3] **النورسي : المثنوي العربي النوري ، مرجع سابق 14-15.**

"لا تحسبن أن ما أكتبه شيء مضغته الأفكار والعقول. كلا! بل فيض أفيض على روحٍ مجروح وقلب مقروح، بالاستمداد من القرآن الكريم، ولا تظنه أيضاً شيئاً سيالاً تذوقه القلوب وهو يزول. كلا! بل أنوارٌ من حقائق ثابتة انعكست على عقلٍ عليلٍ وقلبٍ مريضٍ ونفسٍ عمي"[1] فالنورسي هنا يظهر قواعد أدبية في حواره مع القارئ وطلبة رسائل النور إذ أنه يقول لهم اطمئنوا فما أكتبه مقتبس من نور القرءان ويهيئ القارئ للإقبال على هذا النور إذ يقول أنه ليس شيطانك أغوى من شيطاني .

فالرسائل إذن دروس قرآنية حيث إن أساتذة فضلاء وعلماء أجلاء قد أثبتوا هذا بدلائل قوية تستحق كل تقدير في بحوثهم العلمية التي قدموها في المؤتمرات العالمية والندوات العلمية العديدة[2] . وليس لي عليها من مزيد، سوى هذا الذي أقتبسه من كلام الأستاذ الدكتور عشراتي سليمان حيث قال:

"لم يترك القرآن بصمته الذهبية على روح النُّوْرْسي فحسب، بل لقد حمل تراثه برمته تلك البصمة، إذ جاءت آثار القرآن وخصائصه البنائية والمنهجية والأدائية ملموسة في النص النوري: تكرار تثبيتي، استدعاء توجيهي، استرسال تكميلي، تمثيل توضيحي، تخشيع، تذكير، تبصير، إدهاش، تحسيس بالطبيعة والكون، تركيز على التوحيد، جعْلُ الإنسان محور الوجود وغاية المخاطبات".[3]

نستخلص مما سبق أن رسائل النور تفسير حواري متميز للقرآن الكريم يلائم مفاهيم هذا العصر ،مما يجعل القارئ يستمر في قراءة الرسائل ،لما تخلقه من تحول وتغير في قرارة ذاته ؛تحوّلٌ في نفسه ،في فكره ،بل في كيانه كله، حتى ينعكس على حياته.

إن في رسائل النور سراً عجيباً كأنها تصوغ الإنسان صياغة جديدة بفضل ارتباطها العميق بالقرآن الكريم، مضمونا ومنهجا ومقاصدا..[4]

---

[1] **المرجع السابق ، ص318.**

[2] **المؤتمر العالمي الثالث والرابع لبديع الزمان سعيد النورسي بإسطنبول أيلول سنة 1995و1998، والندوة الدولية "جهود بديع الزمان سعيد النورسي في تجديد الفكر الإسلامي" 18 مارس 1999 جامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية في الرباط - المغرب.**

[3] **النورسي: سيمياء الشكل والتصميم- المقدمة، مطبعة نسل، استانبول 2000.**

[4] **http://www.iikv.org/ دور رسائل النور في استعادة صياغة القرآن للإنسان Ihsan Qasim al-Salihi**

الحقيقة أن **'المثنوي العربي النوري'** يحاور من أجل إزالة ركام الشبهات أمام الفطرة فبمدوامة قراءة **'المثنوي** 'يجد القارئ نفسه مقروئ من طرف **'المثنوي العربي'** كما نجد أن رسائل النور موجه لكل قارئ نحو النظرة الحرفية للكائنات والأحداث ،أي التصوير البياني.

يقول في ذلك بديع الزمان : **"اعلم! أنى أحمد الله على أن فتح لي أعاظم مسائل هذه الكائنات بمسألة من النحو، هي الفرق بين "المعنى الحرفي والإسمى!.." أي هذه الموجودات كلماتٌ دالات على معانٍ في غيرها، أي مكتوباتٌ ربانية تاليات للأسماء الحسنى، لا إسمية حتى تدل على معنى في نفسها لذاته"**[1]

نخلص مما سبق إلى إنّه بهذه العوامل التي ذكرناها وهي قليل من كثير ، تفعل فعلها في تطهير ذهن القارئ وتحريك قلبه وتوجيه عقله وتنبيه روحه ،وبهذا يكون الحوار ناجحا حسب مخطط **'غرايسGrace '** .

3-متضمنات القول : les implicites

يتعلق هذا المفهوم التداولي الإجرائي برصد جملة من الظواهر التي تتعلق بالجوانب الخفية الضمنية غير الصريحة من قوانين الخطاب ويمكن إدراجها ضمن الاستراتيجية التلميحية .

3-1- . الاستلزام الحواريConversational implicature:

سيحاول هذا العمل الاشتغال على ظاهرة لصيقة باللغات الطبيعية 'ordinary hanguages 'وتشكل إحدى خصائصها الأساسية ، هي ظاهرة الاستلزام الحواري ' conversational implicature' ، التي تؤسس لنوع من التواصل يمكن وسمه بالتواصل غير المعلن "الضمني " بحجة أن المتكلم يقول كلاما ويقصد غيره ،كما أن المستمع يسمع كلاما ويفهم غير ما سمع .

[1] **النورسي :المثنوي العربي النوري، مرجع سابق ، ص 352.**

ومن ثمة فإن الكثير من العبارات اللغوية ، إذا روعي ارتباط معناها بسياقات إنجازها ،لا تتحدد فقط فيما تدل عليه صيغها الصورية ،لذا يلزم إيجاد تأويل آخر ملائم يحتم الانتقال من معنى صريح إلى معنى مستلزم ،فعبارة هل تستطيع أن تناولني الكتاب ؟ مثلا في سياق معين يخرج بمعناها من السؤال إلى الالتماس ، هذا التأويل لا يتم بشكل اعتباطي بل توجهه ظروف محيطة بالخطاب من متكلمين وسياق ومقاصد وما إلى ذلك ،الأمر الذي يجعل هذا العمل في صميم تداوليات الخطاب . لأنه ببساطة يعني بعملية التخطاب (التحاور) في حد ذاتها .[1]

لقد عمد 'غرايس Grace'.. إلى إيضاح الاختلاف بين ما يقال وما يقصد ،**فما يقال** هو: ما تعنيه الكلمات والعبارات بقيمها اللفظية ،و**ما يقصد** هو: ما يريد المتكلم أن يبلغه السامع على نحو غير مباشر اعتماداً على أن السامع قادر على أن يصل إلى مراد المتكلم بما يتاح له من أعراف الاستعمال ووسائل الاستدلال. ونتيجة لهذا كان يفرق بين المعنى الصريح وبين ما تحمله الجملة من معنى متضمن فنشأت عنده فكرة الاستلزام.[2] "أي الانتقال من معنى صريح إلى معنى غير مصرح به ،معنى مستلزم حواريا "[3]

ورأى 'غرايس Grace 'أن الاستلزام نوعان:

1. استلزام عرفي.
2. استلزام حواري.

فالاستلزام العرفي: قائم على ما تعارف عليه أصحاب اللغة من استلزام بعض الألفاظ دلالات بعينها لا تنفك عنها مهما اختلف بها السياقات وتغيرت التراكيب. من ذلك(**لكن**) فهذا يستلزم أن يكون ما بعدها مخالفاً لما يتوقعه السامع. مثل: زيد غني لكنه بخيل.

[1] العياشي أدراوي ، الاستلزام الحواري في التداول اللساني : منشورات الاختلاف ، الرابط ، ط1 ، 2011 ، ص 8/7.
[2] نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، مرجع سابق ،ص 33. و ليش، جيفري وَ توماس، جيني، اللغة والمعنى والسياق: البراغماتية (المعنى في السياق)،ص 179. أنظر أيضا سعاد حميتي ، مرجع سابق ، ص 191.
[3] العياشي أدراوي : مرجع سابق ، ص 18.

أما **الاستلزام الحواري**: فهو متغير دائماً بتغير السياقات التي يرد فيها.[1]

ومن هنا نبحث في الاستلزام الحواري

3-2-.الاستلزام الحواري في المثنوي العربي النوري :

ظهر مفهوم الاستلزام الحواري مع "**غرايس Grace** "[2] الذي أشار إلى أنه يجب الأخذ بعين الاعتبار كل الأبعاد المؤسسة لعملية التخاطب ، فهو يؤكد أن التأويل الدلالي للعبارات في اللغات الطبيعية أمر متعذر إذا نظر فيه فقط إلى الشكل الظاهري لهذه العبارات وعليه يقترح ما يأتي :

أ-معنى الجملة المتلفظ بها من قبل متكلم في علاقته بمستمع

ب-المقام الذي تنجز فيه الجملة

ج-مبدأ التعاون (principe de coopération)

يبقى أن نشير إلى أن أهم مميزات الاستلزام -**من حيث كونه آلية من آليات إنتاج الخطاب** – أنه يقدم تفسيرا صريحا لقدرة المتكلم على أن يعني أكثر مما يقول بالفعل ،أي أكثر مما تؤديه العبارات المستعملة .[3]

فالاستلزام الحواري أو المحادثي كما لاحظه 'غرايسGrace ' أن جمل اللغات الطبيعية في بعض المقامات تدل على معنى غير محتواها القضوي .[4]

لوصف هذه الظاهرة يقترح **'غرايس Grace (1975) نظريته المحادَثية'** ، التي تنصُّ على أن التواصل الكلامي محكوم بمبدأ عام (مبدأ التعاون) وبمسلمات حوارية . وينهض مبدأ التعاون على أربع مسلمات **Maximes** : [5]

---

[1] نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، المرجع السابق ، 33.
[2] سعاد حميتي : مرجع سابق ، ص 191.
[3] العياشي أدراوي ، مرجع سابق ، ص 19 بتصرف .
[4] http://wwvv.almountadaalarabi.com/t5-topic من كتاب «التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة "الأفعال الكلامية" في التراث اللساني العربي» للدكتور مسعود صحراوي، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت، الطبعة الأولى 2005 .
[5] محمود أحمد نحلة : آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، المرجع السابق ، ص 33-32.

1)– **مسلمة القَدْر Quantité** وتخص قدْر (كمية) الإخبار الذي يجب أن تلتزم به المبادرة الكلامية وتتفرغ إلى مقولتين :

أ – اجعل مشاركتك تفيد القدْر المطلوب من الإخبار .

ب – لا تجعل مشاركتك تفيد أكثر مما هو مطلوب .

2)– **مسلمة الكيف Qualité** : ونصها :« لا تقل ما تعتقد أنه كاذب ،ولا تقل ما لا تستطيع البرهنة على صدقه ».

3) – **مسلمة الملاءمة Pertinence** : وهي عبارة عن قاعدة واحدة : « لتكن مشاركتك ملائمة ».

4) – **مسلمة الجهة Modalité** : التي تنص على الوضوح في الكلام وتتفرع إلى ثلاث قواعد فرعية : (أ)– ابتعد عن اللبس. (ب)– تحرَّ الإيجاز . (ت)– تحرَّ الترتيب . وتحصل ظاهرة الاستلزام الحواري، إذا تم خرق إحدى القواعد الأربع السابقة .[1]

فكان (**غرايس** Grace) مشغولاً في كيف يكون ممكناً أن يقول المتكلم شيئاً ويعني شيئاً آخر؟ ثم كيف يكون ممكناً أيضاً أن يسمع المخاطب شيئاً ويفهم شيئاً آخر؟

فمبدأ التعاون بين المتكلم والمخاطب، وهو مبدأ حواري عام. يقول:" ليكن إسهامك في الحوار بالقدر الذي يتطلبه الحوار ،وبما يتوافق مع الغرض المتعارف عليه ،أو الاتجاه الذي يجري فيه ذلك الحوار"[2] وتلخيص هذه المبادئ يكون كالآتي :

1. **مبدأ الكم**: يجب أن يكون الحوار مناسب دون زيادة أو نقصان.
2. **مبدأ الكيف**: لا ينبغي قول ما هو غير صحيح، أو ما ليس فيه دليل عليه.

---

[1] http://wwvv.almountadaalarabi.com/t5-topic من كتاب «التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة "الأفعال الكلامية" في التراث اللساني العربي» للدكتور مسعود صحراوي، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت، الطبعة الأولى 2005 ..

[2] الشهري عبد الهادي: إستراتيجيات الخطاب، المرجع السابق ، 121.

3. **مبدأ المناسبة:** مناسبة الكلام للموضوع.

4. **مبـدأ الطريقـة:** أي الوضـوح والتحديـد مـع تجنـب الغمـوض، واللـبس، والقيـام بالإيجـاز وترتيـب الكلام.[1]

وكان يرمي بأن الحوار بين البشر يجري على ضوابط وتحكمه قواعد يدركها كل من المخاطب والمتكلم.

التزم **'النورسي'** بمجموعة من القواعد الحوارية نذكر بعضها :

أ– قاعدة الشمولية، ونجدها في قوله (ينبغي معرفة مراتب الحديث... والإحاطة بدرجات الوحي الضمني وأقسام الكلام النبوي).

ب– قاعدة التأدب: فالمناقشة لا ينبغي أن تتسم بالعناد، وأن تجري في جو من الإنصاف.

ج– قاعدة الورود أو المناسبة: أن تكون المذاكرة في المسائل المتخصصة بين من هم أهل للمناقشة، أي أن نأخذ بعين الاعتبار مسألة السياق والمقام، فلكل مقام مقال كما يقال.

د– القاعدة المتعلقة بالهدف والغاية من الحوار، فالمناقشة ينبغي أن تجري بنية الوصول إلى الحق، وأن يكون هناك تعاون حواري فعلي من أجل تحقيق هذا الهدف المنشود والغاية المرجوة.[2]

وقد فصل **'النورسي'** القول بخصوص القاعدة الثالثة فقال: "اعلم وانظر إلى درجة رحمة القرآن وشفقته على جمهور العوام ومراعاته لبساطة افكارهم كيف يكرر ويكثر الآيات الواضحة المسطورة في جباه السموات والأرض فيقرؤهم الحروفات الكبيرة الظاهرة التي تقرأ بكمال السهولة بلا شبهة ، كخلق السموات والارض ، وانزال الماء من السماء ، واحياء الارض وأمثالها ، ولا يوجه الأنظار إلى الحروف الدقيقة المكتوبة في الحروف الكبيرة إلا ناذرا "[3]

[1] روبـول، آن وَموشـلار، جـاك، التداوليـة اليـوم، تـر :سـيف الـدين دغفـوس وَ محمـد الشـيباني(بيـروت، دار الطليعـة،ط1، 2003)ص55. وانظر إلى : أرمينكو، فرانسواز، المقاربة التداولية، ص54 .
[2] ar/nurmajalla/article.php?cid=1&c=10&id=362 يوم 2016/10/20
[3] النورسي : المثنوي العربي النوري ، ص 280.

فالقرآن لا يجعلك محتارا أتأخذ بظاهر المعنى أم تؤول،أي تبحث عن معنى ضمني سياقي،وهذه المسألة تندرج هي الأخرى ضمن قواعد الحوار والنقاش العلمي.

ولهذا يقول **'النورسي'**: "لا ينبغي فتح باب المناقشة في الأمور الفرعية الجزئية التي تسبب الخلاف".[1]

ومن الأمثلة في 'المثنوي العربي النوري' على مثل هذا النمط كثيرة

وللاستلزام الحواري عند "**غرايس Grace** " خواص تميزه:

1. الاستلزام ممكن إلغاؤه ،ويكون بإضافة قول يسد الطريق أمام الاستلزام أو يحول دونه ،فإذا قالت قارئة لكاتب: لم أقرأ كل كتبك ،فقد يستلزم ذلك عنده أنها قرأت بعضها ،فإذا أعقبت كلامها بقولها ،الحق أني لم أقرأ أي كتاب منها ،فقد ألغت الاستلزام.[2]
2. الاستلزام لا يقبل الانفصال عن المحتوى الدلالي، أي إن الاستلزام الحواري متصل بالمعنى الدلالي لما يقال ،لا بالصيغة اللغوية التي قيل فيها بها ،فلا ينقطع مع استبدال مفردات أو عبارات بأخرى ترادفها.

فإذا قالت أخت لأختها: لا أريدك أن تصعدي لغرفتي على هذا النحو.

فتقول الأخرى: أنا أمشي على أطراف أصابعي خشية أن أحدث ضوضاء.

فعلى الرغم من تغير الصياغة في قول الثانية، فإن ما يستلزم القول من عدم الرضا عن هذا السلوك لا يزال قائماً.[3]

3. الاستلزام متغير، والمقصود بالتغير أن التعبير الواحد يمكن أن يؤدي إلى استلزامات مختلفة في سياقات مختلفة.[4] فإذا قال شخص: كم يد لي ،فقد يكون سؤالا حين يوجه لطفل مثلاً ،وقد يكون هذا السؤال يستلزم استنكار لما يوجه له من عمل. فيختلف الاستلزام حسب السياق الوارد.

---

[1] النورسي ، الملاحق ، ص 296.
[2] نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر : مرجع سابق ، 38.
[3] نفس المرجع،38.
[4] نفس المرجع ،39.

4. الاستلزام يمكن تقديره، والمراد به أن المخاطب يقوم بخطوات محسوبة يتجه بها خطوة خطوة إلى الوصول إلى ما يستلزمه الكلام. فإذا قيل مثلاً: الملكة **فكتوريا** صنعت من حديد ،فإن القرينة تبعد السامع عن قبول المعنى اللفظي ،فيبحث عما وراء الكلام من معنى فيقول لنفسه: المتكلم يريد أن يلقي إلي خبراً بدليل أنه ذكر لي جملة خبرية ،والمفروض أن المتكلم ملتزم بمبدأ التعاون أي أنه لا يريد بي خداعاً ولا تضليلاً ،فماذا يريد أن يقول؟ لابد أنه يريد أن يخلع على الملكة بعض صفات الحديد كالصلابة ،والمتانة وقوة التحمل ،وهو يعرف أنني أستطيع أن أفهم المعنى غير الحرفي ، فلجأ لهذا التعبير.[1] وهذه العمليات الاستدلالية من أجل الوصول إلى المعنى المطلوب من الأمور التي تركز عليها التداولية.

لقد ركزنا في هذا المبحث على أهم ما قدمه اللسانيون المحدثون ،وبشكل أساس بنموذج من النماذج التداولية ،وقد ركزنا على ما جاء به (**غرايس**) الذي أردنا أن نبسط أهم الافكار التي قدمها كونه قام بالتحول من الفعل اللغوي المباشر إلى الفعل اللغوي الغير مباشر ،وما صاحب هذا التحول هو تغير في طبيعة التحاليل المقترحة لمقاربة الخطاب .[2]

توصف دلالة العبارة اللغوية بالصريحة أو الضمنية ، والصريحة هي التي تدل عليها صيغة الجملة ذاتها ،والضمنية هي التي لا تدل عليها صيغة الجملة وإنما تتولد طبقا للسياقات أو المقامات التي تنجز فيها ،وبالتالي ننتقل من معنى مباشر صريح إلى معنى غير صريح أو مستلزم حواريا .

ومدار المبحث الذي أجبنا عليه هو : ما هو الاستلزام الحواري ؟كيف استعمل **'سعيد النورسي'** هذه الظاهرة في المثنوي العربي النوري ؟ خلصنا إلى استنتاج هو أن اللزوم المنطقي "**Logical implication**" هو محور علم المعاني فكذلك الاستلزام الحواري "**CONVERSATIONAL implicature**" الذي هو من أهم المفاهيم التي تقوم عليها التداوليات ،وقد قام **'غرايس'** صاحب هذا المفهوم باشتقاق مصطلح

[1] نحلة :المرجع السابق، ص39.
[2] العياشي أدراوي ، مرجع سابق ، ص 10 ، بتصرف .

جديد من المصدر **'implicate'** ذاته ،وتخصيص عملية الاستدلال التي تجري في التداول اللغوي باسم 'implicature' تمييزا لها عن 'implication' المتعارف عليها .

من نماذج الاستلزام الحواري في المثنوي العربي النوري التي يمكن إيرادها هي :

خلال مراجعتنا لنصوص **'المثنوي العربي النوري'** وتقصي الظاهرة المدروسة رأينا أنها تتسم بتوسع وتضخم وهذا راجع لشساعة الدرس العربي الذي يتطابق مع الظاهرة ،وعليه قمنا بحصر الظاهرة في بعض مجالات اللغة وركزنا على البلاغية ،مع الاقتصار على نماذج محددة .

فحين يسأل **'بديع الزمان'** في القطرة الثانية " **فإن قلت القرآن ما هو ؟**

فيجيب : " **قيل لك هو الترجمة الأزلية لهذه الكائنات والترجمان الأبدي لألسنتها التاليات للآيات التكوينية ، ومفسر كتاب العالم** " [1].

ففي هذا الحوار المشكل من **'استفهام تصوري'** وإجابة تصديقية ،تتمثل مبادئ التعاون التي قررها **(غرايس)**، فقد أجاب المجيب إجابة واضحة(الطريقة)، وكان صادقا(الكيف)، واستخدم القدر المطلوب من الكلمات دون تزّيد(الكم)، وأجاب إجاب إجابة ليست ذات صلة وثيقة بسؤال بديع الزمان (المناسبة)، لذلك تولد عن قوله استلزام، وخرق مبادئ الحوار هو الذي يولد الاستلزام.[2]. ولكن ما الذي جعل المجيب يخرق هذا المبدأ ،ويجيب إجابة غير مناسبة! وفق مبدأ التعاون نجد الإجابة تستلزم إرادة في توضيح القرآن بمرآة الكون وعدم وضع تعريف للقرآن كما حدده العلماء ،وهذا لعدم رغبته في الوقوف على المعنى الصريح والحقيقي للقرآن . فأسلوب الاستفهام هنا مجازي كونه يخرج لأغراض غير حقيقية منها النفي .

يقترح **'غرايس'** تنميطا للعبارات اللغوية يقوم على المقابلات الآتية التي تنقسم الحمولة الدلالية للعبارة على أساسها إلى معان صريحة ومعان ضمينة :

---

[1] **النورسي :المثنوي العربي ،مرجع سابق : 69.**
[2] **المتوكل، أحمد، دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي(الدار البيضاء، دار الثقافة، ط1، 1986) 95.**

– 1.فالمعاني الصريحة :هي المدلول عليها بصيغة الجملة ذاتها وتشمل :

أ) – المحتوى القضوي ،وهو مجموع معاني مفردات الجملة مضموم بعضها إلى بعض في علاقة إسناد .

ب) – القوة الإنجازية الحرفية ، وهي القوة الدلالية المؤشر لها بأدوات تصبغ الجملة بصبغة أسلوبية ما: كالاستفهام، والأمر، والنهي ،والتأكيد، والنداء، والإثبات، والنفي ...

– 2والمعاني الضمنية : هي المعاني التي لا تدل عليها صيغة الجملة بالضرورة ،ولكن للسياق دخلا في تحديدها والتوجيه إليها ،وتشمل ما يلي :

أ) – معاني عُرْفية ،و هي الدلالات التي ترتبط بالجملة ارتباطا أصيلا وتلازم الجملة ملازمة في مقام معين ، مثال معنى الاقتضاء .

ب) – معاني حوارية ،وهي التي تتولد طبقا للمقامات التي تنجز فيها الجملة ، مثل الدلالة الاستلزامية . مثال توضيحي : يمكن التمثيل لتلك المستويات الدلالية بالجملة (د). (د) : قوله تعالى "**هل إلى مردٍّ من سبيل**" ؟ الشورى آية 40.

فالمعنى الصريح للجملة (د) مشكل من محتواها القضوي وقوتها الإنجازية .** أما المحتوى القضوي فهو ناتج من ضم معاني مكوناتها: الرجوع إلى الحياة الدنيا مرة أخرى بعد الموت . ** وأما قوتها الإنجازية الحرفية والمؤشر لها بالأداة "هل " فهي الاستفهام، وينتج معناها الصريح من ضم محتواها القضوي إلى قوتها الإنجازية الحرفية. والمعنى الضمني للجملة (د) يتألف من معنيين جزئيين هما كالآتي :

-معنى عرفي هو الاقتضاء ،أي اقتضاء حالهم الرجوع إلى الحياة الدنيا .

-معنى حواري استلزامي، وهو تمنِّي المتكلمين من المخاطب (الله تعالى) أن يردهم إلى الدنيا[1]

من الأمثلة أيضا في الاستلزم الحواري في المثنوي العربي النوري :

---

[1] http://wwvv.almountadaalarabi.com/t5-topic من كتاب «التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة "الأفعال الكلامية" في التراث اللساني العربي» للدكتور مسعود صحراوي، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت، الطبعة الأولى 2005 .

الحوار الآتي:

–"اعلم أنه إن قيل أن الجود المطلق والرزق بلا حساب يلائمان العبثية وينافيان الحكمة من جهة ؟ يقل له نعم ، إن انحصرت الغاية في الواحدة مع أن لكل شيء لا سيما حي ، غايات متعددة وثمرات متنوعة ووظائف مختلفة ، ألا ترى أن للسانك وظائف شعر رأسك ..؟[1]

إذا تأملنا الحمولة الدلالية لإجابة وجدنا أنها تدل على معنيين اثنين في نفس الوقت ، أحدهما حرفي والآخر مستلزم . معناها الحرفي أن الجود المطلق والرزق يلائمان العبثية وينافيان الحكمة ، ومعناها الاستلزامي أن الجود المطلق والرزق بلا حساب لا يلائمان العبثية وهم من الحكمة . يقول **'بديع الزمان'** : **" يا يوسف الكشري إذا تلبست بلباس فاخر غال لأخيك يوسف الكيشي فقال لك سعيد ما احسنك فقل : الحسن اللباس ، لا لي ، فتصير متواضعا في التحديث"**[2] **فالمعنى الحرفي ما أحسن أخلاقك والمعنى المستلزم ما أحسن ثيابك "**

فالجملة « إن يوسف الكشري تلبس بلباس فاخر تستلزم حواريا معنى العبارة « أن يوسف الكشري محدث بالنعمة ولكي يتواضع يقول ليس حسني في نفسي بل في ثيابي إن سألوه »، لأنها خرق للقاعدة الثالثة، قاعدة الملاءمة (أو المطابقة) ذلك أنها جواب غير ملائم للتعجب المطروح : «**ما أحسنك**». وفي الخطاب إخلال بقاعدة الجهة أو الخلفية **'فالنورسي'** لم يكن واضحا في خطابه ، إذ لم يصرح بكل ما أراد قوله ، والإخلال بقاعدة الجهة يحصل عادة عندما تحتمل العبارة معنيين أو أكثر .[3] ومن مجالات الاستلزام الحواري خروج بعض الاغراض أو الأساليب إلى معاني أخرى كخروج الاستفهام إلى أغراض غير الاستفهام الحقيقي كالسخرية أو الالتماس أو النفي وغيرها .

---

[1] النورسي : المثنوي العربي النوري ، ص 357.
[2] نفس المرجع : ص 375.
[3] -العياشي أدراوي : مرجع سابق ، ص 115.

المبحث الثالث : الافتراض التداولي المسبق

تقوم فرضية هذا البحث على أن المتكلم عندما ينشئ الخطاب ، يكون للمستمع معرفة سالفة ببعض المعلومات الخاصة بذلك الخطاب ،أي أن هذه النظرية تخص المتكلم قبل المخاطب ، ولذلك جاء تعريف الخطاب المسبق بأنه " **ذلك الشيء الذي يفترضه المتكلم قبل التفوه به** "[1] إلا أن الظاهر هو أن للمتلقي أهمية في بناء الخطاب ،وفي الافتراض المسبق يكون بين المرسل والمتلقي وبناء عليه يمكن القول أن الافتراض المسبق يقوم على المتلقي أيضا وهذا نجده عند (**برلمان**) الذي يعطي المتلقي الدور الأهم كونه مستقبل الخطاب ومنتجه في نفس الوقت [2] فالمعرفة المشتركة بين طرفي الخطاب أساس الافتراض المسبق.

يقرر "**فينيمان** Veneman " بأن لأي خطاب" رصيداً من الافتراضات المسبقة(يضم معلومات) مستمدة من المعرفة العامة، وسياق الحال، والجزء المكتمل من الخطاب ذاته" فلدى كل طرف من أطراف الخطاب ،رصيد من الافتراضات المسبقة، هذه الافتراضات في تزايد مع تقدم عملية الخطاب.[3] وضمن رصيد الافتراضات المسبقة المصاحبة لأي خطاب، توجد مجموعة من المسلمات الخطابية.[4]

والمعلومة المسلمة هي تلك المعلومة التي يعتبرها المتكلم قابلة لأن نحصل عليها ،إما بالإحالة إلى ما سبق من النص أو بالعودة إلى المقام.[5]

عليه يمكن أن نضرب الشبه بين الافتراض المسبق والعقد المبرم ،ويتضح الافتراض المسبق في 'المثنوي العربي النوري ' من حيث إن هؤلاء طلبة النور وأنهم في زمن قل فيه من يتحدث عن العقيدة ونور القرءان ،والافتراض

---

[1] النورسي : المثنوي العربي النورسي ، المرجع السابق ، ص 32.
[2] التلقي والتأويل محمد مفتاح : المركز الثقافي العربي ، بيروت لبنان ، ط1/36،20001.
[3] ج.ب. براون وَ ج. يول، تحليل الخطاب، ترجمة: محمد الزليطني ومنير التريكي (الرياض، جامعة الملك سعود، 1997)96.
[4] نفس المرجع ،97.
[5] نفس المرجع ،214.

المسبق أنهم مسلمون وغير ذلك وهذا في قوله : " **اعلم أيها الانسان أمامك مسائل عظيمة هائلة ، تجبر كل ذي شعور على الاهتمام بها ... منها (الموت) الذي هو فراقك عن كل محبوباتك من الدنيا وما فيها .**

ومنها السفر إلى أبد الآبدين في أهوال دهاشة .

ومنها عجزك الغير المعدود في "فقرك" الغير المحدود في سفرك الغير المحصور في عمر معدود ومحدود وهكذا " [1] ولكل نص في المثنوي افتراض جزئي يشكل تناسق يكون افتراضات كلية بما يعرف في العلوم الاجتماعية النظريات الوظيفية .

ويقول **'النورسي'** " إنه أرى مسائل تلك الرسائل وسائل وسلالم ..للصعود إلى الزنابل النورانية المتدلية من عرش الرحمان التي هي الآيات الفرقانية .فما من مسألة إلا ويماس راسها قدم آية من الفرقان " بمعنى أن رسائل النور هي تفسير شهودي للذكر الحكيم وهذا افتراض مسبق للمتلقي .[2]

فبديع الزمان عرف مكانتهم وزمانهم وبإمكانه اخراجهم من لوثة الفساد الذي أصابهم بتوجيهاته .

وإن كثيرا من الافتراضات المسبقة جاءت في المثنوي على شكل أفكار يفترضها هو وتسبق النطق بالكلام ومن أمثلة ذلك العناوين التي يختارها لرسائله وهي عبارة عن أفكار عامة وافتراضات مسبقة يتناولها في رسائله فمثلا ذيل الحبة يقول في بداية الرسالة : " يا ناظرا أظنني أحفر بآثاري المشوشة عن أمر عظيم بنوع اضطراري مني

فيا ليت شعري هل كشفت ..أو سينكشف ..أو أنا وسيلة لتسهيل الطريق لكشافة الآتي .

لا حول ولا قوة إلا بالله ..

حسبنا الله ونعم الوكيل

---

[1] النورسي : المثنوي العربي النوري ، المرجع السابق ، ص 352.
[2] نفس المرجع ، ص 206.

اللهم لا تخرجنا من الدنيا إلا مع الشهادة والإيمان .[1]

فهو يضع افتراضات مسبقة لمعالجة هذا الموضوع .

هناك صيغ تتركب من سؤال وجواب في المثنوي ،فالاستفهام "بكيف" التي تدل على الحال " ومن " التي يسأل بها عن ذات العاقل ،تعرف مقاصدها المجازية من السياق ،وهي في كثير من الأحيان تخرج من معناها الأصلي إلى معنى مجازي لتؤدي مهام أخرى منها التهويل الذي يبعث على التخويف والتهديد والتضخيم [2] وهذا يتضح في النص الآتي : " ...فإن شئت فتأمل في كيفية احياء الأرض في الحشر الربيعي كي ترى قريبا من ثلاثمئة حشر ونشر بكمال الإنتظام .....فمن يفعل هذا كيف يؤوده شيء ؟ وكيف لا يخلق السموات والأرض في ستة أيام ؟ وكيف لا يكون حشر الإنسان كلمح البصر إليه ؟ [3] فالغرض من الاستفهامات التصورية المجازية المختلفة هو التعجيز والتعظيم .

المعنى التداولي يظهر في قوله " فإن شئت فتأمل في كيفية إحياء الأرض في الحشر الربيعي .." ويجيب أيضا في قوله :" ولا سيما إذا أظهر ذلك الرب السرمدي السلطان الأزلي الأبدي ، في تلك المنازل الزائلة الميادين الآفلة والمشاهر الراحلة ، آثار حكمة باهرة ماهرة " [4] ويناقش بالفعل المضارع في جوابه " نعم من يكتب ثلاثمئة ألف كتاب قد انمحت حروفها في صحيفة واحدة معا .. "[5] مع إضمار الفاعل له أهمية في التهويل وتبرز الدلالة الجمالية للنص من خلال توظيف أداة الاستفهام " **كيف** " التي أراد بها سائلها معرفة حالة مجهولة بواسطتها حتى يأتي الجواب المعبر عن صدق الإحساس .

[1] النورسي :المثنوي العربي النوري ، المرجع السابق ،ص 239.
[2] صابر الحباشة :مغامرة المعنى من النحو الى التداولية ، ، صفحات للطباعة والنشر ، ط1 ، 85/2011و نظر الخطاب التداولي ، دراسة في البعد التداولي ، مؤيد آل صونيت ، مكتبة الحضارة بيروت ، بيروت ط1 ، 31/2010.
[3] النورسي :المثنوي العربي النوري ، المرجع السابق ،ص 98-99
[4] نفس المرجع : ص 99.
[5] ـنفس المرجع :ص 99.

1/أنواع الافتراض المسبق :

*الافتراض المؤكد

*الافتراض غير المؤكد .

يقصد بالافتراض المؤكد أن جميع الصيغ اللغوية التي تم التطرق إليها والتي لم تتح الإشارة إليها من الأساليب الإنشائية التي تقوم على مجموعة من المبادئ منها :

*أن الافتراض المسبق يكون وليد السليق اللغوي الرابط بين المتكلم والمخاطب .[1]

وهناك تمييز أخر بين نوعين من الافتراضات المسبقة:

1. المنطقي أو الدلالي.
2. التداولي.

فبالنسبة للافتراض المنطقي فإنه يستلزم أن تكون الجملتين صحيحتين(الجملة المحكية والجملة المفترضة) مثل: يعرف محمد أن الأرض كوكب شمسي. فالافتراض المسبق: أن الأرض كوكب شمسي .فإذا كانت الجملة الأولى صحيحة، فإن الجملة المفترضة صحيحة.

أما الافتراض التداولي المسبق فلا دخل له بالصحة أو عدمها.[2] فالافتراض المسبق يبقى غير متأثر بالنفي، فإذا قال شخص: سيارتي جديدة ثم قال سيارتي ليست جديدة.

فعلى الرغم من تناقض القولين إلا أن الافتراض المسبق وهو أن له سيارة لا يزال قائماً في الحالين ،و من هنا فإن كافة الافتراضات المسبقة هي دائماً صحيحة.[3]

---

[1] جورج يول : التداولية : تر عتي القصابي ، دار الامان ، الرابط ، ط1 ، 2010. ص 55.د
[2] ليش، جيفري وَ توماس، جيني: اللغة والمعنى والسياق: البراغماتية (المعنى في السياق)(الموسوعة اللغوية، تحرير:ن. ي. كولنج، ترجمة: محي الدين حميدي وعبد الله الحميدان(الرياض، جامعة الملك سعود، 2000) 189.
[3] نفسه،190.

فالافتراض المسبق في المثنوي العربي هو توجيه بديع الزمان النورسي حديثه إلى طلاب الحقيقة وإلى جميع الانسانية ،على أساس مما يفترض سلفاً أنه معلوم له من صدق هذه العقيدة وهذا الإسلام ومن صحة تجاربه التي يبني عليها رسائله ومن صحة فهمه لأنوار القرآن ،فنجده يقول :"وانظر إلى درجة رحمة القرآن وشفقته على جمهور العوام ومراعاته لبساطة افكارهم كيف يكرر ويكثر الآيات الواضحة المسطورة في جباه السموات والارض فيقرؤهم الحروفات الكبيرة الظاهرة بكمال السهولة بلا شبهة كخلق السموات والأرض ،وانزال الماء من السماء ، واحياء الارض وأمثالها .." [1] اعلم 'و'انظر' وكثيرا ما تكون خطاباته بـ: 'اعلم' و'انظر' . فالمفترض سلفاً أن المتلقي عالم بالقرآن ،مسلم غير منكر له ،وأن هناك مبرراً يدعو إلى النظر في القرآن والعلم به ،وأن المخاطب قادر على التدبر والتعلم والتفكير ،وكل هذا موصول بسياق الحال ،وعلاقة المتكلم بالمخاطب.[2] وهو يلتمس لهم العلم والنظر

وتشير أداة التعريف إلى ما يسمى بالمعلومات السابقة-التحديد والتعيين- بينما تؤدي أداة التنكير وظيفة الإشارة إلى معلومات لاحقة ،أي إلى وحدات لغوية ، لم يوضحها المتكلم بعد يقول **بديع الزمان**:

" اعلم أن هذه ثلاثون سنة لي مجادلة مع طاغوتين وهما : " أنا " في الإنسان و" الطبيعة " في العالم .[3]..(إشارة إلى معلومة لاحقة يتوقع السامع أن يخبر بها) وقد أخبر عن هذين الطاغوتين الذين هم الإنسان والطبيعة بمعلومة سابقة.

. في التعريف مثل " قوله بديع الزمان : " إن الإنسان ثمرة شجرة الخلقة والثمرة تكون أكمل الأجزاء وابعدها من الجرثوم ، واجمعها لخصائص الكل .."[4].(إشارة إلى معلومة سابقة)

[1] النورسي : المثنوي العربي النوري ، مرجع سابق ص 280.
[2] نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر مرجع سابق ، ص26.
[3] الرسي : المثنوي العربي النوري ، مرجع سابق ، 221.
[4] نفس المرجع ، ص 219.

لذلك فإن المتلقي يبني فهمه لمعنى السياق على ترتيب معين.[1]

فالتعريف يعتمد على ما يفترضه المتكلم من علم السامع بالأمر. والتنكير على العكس من ذلك فهي أمور لا يعرف السامع عنها شيئاً ،أو لا يعرف أي أمر منها يراد بين أمور عديدة... وقد لا تكون معروفة عند المتكلم أيضاً.[2]

وقد التفت النحاة إلى دور المخاطب في الاتصال الكلامي ،وجعلوا تعريف الشيء أو تنكيره محكوماً بالعلاقة المفترضة بين المتكلم والمخاطب ،فإذا قدر علمه بالشيء استخدمه معرفة ،وإذا قدر جهله به استخدمه نكرة .[3] فالمنكر لا يحيل إلا على معلومات معجمية أو لغوية مخزونة في ذهن السامع، أما المعرف فإنه يحيل أحياناً على المعلومات المعجمية واللغوية وأحياناً الاصطلاحية ،وأحياناً على معلومات تخص أفراد معينين للسامع سابق معرفة بهم.[4]

خلاصة هذا الفصل هو: إن التداولية قد ساعدت على تفسير المحادثات الحاصلة فعلاً وهذا عن طريق المبادئ التداولية مثل مبدأ التعاون ومبدأ التأدب ،لهذا تم تعريف التداولية على أنها فهم اللغة الطبيعية ،فالتداولية قادرة على فهم الخطابات النثرية وتحديد مقاصدها كما هو الحال مع خطاب **'بديع الزمان سعيد النورسي'** ففي هذا الفصل حاولنا فهم خطاب النورسي والكيفية التي انتج بها نصّه في إطار موقف كلامي ملموس ومحدد. محاولين الوصول إلى القصد التواصلي أو معنى المتكلم ؛وفي النهاية لنا أن نسأل عن مقدار ما تميز به 'المثنوي العربي النوري' في محاوراته ومخاطباته ،لنا أن نسأل ، مقدار ما تميز به **'سعيد النورسي'** من رسوخ في العلم ورجاحة عقل ومنطق سديد في إعمال الحجج وتجسيد مبادئ الحوارية.

من خلال رصدنا للافتراض المسبق توصلنا إلى أنه لا يوجد تواصل بدون قصد وراء فعل التواصل، فالعلامة لا تتكون من الدال والمدلول فحسب بل لها متضمنات قول تحكمها وسياق يوجهها؛ كما توصلنا إلى أن هناك افتراضات جزئية تتساند فيما بينها لتشكل افتراض كلي على حد تفسير الاتجاه الوظيفي.

---

[1] قولفجانج هيانه مان ، و ديتر فيهجر ، مدخل إلى علم لغة النص، تر: سعيد بحيرى ، مكتبة زهرة الشرق والتوز4ع ط1 ، 2003 ، القاهرة ، مصر ،24 . بتصرف
[2] نحلة محمود أحمد :التعريف والتنكير بين الدلالة والشكل(القاهرة، مكتبة زهراء الشرق،1999، ص 81.
[3] المرجع السابق ،ص220.
[4] غربية، عبد الجبار، التعريف والتنكير في اللغة العربية(حوليات الجامعة التونسية، العدد24، 1985،ص155.

الفصل الثالث

مدارج الكلام في المثنوي العربي النوري

المبحث الأول : جدلية الخفاء والتجلي في الخطاب النورسي.

المبحث الثاني: التكثيف الرمزي والاستعاري في الخطاب النورسي.

المبحث الثالث: تفكيك البنية الاستعارية في الخطاب النورسي .

المبحث الأول: جدلية الخفاء والتجلي في الخطاب النورسي.

الخفاء والتجلي يستخدمان كوجهين متعارضان، وهما يقابلان ثنائية الضمنية / المباشرة[1]، كما أنهما يدلان على البنية السطحية والبنية العميقة، ونحن نعالج هذين المصطلحين بوصفهما مرتبطين بخطاب "**المثنوي العربي النوري** – بين الدلالة المباشرة والدلالة الباطنية – وهما يشكلان عنصران مهمان في بناء رسائل النور .

البنية في الدرس اللغوي لها نوعان : البنية السطحية ، والبنية العميقة .تعد البنية السطحية (surface structure) هيكل الشيء ووحدته المادية الظاهرة.

أمَّا البنية العميقة (deep structure) : فهي كامنة في صميم الشيء، وهي التي تمنح الظاهرة هويتها وتضفي عليها خصوصيتها؛ وعادة ما يعي المرء إدراك البنية السطحية المادية المباشرة، فإدراكها أمر متيسر، أما إدراك البنية الكامنة فهو أمر أكثر صعوبة، يتطلب استخدام الحواس وإعمال العقل والخيال والحدس؛ لذا عادة ما يعيش البشر داخل بُنى اجتماعية وتاريخية واقتصادية يستنبطونها فتؤثر في سلوكهم وتشكيل رؤيتهم للكون وتحدد خطابهم الحضاري دون وعي منهم .

يمكننا التعبير عن البنية السطحية والعميقة بقولنا: (الظاهر والباطن) ، كما يرى كثير من النحاة، كما يمكننا أن نقول: إننا نبحث في دلالة البنية العميقة، هذا لأننا نعلم أن للبلاغة قواعد ذهنية هي الأخرى تتحول إلى السطح بواسطة التحويل فتصبح بنية سطحية مفعمة بالمجاز أو بمعنى المعنى الذي هو الكناية وهذا يخرج إلى الواقع وفق مقام الحال ووفق التلازم الخطابي ونسوق قول ابن جني "**وهذا الظاهر مماس لذلك الباطن كل جزء منه منطو عليه ومحيط به**"[2]

---

[1] **سعيد علوش ، معجم المصطلحات الادبية المعاصرة ، منشورات دار الكتاب البناني ، الدار البيضاء ، ط1 ، 1985 ، 86.**

[2] **ابن جني : الخصائص ، تح : محمد علي النجار ، ط عالم الكتب ، بيروت (476/2)**

" لأن حسن الظاهر يدل على حسن الباطن"[1]

نجد أكثر اللغويين العرب أولوا البنية العميقة اهتامهم، و **'ابن جني'** يتطابق في الجوهر والمضمون مع " **تشومسكي**" فهو يقول بالظاهر و الباطن، والظاهر والأصل وغير ذلك .

يقول **'ابن جني'** :" **ما يقوم الدليل عليه مما لم يظهر إلى النطق به بمنزلة الملفوظ به**"[2] ويقول في المنصف:"**لا ينكر أن يكون في كلامهم – العرب – أصول غير ملفوظ بها, إلا أنها مع ذلك مقدرة وهذا واسع في كلامهم**"[3]، هذا ما يمكننا اعتباره بنية عميقة .

يمكن تشبيه العلاقة بين التركيب الباطني (البنية العميقة) والتركيب الظاهري (البنية السطحية) بالعلاقة " بين مدخول التفاعل الكيماوي ومنتوجه، فالتركيب الباطني في اللغة يشبه مدخول التفاعل الكيماوي ؛ أي : أنه يشبه المواد الداخلة في التفاعل الكيماوي، والتركيب الظاهري في اللغة يشبه منتوج التفاعل الكيماوي ؛ أي : أنه يشبه المواد الناتجة من التفاعل الكيماوي ".[4]

يرى "**محمد مفتاح** " أن الاتجاهات السيميائية قد حافظت على أطروحة تقسيم معنى النص إلى ظاهر وباطن، لهذا نجد في القسمة الثنائية، المعنى الظاهر و المعنى الباطن، أو تحت أسماء و شعارات أخرى: المعنى الظاهر/ المعنى العميق، التشاكل المعطي/ التشاكل المبني، و هو ما يفرض استخلاص المعنى من تحليل النص، و ليس هناك معنى موجود مسبقا، فالتحليل هو الذي يفرض مرجعا و موضوعا معينا معبرا عنه بتشكلاته اللغوية. [5]

يعتبر الجمع بين الأضداد أهم ميزة يتميز بها خطاب **'النورسي'**، وهذه سمة أساسية في لغة الصوفية تتمظهر أساسا في الجمع بين الظاهر والباطن؛ حيث تعتبر هذه الثنائية أساس البناء اللغوي في

[1]الفيومي : المصباح المنير ؛ ، ط المكتبة العلمية ، بيروت ، (649/2) .
[2] ابن جني ،الخصائص ، مرجع سابق (2/ 343).
[3] ابن جني، المنصف، تحقيق: إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين، القاهرة، ط الحلبي، 1379ه- (1/ 348).
[4] دراسات لغوية ، لمحمد علي الخولي، ط : دار العلوم ، الرياض ، 1982م ، (ص52) ،
[5]- محمد مفتاح، مجهول البيان، ط1 ،دار توبقال للنشر، المغرب، 1990 ،ص: 100 .

خطاب **'بديع الزمان'** كما تعتبر هذه الثنائية آلية تعزى إليها إمكانية الجمع بين جميع الأضداد وتسمح بفتح آفاق واسعة للتأويل، وقد أداه منهجه إلى استعمال لغة مزدوجة لغة الظاهر ولغة الباطن وهذه الثنائية كانت سببا في غموض أسلوبه .[1] نحن نبحث في مقصدية الظاهر والباطن ودلالة البنية السطحية والتراكيب البلاغية العقلية .

يستند كل من بديع الزمان وأصحاب الخطاب الصوفي إلى أن هذه الازدواجية بين الباطن والظاهر لها أساس في القرآن الكريم، وذلك أن الله عز وجل لما سمى نفسه بالظاهر اقتضى ذلك أن يكون الأمر الوجودي بالنسبة إلينا بين جلي وخفي، فما جلاه لنا فهو الجلي وما ستره عنّا فهو الخفي [2] ولفظ الظاهر والباطن لفظان قرآنيان والدليل قوله تعالى " **وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ** الأنعام(120) **وقوله تعالى " ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن " الانعام** 158.

يرى (**عبد الغني النابلسي**) أن الأكوان جميعا في القلوب وليست القلوب في الأكوان والبواطن أوعية الظواهر، وليست الظواهر أوعية البواطن، فمن نظر إلى الظاهر نظر إلى المظروفات، ومن نظر إلى الباطن نظر إلى الظروف .[3]

الملاحظ أن الظاهر والباطن يردان في سياق المثنوي العربي مترابطان لا يكاد يذكر أحداهما إلا ذكر الآخر، والمعنى المستفاد هو أن الأشياء والأعمال جميعها لها ظاهر وباطن وحتى اللغة لها ظاهر وباطن وهذا

[1] -حسن صوالحية ، ينية الخطاب الصوفي من خلال الفتوحات المكية لمحي الدين ابن عربي ، رسالة ماجستير ، جامعة الحاج لخضر باتنة ، الجزائر ، 2011 ، ص 94/93.
[2] - أحمد عبد المهين ، نظرية المعرفة بين ابن عربي وابن رشد ن دار الوفاء للطباعة والنشر ، 2001 . ص 342. نقلا عن الفتوحات المكية ، لابن عربي ، ص 312. .
[3] عبد الغني النابلسي ، أسرار الشريعة ، تح محمد عبد القادر عطا ، دار الباز للنشر ، مكة المكرمة ، ط1 ، 1985ص 148.

يأخذنا أن خطابات الصوفية وقولهم بالباطن والظاهر هو امتداد إلى الوحي المنزل .[1]

يظهر من نصوص الظاهر والباطن أهمية هذه الثنائية في فكر النورسي فهي أساس الكتابة والفهم والتأويل، وعندما تخضع في اللغة لهذا المعيار تصبح العلاقة بين العبارة والإشارة هي العلاقة بين الظاهر والباطن .[2]

يقول أبو العلا عفيفي في ذلك : " **وأدركت أن للرجل لغتين مختلفتين يخاطب بهما القارئ طوال الوقت ويمزج إحداهما بالأخرى على حد يخفي معه المعنى المقصود أحيانا، وهاتان اللغتان هما لغة الظاهر والباطن ، أو لسان الشريعة ولسان الحقيقة ... أما لغة الظاهر فهي لغة عامة الخلق وهي لغة الفقهاء والمتكلمين، أما لغة الباطن فهي لغة الرمز والإشارة التي يعبّر بها النورسي في خطابه عن المعاني والدقائق المستترة** "[3]

فالظاهر والباطن ثنائية لغوية تعبّر في خطاب النورسي على منهج شرعي يقوم على أساس الجمع بين هذه الثنائية الضدية .

الأهمية التي تستبغ بها ثنائية الظاهر والباطن في خطاب **'النورسي'** تتمفصل بشكل لافت في بناء هذا الخطاب، سواء كان هذا التمفصل بشكل مباشر أو بشكل غير مباشر، في اعتبار الخطاب بحد ذاته يجمع بين الضدية؛ فالوجه الأول منه تمثله العبارة والوجه الثاني تمثله الإشارة .

أ/ دلالة العبارة و الإشارة :

يعد خطاب سعيد النورسي خطاب رمزي بامتياز لكونه يستعمل الإشارة دون العبارة الصريحة في خطابه وفي ذلك يقول أبو حامد الغزالي :"**وأما لأي شيء ذكرت هذه العلوم بالإشارات دون العبارات وبالرموز دون التصريحات وبالمتشابه من الألفاظ دون المحكمات** ..." من هنا يظهر لنا خطاب

[1]- حسن صوالحية ، ينية الخطاب الصوفي ، ، مرجع سابق ، ص 95.
[2]- ناصر حامد أبو زيد ، فلسفة التأويل ،دراسة في تأويل القرآن عند ابن عربي ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء المغرب ، ط5 ، 2003 ص 268.
[3] -حسن صوالحية ، ينية الخطاب الصوفي من خلال الفتوحات المكية لمحي الدين ابن عربي ، مرجع سابق ، ص 95.

المثنوي العربي بأنه خطاب متعال تزداد قيمته الإبداعية كلما تمكن الباث من إرسال سلسلة من الوحدات الخطابية ذات مدلول متجاوز للواقع الخالص، متعال عن الحقيقة كما هي في وجودها الطبيعي .[1]

وهذا التعالي وهذا التلويح يراه **'بديع الزمان'** السبيل الوحيد للتعبير عن مواجيده وأحواله .

يميز خطاب المثنوي بين الإشارة والعبارة، حيث الإشارة مجرد إيماء بالمعنى دون تعيين وتحديد ومن شأن هذا الإيماء أن يجعل المعنى أفقا منفتحا دائما، أما العبارة فهي تحديد للمعنى يجعله منغلقا نهائيا، الأمر الذي يتعارض مع حقيقة الكلام الإلهي ودلالته الباطنية، الذي تتعدد مستويات الدلالة فيه تعددا لا نهائيا ، هذا التمييز الذي يؤكده المتصوفة بين المعنى الظاهر للخطاب الإلهي ودلالته الباطنية، إذ الظاهر هو ما يدل عليه الخطاب بدلالة اللغة الوضعية في بعدها الإنساني، في حين أن الباطن هو المستوى الأعمق –مستوى اللغة الإلهية المشار إليه بطريقة لا تنكشف إلا لصحاب تجربة– [2]

'فالنورسي' يرى أن علمه علم الإشارة فإذا صار علم عبارة خفي لأن مشاهدات ومكاشفات الأسرار لا يمكن العبارة عنها على التحقيق، بل تعلم بالمنازلات والمواجيد، ولا يعرفها إلا من نازل تلك المنازل وحل تلك المقامات .

من هنا نجد أن خطابات الصوفية تنتقد الفقهاء وتنعتهم بعلماء الرسوم وأهل الظاهر، يقول أبو حيان التوحيدي " **والعجب أنك أيها الفقيه والأديب النحوي تتلكم في إعرابه وغريبه وتأويله وتنزيله ...ثم لا تجد في شيء مما ذكرتك به ووصفتك ذرة تدل على صفائك في حالك وإدراكك مالك ، بل لا تعرف حلاوة حرف منها ...فعلمك كله لفظ وروايتك كلها حفظ وعلمك كله رفض** "[3]

[1]- الطاهر بومزبر ، التواصل اللساني والشعرية مقاربة تحليلة لنظرية رومان جاكبسون ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، ط1 ، 2007 ، ص 35.
[2]- نصر حامد ابو زيد ، هكذا تكلم ابن عربي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، دط ، القاهرة ، 2002، ص 90..
[3] -أبو حيان التوحيدي ، الإشارات الإلهية ، ص 40.

ومما يدل على أن **'سعيد النورسي'** في المثنوي يميل إلى التلويح دون التصريح عبارات لا حصر لها نذكر منها :

في رسالة **'لمعات من شمس التوحيد'** ، يقول في **'اللمعة الثانية'** " **فكأن الحي قطرة محلوبة من مجموع الكون بنظامات حكيمة معينة** "[1] يبرز في هذا المقطع نظام الإبداع عند الله عز وجل قصد إثبات وحدانية الله . بصورة مركبة بين التشبيه والاستعارة المكنية، فنجد العبارة هي الظاهر والإشارة هي الباطن.

يقول بديع الزمان :" **يسمعك لمعات** "[2]شبه **'النورسي'** اللمعات بالإنسان وحذف المشبه به الإنسان وترك قرينة دالة عليه وهي السمع على سبيل الاستعارة المكنية .

يقول أبو حيان التوحيدي فيما يدل على البنية العميقة في اللسانيات الحديثة عند تشومسكي Chomsky " **خذ من التصريح ما يكون بيانا لك في التعريض وحصل ما يكون زيادة في التصريح واستقين أنه لا حرف ولا كلمة، ولا اسم ولا رسم، ولا ألف ولا ياء إلا وفي مضمونه آية تدل على سر مطوي وعلانية منشورة ، وقدرة بادية وحكمة مخبورة ، وإلهية لائقة، وعبودية شائقة ، وخافية مشوقة، وبادية معوقة، فأصرف زمانك كله في فلي هذه الأثناء، واستنباط هذه الأنباء على أن زمانك قد يطول لك حتى تقف على كنه حقيقة ما في باطن ذرة من هذه القصة وهذه الإشارة** "[3]

إن هذه التلويحات تعتبر استراتيجية ينبني عليها الخطاب النورسي.

اللغة في المثنوي هي شكل من أشكال التعبير اللغوي الصادرة عن تجارب وجدانية. ومن أهم خصائصها ما يلي:

---

[1] -النورسي : المثنوي العربي النوري ، مرجع سابق ، ص 41.
[2] المرجع نفسه ، ص 40.
[3]- أبو حيان التوحيد ، المرجع السابق ، ص 5.

أ-التجربة أحد مكوناتها .

ب-لغة رمزية مجازية تعتمد على الاستعارات والإشارات والدلالات القابلة للتأويل. تنحصر هذه الدلالات في: (الدلالة العقلية – الدلالة الطبيعية – الدلالة الوضعية).

ج – تتميز بالتخيل والتمثيل والتشبيه، لهذا فهي عينة بلاغية خصبة.

وتتميز خصائص المعرفة عند **'النورسي'** في المثنوي بالعلاقة المباشرة بين الذات والشيء المعروف .

بذلك **'النورسي'** لا ينظر إلى الوجود باعتباره خارجاً يمكن معرفته بوسائل خارجية، ولكنه داخل لابد من التوغل فيه لإدراكه. ما جعل الخطاب النورسي يميز بين مسارين لاكتشاف هذين المجالين أولهما العقل الذي يشكل أداة معرفة العالم الخارجي، وثانيهما القلب لمعرفة العالم الداخلي (الباطن).

ثمّة فروق كبرى بين معرفة القلب ومعرفة العقل، فمعرفة القلب إدراك مباشر للشيء، وأما معرفة العقل فإدراك جانب من جوانبه؛ الأولى حال يتحد فيها العارف والمعروف، أما الثانية فإدراك العلاقة بين العارف والمعروف، أو لمجموعة من العلاقات، الأولى تجربة ومشاهدة، أما الثانية فحكم تجريدي. فالمعرفة النورسية إلهامية تشرق في النفس، وليست كسباً يتم بالجهد والاختيار..."[1]

يترتب عن هذا التقسيم للمعرفة ' معرفة العقل ومعرفة القلب' وانتصار بديع الزمان للثانية باعتبارها تجربة وذوقاً وكشفا. يعد هذا تمييز آخر له أهمية بين الظاهر والباطن، بين التجلي والخفاء .

يقول **'أبو نصر السراج الطوسي'**: "إن العلم ظاهر وباطن... والأعمال الظاهرة كأعمال الجوارح وهي العبادات والأحكام... وأما الأعمال الباطنة فكأعمال القلوب وهي المقامات والأحوال... ولكل عمل من هذه الأعمال الظاهرة والباطنة علم وفقه وبيان وفهم وحقيقة ووجد... فإذا قلنا: علم الباطن

[1] **أدونيس: الثابت والمتحول، تأصيل الأصول، دار العودة، ط3، بيروت 1962، ص 95.**

أردنا بذلك علم أعمال الباطن التي هي الجارحة الباطنة، وأما إذا قلنا علم الظاهر أشرنا إلى علم الأعمال الظاهرة التي هي الجوارح الظاهرة؛ وهي الأعضاء"[1]

فإذا كان الظاهر سهل الإدراك والفهم، فإنه لا يمثل إلا السطح، وهو الذي يشترك في معرفته العموم. أما الباطن فليس متاحاً وهو متوغل في احتجابه. ويستلزم العبور من السطح إلى العمق الذي لا يتجلى إلا للذين يحيون امتحان تلك التجربة، ويرقون في مدارج المحو والمجازفة، حتى ينالوا قبسا من ذلك السَر.

تجسدت جدلية الظاهر و الباطن في التجربة النورسية من خلال كتاباته في المثنوي. إذ تميزت النزعة الخطابيه عنده، في كونها لا تقف عند مظاهر الدين كتشريع فقط، أو عند الرسوم كما فعل الفقهاء، ولكن قراءة الدين قراءة باطنة والتعبير عنه بمجالات استعارية ورمزية واسعة —هي متضمنات القول في التداولية– ، عبر من سطح النصوص، خاصة النص القرآني، إلى عمقها فطرح، إشكالية التأويل كمقابل للتفسير.. "فإذا كانت ثقافة الظاهر، بحسب المؤسسة الدينية السياسية الاجتماعية محدودة، ومن السهل تحديدها، فإن ثقافة الباطن غير محدودة ويتعذر تحديدها"[2]؛ هذا من كون الباطن متخيل مركزه التصور الذهني لقواعد البلاغة ما يضفي على النص استراتيجيات مختلفة لكل منها مقصدية تتحد لتشكل معنى واحد . بل إن شرط استمرارية الدين وتواصله مع التحولات التي يحياها الإنسان، هو القدرة على تجاوز ظاهره إلى أعماقه الغنية بإمكانات التأويل حتى لا ينغلق الدين داخل السياج الدوغمائي، فيتحول إلى مجرد مظاهر شكلية، أو ممارسات تعبدية لا تحمل الغنى الروحي، إذ "الظاهر ليس إلا صورة من صور الباطن. وبما أن الباطن لانهاية له، فلا يمكن أن تحده صورة واحدة، بل لا يمكن أن تحده الصور".[3]

[1] أبو نصر السراج الطوسي: اللمع تحقيق عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي سرور، مطبعة المثنى، بغداد - دار الكتب الحديثة، القاهرة 1960، ص 3.
[2] جكيم ميلود ، الحقيقة والغيرية في الفكر الصوفي نحو نزعة انسانية ، مجلة حوليات الثرات ، جامعة مستغانم منقول من الموقع : http://ciav.univ-mosta.dz/ 2016/07/05.
[3] أدونيس: الثابت والمنقول، ج2، ص 91 - 92.

يعد العبور من ظاهر اللغة في المثنوي إلى باطنها بافتراض التأويل، ذلك لأن الباطن لا يمكن التعبير عنه باللغة العادية، من هنا شكلت كتابات **'سعيد النورسي'** لغة خاصة لها معجمها المتميز الذي يعبر عن هذه الإشارات والتلويحات بطريقة رمزية، كثيراً ما تستغلق على غير المتبحرين في المعرفة. إن الحالة التي يحياها **'سعيد النورسي'** في المثنوي العربي أقرب إلى الحلم، وتماسه مع الخفي يدخله إلى المناطق التي تضيق عنها العبارة، فهو يتحدث عن قضايا روحية إيمانية صعب أن يعبر عليها بالألفاظ العادية، فيلجأ إلى وصف يجتاز الإحساسات "يسمح بقياس المسافة الكائنة بين التداول العام لهذه الألفاظ والحقيقة".[1]

نخلص إلى أن الوجود بمراتبه المختلفة يمثل حجاباً على الحقيقة الإلهية، كما تمثل الصورة في الحكم غطاء على المعنى أو الرمز الذي يختفي وراءها، ومن ثم فالوجود يحتاج إلى تأويل يتماثل مع تأويل الأحلام عبوراً من الظاهر إلى الباطن.[2] وبالاستلزام الحواري يمكن الوصول غلى درجة من البيان المفترض.

التأويل على مستوى نص المثنوي لا يكتفي بمعرفة أسرار اللغة والبلاغة والنحو والأحكام، أي أفعال القول ومنجزاته وهذا ضروري، ولكن يتعدى ذلك إلى محاولة إدراك الأبعاد الخفية من إدراك مسبق واستلزام حواري . وأقصى ما يستطيعه المتلقي هو التأويل عن طريق، الرمز والإشارة والمعنى يتجلى لكل واحد حسب استعداده للفهم، ولذلك لا يحق لأي كان أن يقول أنه يملك اليقين في فهم المثنوي العربي.

تتراءى مفارقة الخفاء والتجلي في المثنوي العربي النوري من خلال التناقض الصارخ في الدلالة فيتصف الخفاء من خلال عالم مظلم يسوده الشيطان وبغي النفس وجور الفلسفة الإلحادية فهو عالم مظلم يخشي النور ويمثل هذا العالم الخفي الكثير من العبارات الدالة منها : " **إن عملا جادا لا ينجز مع**

[1] ينظر : الخطاب الصوفي: ترجمة محمد شوقي الزين، مجلة كتابات معاصرة، العدد 44، 2001، ص 53.بتصرف
[2] ينظر : صر حامد أبو زيد: فلسفة التأويل، دراسة في تأويل القرآن عند ابن عربي ، مرجع سابق . ص 221.بتصرف

أولئك الذين يرضون بأوهام براقة نابعة من سفسطة النفس ووسوسة الشيطان ويصمّون أذانهم عن البلاغ المبين والبراهين الساطعة بالتواتر والإجماع .."[1]

كما يمثل هذا العالم الخفي في المثنوي العربي النوري بالجهل وقلة التدبر و قلة التبصر في آيات الله عز وجل؛ لهذا نجد **'النورسي'** يقول دوما في رسائله بل يستهل كل نص منها بـ **'اعلم' و'أنظر'** وغير ذلك من العبارات، التي تعد من **'صيغ الأمر'** التي تدعو إلى فعل غنجازي ممزوج بالالتماس قصد العلم والتدبر ،وإن كانت كل رسائل النور ترمز إلى النور القرآني بتلك الإنشائيات التداولية أو الضروب الخبرية المتجاوزة إلى المجاز .

من الضروري أن تكون بنية الخفاء والتجلي موحدة، في المقام التوجيهي وكذا الحجاجي وغيره وحتى يحتمل النص العقول عالية الفهم والبسيطة، توجب على المرسل أن يكشف خطابه في نصوص ويخفيها في نصوص أخرى، فهو دائم الانتقال بين الظهور والخفاء، وتجربته العميقة وآثارها التي يعيشها يفرضان عليه أن يكون كاشفا مظهرا لبعض نصوصه ومرمزا لغيرها .

لعلى بنية الخفاء والتجلي تمنح النص النورسي امكانية الاستمرار والتأويل، الذي يمثل السمة الغالبة عليه وقد عمدنا إلى تبيان هذه البنية .

هناك ترابط غير منكر بين الظاهر والباطن لا يمنع وجود فروق أو سمات تتميز بها البنية المتجلية عن الخفية أو العكس، فإن كانتا متطابقتين فلا داعي للفصل بينهما باسمين أو مصطلحين متغايرين .

وتظهر السمات المميزة للجانب الجلي في المثنوي العربي النوري في الآتي :

[1] **النورسي : المثنوي العربي النوري : ص 203**

*الكثير من استدلالات **'النورسي'** وبراهينه وحججه تمثل بنية مكتوبة فعلا لا تصورا أو تخيلا نجده مثلا في "**رشحات**" يقول: "**وكذا التنزيل يخاطب كل الناس ويراعي فهم الأكثر ليعرفوا تحقيقا لا تقليدا...والفن يتكلم بالأصالة مع أهل الفن** ..."[1]

*نجد النورسي يختصر فهو يعمد إلى ما يريد بأقل العبارات أو الجمل المتعارف عليها، لذلك فهو يغفل في منتجه اللغوي النهائي (السطحية) كل ما يراه أو يتصور أنه غير مفيد ، مبدأ التعاون الذي يركز على الكم .

*نجده في بعض الجمل يعمد إلى السهولة والوضوح في المعنى والبعد عن التعقيدات اللفظية ما أمكن، فالاهتمام باللفظ يحتل مكانة عظيمة عند المتعاملين مع البنية السطحية . يقول مثلا :"**اعلم أن الغفلة عن المالك الحقيقي جل جلاله ، سبب لفرعونية النفس** ..."[2] يظهر مبدأ النوعية .

نجد في **المثنوي العربي النوري** سمات الخفاء كثيرة ومن أهمها :

*صعوبة تحديد البنية الباطنية لأنها تعتمد على إعمال الفكر والحدس والتخمين؛ أي أن الفعل الإنجازي يكون متفاوتا، وذلك لأن التوهم " **حالة نفسية يتصور الإنسان معها تصورات قد تكون صحيحة وقد تكون فاسدة**"[3]

*النورسي يتحدى بأن خطابه يجب أن يقرأ مرار وتكرار فهو ليس له شكل معين أو صياغة واحدة، فهو يختلف باختلاف المتصور له .

*يعتمد **'النورسي'** المعنى أكثر من اعتماده على اللفظ، لهذا نجده يدرج صياغات صرفية خارجة عن الاشتقاق العربي ويضع ألفاظ في غير محلها، والمعنى هو محور خطاباته .

---

[1] النورسي :المثنوي العربي النوري ،المرجع سابق ،ص73.
[2] المرجع السابق ،ص 129.
[3] سيد رزق الطويل : ظاهرة التوهم في الدراسات النحوية والتصريفية، بحث منشور بمجلة كلية اللغة العربية بجامعة أم القرى ، العدد الأول ، سنة 1983م ، (ص89 ، 95).

*يركز بديع الزمان على إبلاغ المعنى الباطن فهو الأصل عنده، وهو لا يجليه حتى لا يتيه العامة من الناس بل نجده يخاطب الراسخين في العلم .

المبحث الثاني: التكثيف الرمزي والاستعاري في المثنوي العربي النوري.

هذا المبحث ليس إلا جزءً من محاولة واسعة لفهم الرموز في المثنوي، الذي ينطلق **'النورسي'** فيه من فكرة هي أن الرموز المستعملة مفهومة في المجتمع، يفهمها كل إنسان لأنها تعبر عن الكليات البشرية ضف إلى ذلك أن هذا المبحث تابع للمبحث الأول فهو يدخل ضمن التجلي والخفاء. لا بد أن نقول من البداية أن أسلوب **'بديع الزمان'** سهل وناعم وفي نفس الوقت يتميز بقدرة إقناعيه عجيبة أي حجاجية، ومن الضروري أن نذكر أنه استخدم هذا الأسلوب البسيط المقنع كوسيلة لمعالجة مسائل زمنه الحادة الناتجة – في أغلبيتها – عن الضغط الغربي على المجتمع الإسلامي، من تسرب الفلسفة المادية الغربية إلى تراكيب الحياة الإسلامية، بل ودفعها إلى نسيان خصوصياتها الثقافية والحضارية.[1]

1-الرمز في اللغة وفي التعبير الفني :

ما نشير إليه قبل البدء هو أن الرمز يندرج ضمن دلالة البنية العميقة –له قواعده في الدهن- أو ضمن الجانب الباطني للمعنى –التصور- والرمز يعد علامة من العلامات له أفعاله التداولية.

تكاد المعاجم وكتب اللغة تجمع على أن الرمز هو الإشارة والإيماء والدلالة. الرمزية هي: ما يوحي وجودها إلى معنى آخر دون أن يكون بينهما علاقة ضرورية غير ارتباط المشابهة، كدلالة الأسد على معنى الشجاعة مثلا، والجمل على الصبر .

[1] النورسي أديبا، بأقلام نخبة من المفكرين ، ندوة سعيد النورسي أديبا بكلية الآداب والعلوم الانسانية ، الدار البيضاء المغرب ، يومي 18/17/ .2003.مختبر تحليل الخطاب بكلية الآداب والعلوم الانسانية /ابن مسيك –الدر البيضاء .ص 27.

شرح 'ابن منظور' في لسان العرب كلمة الرمز: **فقال "الرمز تصويت خفي باللسان كالهمس، ويكون تحريك الشفتين بكلام غير مفهوم باللفظ من غير إبانة بصوت وإنما هو إشارة بالشفتين وقيل الرمز إشارة وإيحاء بالعينين، والحاجبين والشفتين والفم، والرمز في اللغة كما أشرت إليه مما يبان بلفظ بأي شيء أو أشرت إليه بيد أو عين .."[1]**

مفاهيم الرمز لغويا ترادف الإشارة و ترادف الإيحاء أيضا، و أمثلة ذلك كثيرة في الأدب

يتفق الأقدمون على أن الرمز هو كناية غامضة، كونه يشير إلى شيء على سبيل الخفية؛ فالرمز في معناه البياني الضيق نوع من الكناية أو الاستعارة أو التشبيه غير المباشر، وما يقارب ذلك من الصور التي ينوب فيها المجاز عن الحقيقة، على أن هذا المدلول قد تطور واتسع منذ القرن التاسع عشر. [2]

و يعلّل (بول ريكور/ Paul Ricœur إشكالية الرمز بقوله :**"وما يشهد على الطبيعة اللغوية للرمز أن بالإمكان فعلا بناء دلالة الرمز، أيضا نظريا تفسير بنيتها من خلال المعنى أو المغزى وهكذا نستطيع أن نتحدث في رموز مزدوجة المعنى، أو رموز ذات معان أوائل أو ثوان، غير أن البعد اللالغوي واضح وضوح البعد اللغوي (...) حيث يحيل العنصر اللغوي الرمز دائما على شيء آخر "[3]**

فالرمز بهذا المعنى يمكن مقارنته من الوجهة اللسانية باعتباره انزياحا عن المعنى الأساسي أو المعجمي، كما قد يتداخل مع أساليب التعبير التقليدية المتمثلة في الصورة البيانية من استعارة ومجاز، و في

[1] -ابن منظور: لسان العرب، مادة: رمز، دار صادر، بيروت- لبنان، د ت، ج6 ،ص ص، 222 -223 .
[2] -نور سلمان ، معالم الرمزية في الشعر الصوفي العربي ، بحث مقدم لنيل شهادة أستاذ في العلوم ، الجامعة الامريكية في بيروت ، 1954 ، ص 56.
[3] -بول ريكور :نظرية التأويل الخطاب وفائض المعنى، ترجمة: سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1،2003 ،ص ،65

الوقت نفسه يستمد قدرته على الدلالة من خلال اتكائه على عوالم أخرى كالدين والأسطورة والتراث والتحليل النفسي .[1]

الرمز بالمفهوم العام هو ما تعارف الناس على اعتباره رمزا لشيء ما "كجعل الحمامة رمزا للسلام، و الميزان رمزا للعدالة، والصليب رمز للمسيحية، كذلك قد تستخدم بعض الأفعال و الإشارات و الحركات كرموز، فرفع الذراعين إلى الأعلى يرمز إلى الاستسلام، بينما رفع السبابة و الوسطى، وضم الأصابع الأخرى يرمز للنصر، أما رفع قبضة اليد فيرمز حتما للتهديد، وقد يكون الرمز تجلي لشخصيات وزعماء وعلماء معروفين فمثلا الزعيم "**مارتن لوثر كينغ**" أصبح رمزا للثورة، فالوظيفة الدلالية لتلك الرموز علامة محسوسة تذكر بشيء غير حاضر "[2] وهي علامة مقامية يمكن ادراجها ضمن استراتيجيات الخطاب، وللرمز فعل انجازي ثابت، ومتضمنات قول واحدة، وأكثره لا يخضع للسياق.

يستوجب التفريق بين معنيين متقاربين للرمز (**Symbole**)، والعلامة أو الإشارة (**Signe**) :"التي تعبر عن شيء معلوم محدد في وضوح، بخلاف(**الرمز**) الذي هو أفضل طريقة للإفضاء بما لا يمكن التعبير عنه، وهو معنى لا ينضب للإيحاء "[3] فالرمز هنا أكثر من علامة فهو مفتوح على التأويل والقراءة، وهنا يشكل انزياحا وعدولا عن وضعه الأصلي .

الرمز في المفهوم اللساني ينطلق بداية مع الدرس اللساني السويسري– فردناند دوسوسير – الذي بشر ب علم هو السيمولوجية (**Sémiologie**) ومهمة هذا العلم هو : " **دراسة حياة العلامة داخل الحياة الاجتماعية** "[4]

---

[1] زبيدة بوغواص ، الرمز في مسرح عز الدين جلاوجي ، رسالة ماجستير ، جامعة الحاج لخضر باتنة ، كلية الآداب واللغات ، 2011، ص 13.
[2] جبور عبد النور: المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت-لبنان، ط1 ،1979 ،ص ، 123 بتصرف .
[3]- إبراهيم رماني: الغموض في الشعر العربي الحديث، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية، بن عكنون، الجزائر، 1991 ،ص، 273.
[4]- سعيد بنكراد: السيميائية (مفاهيمها وتطبيقاتها)، منشورات الزمان، الرباط، المغرب، 2003 ،ص ،01.

أشار **'سوسير'** من خلال كتابه محاضرات اللسانيات العامة إلى مفهوم الرمز ولو بشكل عرضي وفي نفس الوقت خرج الفيلسوف الأمريكي "**شارل سندرس بيرس** **Charles Sanders Boris**" برؤية جديد تتعاطى مع هذا الأمر هي السيميائية .قد كان لرأي (**سوسير**) و(**بيرس**) أثر كبير على الوعي المعرفي، وعلى العلوم في مجملها .[1]

فالرمز عند **سوسير** يقابله الدال يقول في ذلك " **أن العلامة لا تربط بين الشيء والاسم بل بين المفهوم والصورة السمعية** " [2] نجده قد اقصى المرجع الذي هو الواقع الخارجي .

أشار" **بيرس**" أن العلاقة بين الأيقونة والرمز وموضوعها لا يستند إلى التشابه، ولا إلى التجاوز بل إلى العرف الاجتماعي، وقد قسم العلامة إلى : الأيقونة والإشارة والرمز .

نجد ما قال به "**بيرس**" قد وظفه الرومانيسون في أدبهم لما ربطوه بالثقافة، أو بالمفاهيم التي تعارفوا عليها عن طريق الاصطلاح .

هكذا فالرمز عند **'بيرس'** قد أضاف فسحة للرمز مقارنة مع نظيره "**سوسير**" إذ العلامة أرقى عنده من الأيقونة والمؤشر، كونها أكثر تجريدا؛ فالعلامة بين الدال والمدلول غير معللة، وغير مصطلح عليها، إلا أنه حصر العلامة في الاصطلاح والتجاور والتشابه، بحيث جعل الرمز السيميائي يتقولب على نفسه في وحدة دلالية مغلقة، وهذا ما لم يتقيد به الدرس اللساني الجديد بجعله علامة شاردة في الفضاء الدلالي، مما جعله غابة من المعاني لا نهائي التأويل . [3]

2-الرمز والاستعارة :

[1] -زبيدة بوغواص : الرمز في مسرح عز الدين جلاوجي ، مرجع سابق ، ص 22.
[2] -Cours de linguistique générale, Payot, Paris, 1978, p , 98. :- F.de Saussure
[3] زبيدة بوغواص : مرجع سابق ص 24.

تعد لغة **'النورسي'** لغة رمزية، مجازية، أما المعاني فهي باطنية خفية سبيلها الإشارة والإيحاء، وقد خلّف إرثا ضخما من المعارف والمفاهيم، ومن المعلوم أن كتابة **'النورسي'** تدخل فيها أنماط عديدة كلامية وفلسفية ، ونحوية، وغيرها، وكلها تشترك في وسيلة التعبير، وهي اللغة التي تشكل استراتيجيات خطابية متعددة وأفعالا كلامية مختلفة، ونحن نجد **'بديع الزمان سعيد النورسي'** وظّف الحقل المعجمي الصوفي **برمزيته،** ويهدف إلى بعض مقاصد الصوفية، وإن كان النص اللغوي ليس صوفيا، فقد عبر **'بديع الزمان'** عن معارفه ومفاهيمه بالعديد من المصطلحات التي تعد بمثابة رموز تشير إلى التجربة الصوفية، القائمة على مبدأ أساسي هو أولوية الروح على الجسد والقلب على الحواس، فالروح أصل المعرفة —الروح تعني عنده العقل والقلب — **'النورسي'** يسعى بكل قوته للوصول إلى هذه الروح أي الحقيقة، وقد بلغ ذلك بحسب قوله، ولم يرد أن يشاركه أحد في تجاربه بيد أنه في النهاية أراد أن يشرك غيره للفائدة رغم تعطل العملية التواصلية نوعا ما لإبهام المرجع في خطابه، لقد نتج عنه إبهام في الجهاز المفاهيمي للمتلقين وعجز في فك النظام الرمزي. [1]

يظهر من خطاب المثنوي الجانب الاستعاري الذي يمكن تعريفه بأنه مجاز و تشبيه حذف أحد طرفيه، و هي عند "**جاكبسون/jackpson** " تقوم على الانتقاء و الاستبدال و المشابهة إنها تصوير الأشياء بما لا يرتبط بها مكانيا وزمنيا، بل بما يرمز إليها بعلاقة غالبا ما تكون تشبيهية أو ثقافية " [2]

نفهم من هذا أن هناك تقارب قويا من حيث الدلالة بين الاستعارة والرمز، بحيث أن العمل الأدبي في عمومه تعبير استعاري ذو أبعاد رمزية فالاستعارة تبقى نوعا من التجريد، تبتعد عن التجسيد وتقترب من الرمز، بل وتدخل مداره، إلاّ أن هناك تفاوتا بينهما من حيث إن الرمز في كثرة الدلالات وتنوعها يصعب حصرها وتحديدها .

---

[1] سمراء لبصير : التاويل افق استبدلي لمشروعية الخطاب الصوفي ، مجلة حوليات التراث ، جامعة لمسيلة ، العدد 2013/13 ، ص 92/88. بتصرف شديد

[2] فاطمة الطبال بركة: النظرية الألسنية عند رومان جاكسون، المؤسسة الجامعية، بيروت، لبنان، ط1 ،1993 ،ص، 210 .

نعتقد أن الإلمام بشيء من أنواع البيان، و ما بينها من اتفاق أو اختلاف مع الرمز لم يكن بالصفة الموسعة، ولكننا نرى أنّ ما ذكرناه هو أهمها، وتبقى سمة الرمز بين تلك الألوان البيانية هي الإيحاء المفتوح على القراءات، والتأويلات في ثراء، كما تذوب تلك الصور في الرمز ويبقى السياق هو الفاصل بينهما .[1]

3- أنواع الرمز وخصائه :

*الرمز التراثي وهو ذلك المخزون الثقافي المتنوع و المتوارث من قبل الآباء والأجداد المشتمل على قيم عديدة وهو منبع يعمد إليه كل كاتب، وهناك **الرمز الأسطوري** الذي لا يخلوا أي أديب معاصر من الاعتماد عليه في كتاباته، وذلك بإسقاطه على الحاضر عن طريق الايحاءات والدلالات غير المباشرة التي يحددها السياق، أو مقام الحال.

* **أما الرمز الديني** يعد عند كل أمة مصدر من مصادر الإلهام، ويعد القرآن المعين الثري بالدلالات الفنية والإنسانية؛ إضافة إلى السيرة النبوية وغيرها من كتب أعلام الإسلام . ولو نظرنا إلى الرموز التي استعملها **'النورسي'** لوجدنا لها اتصال وثيق بالموروث الديني .

أما **الرمز الصوفي** فهو رغبة كل مبدع في الولوج إلى فضاءات أرحب تستوعب واقعة بكل تراكماتها ، فهي لغة تخفي حقيقتها وراء أستار الرموز الصوفية ، وغاية كل كاتب وأديب هو الجمه بين النقيضين عالم الواقع وعالم المثل عالم الظاهر وعالم الباطن ، بين المادة والروح .

***أما الرمز الأدبي** فقد ظهر هو الآخر عند **'بديع الزمان'** من خلال عالمية الأدب عنده حيث يوظف رموز لشخصيات تاريخية أو أقوال مشهورة، يخلق بها رمزا ينبض بدالات ايحائية لتجربة شعورية جديدة بهذا أصل 'النورسي' ظاهرته الأدبية وساير الحداثة والمعاصرة، ولم يخرج من الدائرة التداولية التي أبقته واضحا .[2]

---

[1] زبيدة بوغواص ، مرجع سابق ص 27بتصرف
[2]- زبيدة بوغواص ، مرجع سابق ص /32/31 بتصرف .

فحقق رمزية لما كتبه بواسطة ألفاظ حولها إلى أدوات لغوية حملت وظائف جمالية، ودلت على مدلولات امتدت على رقعة النص كله، الناظر لعناوينه يجد أن التركيب الرمزي تشكل من خلال الإطار الكلي فهي جداول كانت صغيرة وتحولت إلى أكبر امتدت على متن الرسالة كلها .[1]

ومن أشكالها اعتماد الرمز الديني كوسيلة إقناعية؛ لما للدين من مكانة مقدسة في المتلقي، والخطاب المتدثر بالمقدس له سلطة، و تأثير و مدخل محمود العواقب، يحقق الخطاب من وراءه أهدافه المباشرة، و طريق موصل للإقناع.[2]

هناك سيمات تميز الرمز منها: الغموض الذي يقبل الدلالة والتأويل، ويجعله قابلا للاكتشاف والانزياح، فلا مكانة للنص من سطحية وتقرير، أما الإيحاء فيكون الرمز فيه متسما بالانفتاح على دلالات متباينة ومختلفة، حيث الكثافة والعمق وتعدد القراءات والتأويل .

أما ميزة الإيجاز فهي خاصية في البلاغة العربية حيث تصير المعاني والأغراض أقرب من اللفظ. ومن هنا نجد ميزة أخرى هي الاتساع؛ فهو كلام تتسع تأويلاته وتكثر احتمالاته وهذا ما نجده عند "**السبكي**" .

ما يهمنا في الرمز **السياقية** حيث غن هذه السيمة مثل العينات السيميائية في النص يوجهه ويخلق له فضائه الدلالي، ونختم **بسمة تعد أساسية وهي غير المباشرة** في التعبير وهي السمة الأساسية التي بني عليها الرمز الحداثي .[3]

قراءة رسائل النور تبين استثماره للمصطلح الصوفي على تنوع مشارب رجاله ويمكن بيان ذلك من خلال النقاط الآتية :

أولا: أدبيات 'النورسي' طافحة بالعبارات الصوفية الرقيقة عبارة تحرك القلوب والمشاعر بموسيقاها ودقة ألفاظها، ويظهر استثماره للخزان المعجمي الصوفي بشكل ملفت للانتباه منها قوله

[1] زبيدة بوغواص ، مرجع سابق ص /34/33 بتصرف
[2] أنظر :عبد اللطيف حني ، التداولية الإبداعية في الشعر الثوري الجزائري، مجلة الأثر ،عدد خاص ،أشغال الملتقى الدولي الرابع في تحليل الخطاب. لمركز الجامعي الطارف. (الجزائر)،2016، ص 224.
[3] -زبيدة بوغواص ، مرجع سابق ص /34/33 بتصرف

: " **التوحيد الحقيقي " وهو الإيمان بيقين أقرب ما يكون إلى "الشهود " بوحدانيته سبحانه وبصدور كل شيء من يدي قدرته**" ويقرب من هذا المعنى ما ذكره في كتاب آخر " **إن جميع هذه العبادات المشاهدة تشير إلى المعبود الحق الواجب الوجود وإلى وحدانيته** "[1] وقال أيضا هذه العبارة التي تكاد أن تطبق رسائله على ذكرها " **أما الفاعل الحقيقي فهو القدرة الصمدانية لأن التوحيد والجلال يتطلبان هذا** "

ثانيا : يتجلى توظيف المصطلح الصوفي من خلال الاستثمار التحليلي للمعارف الصوفية وهو إقرار بالقيمة العلمية والتربوية للمعارف الصوفية؛ يرى هذا النوع الاستدلالي في مخاطبة الوجدان والقلب وهي مخاطبة تشغل حيزا كبيرا في مجموعة مؤلفاته "[2] إن هذه اللمحة على استثمار **'النورسي'** للمصطلح الصوفي إنما هي إشارة مقصودة كي نوضح أن الرمز مكثف في المثنوي العربي لتأثر **'النورسي'** بالمصطلحات الصوفية. نجد أيضا قد استعمل الكثير من مصطلحات العالم الرباني أي " أحمد بن عبد الأحد السرهندي الفاروقي " (971-1034هـ) صاحب كتاب **'المكتوبات'**، وقد جاوز ذلك الى استثمار مصطلحاته في صياغة خطاب رسائل النور فالمصطلحات المركزية " الحقائق الايمانية " في الرسائل هي اصطلاحات **'سرهندية'** .[3]

4-شعرية النورسي والرمز :

" إن الرموز التي دارت في بعض أنواع النثر، يمكن أن ينظر إليها بوصفها رموزا شعرية، بشرط أن نتجاوز في هذا القول الاختلاف النوعي، من حيث الشكل والإيقاع، إلى الماهية العامة لفن القول من حيث أنه استعاري وتسمية مجازية للأشياء .[4]

---

[1] -النورسي : الكلمات ، دار شوزلر للطباعة والنشر ، القاهرة ، 1995، ص 775.
[2]- عمار جيدل ، النورسي واثبات الحقائق الايمانية ، مرجع سابق ، ص 145.
[3]- المرجع نفسه ، ص 138.
[4] -حسن الامراني ، بحوث بعنوان ، النورسي أديب الانسانية ، جامعة محمد الاول ، وجدة ، المغرب .

الرمز من الأساليب الشعرية المعروفة، وأساليب الرمز كثيرة ولعل احتفال الشعر بالصورة وجه من أوجه الرمز، والصورة في أدنى مراتبها تعتمد الصور البيانية الأولى كالتشبيه ثم الكناية ثم الاستعارة بضروبها المختلفة كصورة أعلى من صور البيان، ومن الرمز قريب وبعيد قد يكون الرمز مجرد لمعة عابرة، وقد يفتح للنظر آفاقا لا تكاد تحد .

وحين يستعمل **'النورسي'** الأسلوب الرمزي لا يضل قارئه ولا يتركه في متاهة، بل يأخذ بيده في رفق إلى نور الحق حتى تكشف عن بصيرته غشاوة الضلالة والأوهام، فالرمز ليس هدفا بل وسيلة من وسائل التعبير التي لا ينبغي أن تعدوا مهمتها، فانظر إليه إن شئت وهو يقول :"كيف السكون إلى الدنيا والفرح بها "[1] إنه يترك القارئ في حيرة جراء تساؤلات تنتاب ذهنه والتحير من مقومات الكشف لأنه كما قلنا يفتح باب للأسئلة الحرجة .

ولما كانت لغة الرمز قاسما مشتركا بين الشعر والتصوف، كانت أسلوبا أثيرا عند **'النورسي'**، إن الرسالة الرابعة التي هي: **'قطرة من بحر التوحيد'** و" **لا سيما**" و "**ذيل القطرة** " نمط رفيع من اللغة الرمزية ، والرمز هنا ليس مجرد زينة خارجية مثل الكثير من النصوص الحديثة، بل هو عند **'النورسي'** متصل بتجربته الحقيقية .نرى **'النورسي'** يبدع رمزه الشفاف الذي لا يعتمد إسقاط الإشارات على النص بقدر ما يعتمد تحديد الرؤية التي هي رؤية قلبية قبل أن تكون رؤية بصرية والرمز عندئذ يصبح أداة من أدوات تقريب الحقائق إلى النفوس، لا أداة تشويش ، وإيجاد نوع من الانسجام والتناغم بين الظاهر والباطن، ليس الرمز نفيا للظاهر، باعتباره طعام الدهماء وشرابها وتعلقا بباطن موهوم كما يزعم الكثير من الصوفية والشعراء بل هو عند **'سعيد النورسي'** نابع من الحقيقة والتجربة بل ومن النص القرآني .

[1] -النورسي :المثنوي العربي، مرجع سابق ، ص 240.

الرمز كما فهمه **'النورسي'** وكما تجلى في المثنوي العربي النوري رمز شفاف ينطلق من رؤية تقيس الأمور بذلك الخيال المحمود الذي ينطلق إلى عالم أثيري يجمع بين نورانية الغيب ووضوح الشهادة فلنصغ إلى أول رمز من " **ذيل القطرة** " :" إن الصلاة في أول الوقت والنظر إلي الكعبة خيالا مندوب إليهما ليرى المصلي حول بيت الله صفوفا كالدوائر المتحدة المركز، فكما أحاط الصف الأقرب بالبيت، أحاط الأبعد بعالم الإسلام فيشتاق إلى الانسلاك في سلكهم، وبعد الانسلاك يصير له إجماع تلك الجماعة العظمى، وتواترهم حجة وبرهان قاطع على كل حكم ودعوى تتضمنها الصلاة " [1].

هكذا ينطلق **'سعيد النورسي'** بقارئه من أسلوب تقريري صارم، إلى التلقي بأسلوب يخاطب العقل والوجدان والشعور يجمع بين صرامة الفكر ونداوة الشعر، وذلك مدخل عجيب إلى شعرية النص عند **'النورسي'** .[2]

إن النورسي في كتابه المثنوي يحرص على التصريح في أكثر من موضع بأن كشفه يستند على المشاهدة ، لا على التهويم ، إلا أن هذه المشاهدة قلبية معنوية لا عينية مادية يقول : " ثم قد شاهدت في سياحة تحت الأرض المعنوية وفي بطائنها حقائق " [3]

ويحدثنا **'النورسي'** عما لقي في طريق المشاهدة فيقول : " أيها الناظرون إني قد ساقني القدر الإلهي إلى طريق عجيب ، صادفت في سيري مهالك ومصائب وأعداء هائلة ، فاضطربت فالتجأت بعجزي إلى ربي ...أخذت العناية الازلية بيدي ... فما كتبت إلا ما شاهدت "[4]

ولكن هذه المشاهدات وإن كانت معنوية، إلا أنها مشاهدة واعية لا يغيب فيها الشاعر عن عقله ولا يدعي غيبوبة عن الخلق لرؤية الحق ." هكذا شاهدت وعقلي معي " [5]

---

[1] **-أدونيس : النص القرآني وآفاق الكتابة ، دار الأدب ،ط 2 ،القاهرة، 2010 ، ص 30.**
[2] **-حسن الامراني ، بحوث بعنوان ، النورسي أديب الانسانية ، جامعة محمد الاول ، وجدة ، المغرب .**
[3] **-النورسي : المثنوي العربي النوري ، ص 165.**
[4] **-المرجع نفسه : ص 128.**
[5] **- المرجع السابق ، ص 104.**

لم يكن **'النورسي'** شاعر بالمعنى التقليدي للكلمة، إلا أنه كان يمتلك كل الأدوات الشعرية وأظنه كان قادرا على كتابة الشعر الموزون لسعة حفظه ورجاحة عقله، والشاعرية موجودة عنده إذ أنه صاغ أدبه الايماني صياغة شعرية وجدانية تطرب السمع، وتحرك الشعور وتوقد الذهن وتعطي للخيال فرصة للسباحة في عالم لا متناه.[1]

وقد استخدم **'النورسي'** الرمز الصوفي في أعماله؛ وهو مأخوذ من تراث الحضارة الاسلامية. تعد المصطلحات المجازية المستخدمة في الأعمال الصوفية أنها سهلة الفهم والإدراك وبها شفافية ناتجة عن معناها العميق، وهي منتشرة بشكل أو بآخر في كل الربوع الاسلامية، وجزء لا بأس به من هذه المصطلحات تجاوز أحيانا حدود الأدب الصوفي ودخل الأدب البلاطي العثماني، الذي أعطاها مكانة رفيعة ضمن نظام قيمه الجمالية، ومن هذه المصطلحات المتداولة نذكر على سبيل المثال الأضداد (وردة /بلبل) (فراشة / شمعة)[2] وغيرها وسنذكر البعض منها في الآتي :

4-1-/رمزية العندليب والوردة :

كثيرا ما كان **'النورسي'** يغترف رموزه من ذات نفسه، غير متوكئ على أحد، إلا أن هذا لا يمنع من أنه كان يلتقي مع كثير من شعراء الرمز، فيغترف مما يغرفون، إذ الرمز الواحد قادر على أن تجدد دلالاته ورمز " العندليب والوردة " من الرموز المتداولة لذى اصحاب التجارب الصوفية عند الفرس والعرب والهنود وهذه الرمزية قد تأتي مفصلة وقد يكتفي باللمح والإشارة . إن هذه العبارات المجازية المشهورة المستخدمة في الأعمال الصوفية هي سهلة الفهم والإدراك وبها شفافية تامة ناتجة عن معناها العميق، وهي منتشرة

[1] -حسن الآمراني ، بحوث بعنوان ، النورسي أديب الانسانية ، جامعة محمد الاول ، وجدة ، المغرب
[2] النورسي أديبا ، بأقلام نخبة من المفكرين ، ندوة سعيد النورسي أديبا بكلية الآداب والعلوم الانسانية ، الدار البيضاء المغرب ، يومي 18/17/ .2003.مختبر تحليل الخطاب بكلية الآداب والعلوم الانسانية /ابن مسيك –الدر البيضاء .ص 27.

بشكل أو بآخر في كل الربوع الإسلامية. -يعدوا الرمز أن يكون فعلا كلاميا قوليا بل، يتجاوز ذلك إلى أفعال مختلفة –

فرمزية : وردة /بلبل –الموحاة من عالم الشعر الفارسي المصقول بدقة – تشير إلى النفس البشرية التي تطمح بلا انقطاع، إلى عودتها إلى موطنها الإلهي الذي فارقته منذ زمن بعيد وتمجد كماله وجلاله .

يتمتع (البلبل أو العندليب) بشهرة عظيمة في كل أنحاء العالم لتغريده الذي وصفه كل من أصغى إليه بأنه غاية الكمال، هذا العصفور الذي جعله الشعراء من العالم كله معنى الحب .[1]

و(العندليب والبلبل)) هو العاشق المتيم و " الوردة" هي المعشوق العلوي **العندليب** هو المريد **والوردة** هي الحقيقة المنشودة التي يكابد العاشق، والمريد من أجلها الأهوال، ومن الذين ترددت عندهم هذه الرموز شاعر الإسلام في الهند **'محمد إقبال'** .

يعالج **'النورسي'** في آخر المثنوي قصة **العندليب** و**الوردة** فيشرح فلسفتها. يقول : " إن العندليب المشهور بالعشق للوردة يستخدمه فاطره الحكيم لإعلان المناسبة الشديدة بين طوائف النبات وقبائل الحيوان .فالعندليب خطيب رباني من طرف الحيوانات –التي هي ضيوف الرحمان – وموظف لإعلان السرور بهدايا رازقها ، ولإظهار حسن الاستقبال للنباتات المرسلة لإمداد أبناء جنسه، ولبيان احتياج نوعه البالغ ذلك الاحتياج إلى درجة العشق، على رؤوس جميلات النباتات، ولتقدم ألطف شكر في ألطف شوق لجناب مالك الملك ذي الجلال والجمال والإكرام .."[2]

هذا الخطيب الرباني الذي هو العندليب، ليس غير وجه من أوجه مظاهر التسبيح الكوني، إذ سيصير لكل نوع من المخلوقات عندليبه كيف يعلن عن مظاهر الإنعام، وكيف يجعل التسبيح طريقا إلى ذلك ومازالت منازل العنادل تترقى حتى نصل إلى محمد عليه الصلاة والسلام سيد ولد آدم.

---

[1] -جورج غريغوري ، رموز صوفية وشعرية عند بديع الزمان سعيد النورسي ، البلبل والوردة ، ندوة تحت عنوان النورسي أديبا ، المنعقدة في الدار البيضاء،سوز للطبعة والنشر ، ط1، 2003،
[2]- النورسي : المثنوي العربي النوري، مرجع سابق / 454.

ويقول **'النورسي'** أيضا: "ولا تحسبن أن هذه الوظيفة الربانية في الإعلان والدلالية والتغني لذوي الأسماع بهزجات التسبيخ مخصوصة بالعندليب، بل كل نوع من عندليب يمثل ألطف حسيات ذلك النوع بالطف تسبيح ... وأفضل جميع الأنواع واشرف عندليبها وأنورها وأبهرها وأعظمها وأكرمها وأعلاها صوتا وأجلها نعتا وأتمها ذكرا ، وأعمها شكرا ، عندليب نوع البشر في بستان الكائنات ، حتى صار بلطيفات سجعاته بلبل جميع الموجودات في الأرض والسموات ، عليه وعلى أمثاله أفضل الصلوات وأجمل التسليمات "[1]

البلبل بحبه الشديد يصبح عند **'النورسي'** الرمز المطلق للحب وخصوصا حب اللّٰه، ذلك الحب الذي تعبر عنه كل الموجودات بمجرد وجودها:

"بل كل نوع له عندليب يمثل ألطف حسيات ذلك النوع بألطف تسبيح في ألطف تسجيع. لا سيما في أنواع الهوام والحشرات"[2].

أما الإنسان الذي خلقه اللّٰه خليفة له في الأرض فهو أفضل ما يكون في التعبير عن حبه الشديد للّٰه:

"وأفضل جميع الأنواع وأشرف عندليبها وأنورها وأبهرها وأعظمها وأكرمها وأعلاها صوتا وأجلاها نعتا وأتمّها ذكرا وأعمّها شكرا، عندليب نوع البشر في بستان الكائنات حتى صار بلطيفات سجعاته بلبلَ جميع الموجودات في الأرض والسماوات."[3]

انطلاقا من رمزية الثنائي البلبل/الوردة –وهما المظهران الماديان لمفهومين مجردين: الحب والجمال– يؤكد النورسي على أن الحب مرتبط بالجمال ارتباط المعلول بالعلة. هذا الرمز فعل لغوي جامع لكل معاني الحب والجمال . وتبلورت هذه الفكرة انطلاقا من هذا الحديث النبوي الذي أخرجه مسلم في صحيحه عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ عَنْ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ

[1]- النورسي: المثنوي العربي النوري، مرجع سابق، ص 478.
[2] -المرجع نفسه. ص 479.
[3] -المرجع نفسه ص .: 480.

قَالَ رَجُلٌ إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً قَالَ إِنَّ اللّٰهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ.

فالخالق –الحب والجمال يعدّان من صفاته الخالدة حسب الحديث المذكور أعلاه– وضع في كل كائناته شيئا من الجمال كما غرس في ذات كل كائن بذرة الحب إلى الجمال مثال ذلك البلبل ومحبوبته الوردة كما يصفهما **'سعيد النورسي'**:

"أفلا تعقل أن من نوّر ما تحبه بنور الحسن هو الذي نوّر كل أزاهير بستان الكائنات وشوّق عليها قلوب البلابل العاشقين"[1]

ومن الضروري أن نشير من البداية إلى أن أسلوب سعيد النورسي أسلوب سهل الفهم وجذاب وفي نفس الوقت يتميز بقدرة إقناعية عجيبة. ينبغي أن نذكر أنه استخدم الأسلوب البسيط المقنع كوسيلة لمعالجة مسائل زمانه الحادة الناتجة –في أغلبيتها– عن الضغط الغربي على المجتمع الإسلامي، من تسرب الفلسفة المادية إلى تراكيب الحياة الإسلامية ودفعتها إلى نسيان خصوصياتها الثقافية والحضارية. إن الخطر كان كبيرا جدا. ففي هذه الظروف، **'النورسي'** ما كتب شعرا –إلا في "المثنوي العربي النوري"– وما كان ينوي ذلك ولكنه وجه كلامه إلى العقل والى القلب في نفس الوقت.[2]

والراجح عندي في هذا المقام أنّ **النورس**ي خاطب في كتاباته الذات الإنسانية، والذات الإنسانية تكمن في اللب كما ورد في الآية المئة والتسعين من سورة آل عمران: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لأُولِي الأَلْبَابِ﴾.آل عمران:190

اختيار **'النورسي'** للبلبل أو العندليب دون سواه من الطير لما له من دلالات عميقة في محور المعاني التي أراد أن يقدمها لنا، هي الشكر لله والثناء عليه والتسبيح له وتبيان ماكنة محمد عليه الصلاة والسلام في

---

[1] **النورسي، ، المثنوي العربي النوري ، مرجع سابق . ص.: 292.**

[2] **http://www.iikv.org/ الثنائي البلبل والوردة تعبيرا عن الحب القائم بين الخالق والمخلوقات في كتابات النورسي . جورج غريغوري.**

هذا الوجود المسبح لله الشاكر لأنعمه، باعتباره ذلك الصداح بنغمات جميع الموجودات في الارض والسماوات ..باعث الاشواق إلى الله ..وحادي القلوب والأرواح إلى بارئها .. المغرد بالقرآن والصدّاح بآيات الله " [1]

في اختيار **'النورسي'** للعندليب دلالة على أنه يتحدث عن عوالم قائمة بالذات بما حباها به الله من قوة وجمال، ولعل المراد بالحديث عن هذه العوالم يحيلنا إلى مسألة مهمة وهي أن هذه المخلوقات أمم كما قال سبحانه وتعالى " وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم / الأنعام: 38 " [2]

وقد لجأ المؤلفون إلى أسلوب الحوار مع البلبل ومن جملة ما يبينه الحوار مع البلبل :

أن هذا البلبل ربما يقول أشياء لا ترقى إلى فهمها : " وربما أنت تقول أشياء أخرى لا نرقى إلى فهمها وتودع أذن الكون رسائل لا ندرك كنهها ولا نعلم سرها .."[3]

ربما لا يفهم البلبل مقاصد ما يرديه " وربما أنت نفسك لا تفهم مقاصد ما تؤديه ، ولا تدرك مغازي ما تفعله ولكنك رغم ذلك سعيد بعملك .

يجعل **'النورسي'** لكل عالم بلابله التي تسبح الله عز وجل بلغتها الخاصة وفق تناسق وتدبير دقيق من الله عز وجل والرسول عليه الصلاة والسلام هو أفضل المسبحين، والمرشدين والأقطاب عند **'النورسي'** هم بلابل يسبحون الله عز وجل .

4-2-رمزية المرآة :

تعتبر صورة المرآة من الرموز المعروفة والمتخذة عند الفلاسفة والشعراء منذ القديم، فالمرآة تعكس الجواهر والحقائق في بعض الأحيان، ولكنها لا تعكس غير الصور والأعراض في أحيان أخرى .

[1] إسماعيل إسماعيلي علوي ، الجمال المعنوي والفني من خلال البلبل ، مقال مقدم ، لندوة ، النورسي أديبا ، باقلام نخبة من المفكرين ، ندوة سعيد النورسي أديبا بكلية الاداب والعلوم الإنسانية ، بن مسيك ، الدار البيضاء المغرب ، يومي 18/17/ .2003. ص 35..

[2] النورسي :المثنوي العربي ، المرجع السابق ، ص 390.

[3] أديب ابراهيم الدباغ ، سعيد النورسي رجل الايمان في محنة الطغيان ،أنوار للنشر ، استنبول ، دت ، ص 135.

وقد عرض الشعراء المتصوفة لهذا الرمز، واستعملوه إما بدلالات قريبة أو بأخرى بعيدة، إن المرآة لا تعد أن تكون جسر إلى معرفة الذات .كما قال نظرت إلى نفسي في المرآة ومن المشاط سمعت مئات العظات.[1]

وقد وجد الشعراء ما يريد كلامه من حديث الرسول عليه الصلاة والسلام حيث قال :"المؤمن مرآة أخيه "[2] وقد امتصه **'جلال الدين الرومي'** في إحدى مثنوياته وقد اختار لها المرآة "

راقت صورة المرآة بدلالاتها، **'بديع الزمان'** فاستعملها كثيرا، ومنهجه في ذلك أن يسوق الصورة التي يريد من عالم الشهادة، لتتفتح بعد ذلك بصائر الناس وترى ما ترمز إليه تلك الصورة في عالم الغيب ، ومن ذلك قوله : " اعلم يا قلب أن الأبله الذي لا يعرف الشمس إذا رأى في مرآة تمثال شمس، لا يحب إلا المرآة ولا تفنى بانكسارها، توجه بتمام محبته إلى الشمس، إذ ما يشاهد في المرآة ليس بقائم بها ، بل هو قيومها، يا هذا قلبك وهويتك مرآة ، فما في فطرتك من حب البقاء ليس لأجلها بل لأجل ما فيها "[3] فالمرآة إذن عاكسة للحقائق، لا للأوهام، إلا أن التعلق لا ينبغي أن يكون بما تعكسه المرآة بل بما يدل عليه ما تعكسه، لأن العاكس والمعكوس في نهاية الرمز معرضان للفناء ولا يبقى إلا الحق . ويؤكد هذا ما قاله **'سعيد النورسي'** : " إنك ودنياك في معرض الزوال والفناء في كل آن ، فمثلك في هذا الغلط كمثل من في يده مرآة متقابلة لمنزل أو بلد أو حديقة ارتسمت هي فيها ، ففي أدنى حركة للمرآة وتغيرها يحصل الهرج والمرج في تلك التي اطمأننت بها .وأما بقاؤك في أنفسها فلا يفيدك، إذ ليس لك منها إلا ما تعطيك مرآتك بمقياسها وميزانها ، فتأمل في مرآتك وإمكان موتها وخراب ما فيه في كل دقيقة ، فلا تحمل عليها ملا طاقة لها به .."[4]

---

[1] ـ المرجع السابق، ص 479.
[2] أخرجه البخاري في الأدب المفرد
[3] ـالنورسي : المثنوي العربي النوري ، 263.
[4] ـالمرجع نفسه ، ص 263.

4-3-رمزية الشمس :

من أكثر الرموز دورانا على لسان **'النورسي'**، ومعلوم أن رمز الشمس ارتبط في الخطاب الصوفي، والمرأة والشمس كلاهما في المصدر الصوفي يؤولان إلى مصدر الوجود، إلى الخصوبة المطلقة، وإن كانت رمزية المرأة تكاد تكون غائبة في خطابات **'النورسي'**، لإن رمزية العشق حاضرة بصور متعددة وفي أساليب مختلفة وإن كانت في أكثرها متعلقة بمنشئ الخلق سبحانه، مما يضفي نوعا من التنزيه عنده، لا نجده عند غيره إلا بعد الركون إلى التأويل والاجتهاد، لقد استعمل **'النورسي'** الشمس في رموز كثيرة إلا أنه لا يقف به حيث وقف من سابقوه، ولا يستهويه ربطه بالمرأة وبالأنوثة بصفة عامة، بل يتجه به مباشرة إلى كل جميل جمالا أزليا، وكل جليل جلال مطلقا، إذ هو دائم التعلق بالباقي محترز من التعلق بالفاني .

ذلك " أن الجمال الدائم لا يرضى بالمشتاق الزائل " ولذك فإن التوحيد شمس " **تريد أن تقابل الشمس جهاتك الستة فإما أن تتحول أنت بلا كلفة فيحصل المقصود ، وإما أن تكلف الشمس قطع مسافة مدهشة لمقصد جزئي فالأول مثال التوحيد سهولة والثاني مثال الشرك** [1]" **والقرآن شمس أثمرت سيارات الأركان الاسلامية الاحد عشر** "[2]

والنبوة شمس " يقول " النبوة نواة أنبتت شجرة الإسلامية بأزاهيرها وثمراتها [3]، والعالم الصالح شمس " نرى كل عصر نمر عليه قد انفتحت أزاهيره بشمس عصر السعادة وأثمر كل عصر من أمثال أبي حنيفة الشافعي وابي يزيد البسطامي .[4] وهو سبحانه كالشمس قريبا منا ... ونحن بعيدون عنه جلّ جلاله "[5]

يبدو جليا من خلال خطابات **'النورسي'** أنه يعتمد على الرمز كأسلوب يميز فيه بين تجربته وتجربة المتصوفة في استعمال الرموز، **'النورسي'** يرى أن خطاباته صعبة الفهم وهذا هو حال الكثير من الصوفية

[1] -النورسي : المثنوي العربي النوري ، ص 167.
[2] -المرجع نفسه ، ص 176
[3] -المرجع نفسه ، ص 176.
[4] -المرجع نفسه ، ص 64.
[5]- المرجع نفسه، ص 209 /228/227.

يرون أن العلوم المستفادة في طريقهم علوم خاصة لا يمكن إيداعها إلا لمن هو أهل لها فنراهم يجعلونها خفية على عامة الناس .

يقول **'ابو حيان التوحيدي'** في هذا : " أما الإشارة المدفونة بالعبارة فهي التي تحافت عنها لأنها استصحبت تركيب الحروف ، ولطفت الإشارة عنها لأنها تنزهت هما يتحكم في الأسماء والافعال والظروف وأما الإيماء الذي في الإيحاء فسر حرّم إعلانه في الثاني لما وجب كتمانه في الأول " [1]

بمعنى أن الكتمان والسر هو سبب اللجوء إلى الإيماء والإيحاء .

نستنتج أن 'سعيد النورسي' قد مارس الرمز والستر مخافة العنف المادي والمعوي المفروض عليه في تلك المرحلة، كما أنه أراد إبطال بعض الرموز عند الصوفية وجعلها في سياق التوحيد الحقيقي .

كما لا يخفى على أحد أن الصوفية استعملوا لغة خاصة بهم إذ أنهم يرون أن لكل علم مصطلحاته ومصطلحاتهم هي لغة خاصة تستوعب أذواقهم من جهة وتسترها على من باينهم من جهة أخرى .

كما أن العلاقة بين الرمز والمرموز إليه تعتبر إشكالية في الخطاب الصوفي؛ لأن منطلقهم هو أن اللغة العادية لا يمكن أن تعبر على التجربة الصوفية وروحانيتها، إلا أن الناظر إلى رسائل المثنوي العربي يجد أن بديع الزمان يعبر بلغة بسيطة عن تجارب صعبة المنال عند الكثير من الصوفية .كما أن ذوقية المعاني تجعل من اللغة العادية غير قادرة على التعبير عن مواجيد الصوفية، وللتخلص من هذا القيد في خطاباتهم استعاضوا عنها بنظام لغوي يتماشى مع تلك المواجيد إلا أن الناظر لخطابات 'سعيد النورسي' يجد أنه استحدث رموز خاصة به، وهذا من عبقريته اللغوية وطبيعته الموسوعية .

لقد اهتم 'النورسي' بالتعبير عن أسرار الكون والوجود، وما وراء الطبيعة وعالم الأفكار والمشاعر الغامضة والشعور الداخلي وكان في متن كتابه المثنوي ضد التقريرية والخطابية، وقد اعتمد على خاصية المزج بين الحواس والدمج بين وظائفها، وهذا المزج وجد لنقل تجربة متولدة عن الباطن والظاهر .

[1]- أبو حيان التوحيدي الإشارات الإلهية ، مرجع سابق ، ص 61.

ما يجب توكيده والاشارة إليه هو أن الرمز الصوفي لم ينطبق تماما على معنى الرمز الفني، لافتقاره إلى الايحاء والتلقائية، وكثرة التأويل .[1]

إلا أننا نجد **'النورسي'** كان سباقا في الأخذ من التيار الرمزي بحكم جدلية التأثير والتأثر الموجودة عنده وهذا يدل على أنه مضطلع لنماذج من الرمزية الحديثة .

ومن الرموز التي اعتمد عليها **'النورسي'** رموز الطبيعة **'فالنورسي'** يدعوا إلى أن نرفع رؤوسنا ونحنيها لمنظار القلب لنرى حقيقة تكمن في أن كل ما شهدنا وأحببنا إنما هو من آيات نعم الله عز وجل، ويفرق **'النورسي'** بين الحسن والجمال فآيات الجمال في تزيينه السماء بمصابيح والأرض بأزاهير وآيات الحسن أن خلق الإنسان في أحسن تقويم وكتب الكون على أحسن ترقيم .[2]

4-4-بعض الرموز التي استعملها النورسي وحدد معانيها للمتلقي :

نضرب من ذلك على سبيل المثال قصة الأخوان التي سردها **'النورسي'** ثمّ فكك رموزها

من بين الرموز التي استعملها هي :

الأخوان : الروح المؤمنة والكافرة والقلب الصالح والفاسق

الطريقان : طريق القرآن وطريق الغيمان ، وطريق العصيان والطغيان

الصحراء : الدنيا

الأسد : الموت

[1]- زبيدة بوغواص ، مرجع سابق ص /40/35 بتصرف ...
[2] محمد خروبات ، الجمالية والجمال ، عند بديع الزمان سعيد النورسي ، ندوة النورسي أديب ، بن مسيك ، الدار البيضاء المغرب ، 2003 ، ص 48.

البئر : البدن والحياة أما الشجر فالعمر ، أما الفأرتان السوداء والبيضاء : النهار والليل ، أما الثعبان **فالبرزخ** ، أما الحشرات فالموصيبات، أما الثمرات فالنعم الدنيوية، أما المسمومة منها فالمحرمات وأما **الطلسم** : فسر حكمة الخلقة .[1]

المبحث الثالث : تفكيك البنية الاستعارية في الخطاب النورسي .

قضية المعنى من القضايا التي حيّرت اللغويين، فعلم الدلالة علم يهتم باستخراج المعنى الكامن خلف التراكيب والمفردات.[2] وما يميز بين الدلالة والتداولية هو ما يعرف بالكفاءة والأداء، فالدلالة تصنف ضمن القدرة (معرفة اللغة) أي الكفاءة، بينما تصنف التداولية ضمن الأداء، وهو مذهب ذهب إليه **'جون ليونز'** حيث قال: " ...أما التداولية فتصنف ضمن الشق الثاني المتضمن للأداء- الانجاز واستخدام اللغة"[3]

حدد مفهوم الاستعارة في الموروث البلاغي العربي في ضوء مفهوم الانزياح والانحراف، وقد أصبح ينظر إليها على أنها علاقة لغوية تعتمد على الاستبدال، أو الانتقال بين الدلالات، أو تعليق للعبارات على غير ما وضعت له في أصل اللغة، على جهة النقل أو الانزياح. ولقد احتلت الاستعارة مكانة كبيرة في الدراسات (الفكرية والفلسفية والأدبية والبلاغية) نظرا لارتباطها باستعمال اللغة وفق سياقات مختلفة، الأمر الذي يجعلها حاضرة في إدراك الخطاب ولغته، ومسهمة في تشكيل صورته المعرفية.

السؤال الذي يطرح نفسه : ما مدى المقاربة التداولية للنصوص المعاصرة المبنية على عنصر " التَخْييل" أو " التخيّل" ، عِلْماً أن المقاربة التداولية في أصلها تتمّ على مستوى النّصوص الواقعية ؟ للإجابة عن هذا التساؤل سقنا العناصر الآتية توضيحا وتبينا .

---

[1] النورسي ، المثنوي العربي النوري ، ص 369-370.
[2] سعاد حميتي : مرجع سابق ، ص 60.
[3] جون ليونز : اللغة المعنى والسايق ، تر عباس صادق الوهاب ، سلسلة المائة كتاب ، دار الشؤون الثقافية العامة ، وزارة الثقافة والإعلام ، بغداد ، العراق ، ط1 1987 ، ص 30.

1/الاستعارة في البلاغة العربية القديمة:

للتداولية علاقات وطيدة مع علوم البلاغة كونها تنظر إلى النص بأنه رسالة تواصلية بين المرسل والمرسل إليه، ونحن نقرأ على "**ابن المقفع**" عندما سئل عن علم البلاغة فأخذ يمزج في تعريفه بين علم البلاغة وعلوم شتى يقول :" **البلاغة علم جامع لمعان ترجي في وجوه كثيرة فمنها ما يكون في السكون ومنها ما يكون في الاستماع ومنها ما يكون في الإشارة ومنها ما يكون في الحديث ، ومنها ما يكون في الاحتجاج ، ومنها ما يكون جوابا ومنها ما يكون ابتداء ومنها ما يكون شعرا ومنها ما يكون سجعا وخطبا ومنها ما يكون رسائل فعامّة ما يكون من هذه الرسائل الوحي فيها الإشارة إلى المعنى والإيجاز هو البلاغة** ".[1]

فالبلاغة تقوم على مبدأ التبليغ والتأثير في السامع أثناء عملية التواصل إضافة إلى الايجاز و التخييل .

أول من تطرق إلى تعريف الاستعارة هو **'الجاحظ'** (ت 200 هـ) في كتابه " **البيان و التبيين** "، و تعريفه أقرب إلى المعنى اللغوي منه إلى الأدبي، فذهب إلى أن الاستعارة هي: " **تسمية الشيء باسم غيره إذا قام مقامه** ".[2]

فالاستعارة مجاز علاقته المشابهة و كلمة التشبيه ترد عند تحليل الاستعارة أو إجرائها، ثم هي في حقيقتها تشبيه حذف أحد طرفيه بعكس الكناية التي تفهم من سياق الكلام وهي معنى المعنى.

تعريف **'الجاحظ'** للاستعارة، تعريف ليس فيه حصر لأنواعها، و قد تبعه في ذلك البلاغيون الأوائل كـ " ابن قتيبة "(ت276) هـ " و المبرد " (ت285) هـ " و ابن المعتز " (ت296) هـ و غيرهم.

---

[1] باسم خيري خضير ، استراتيجيات الخطاب عند الامام علي ، ط1 ، مؤسسة علوم نهج البلاغة ، 2016 ، العراق ، ص 18.

[2] -الجاحظ، البيان و التبيين، تح: عبد السلام محمد هارون، نشر مكتبة الخانجي، القاهرة، ط5 ،1986،ج1 ،ص: 153 .

أخذ البحث في الاستعارة يزداد عمقا و تنضج معالم الاستعارة الفنية، و انصب البحث في تحديد خصائصها و مكوناتها الأساسية، و نرى ذلك واضحا عند " القاضي الجرجاني " (ت392) هـ حين قال: " الاستعارة ما اكتفى فيها بالاسم المستعار عن الأصل، و نقلت العبارة فجعلت مكان غيرها، و ملاكها تقريب الشبه، و مناسبة المستعار له للمستعار منه و امتزاج اللفظ بالمعنى حتى لا يوجد منافرة بينهما، و لا يتبين في أحدهما إعراض عن الآخر ".[1]

و بحث " أبو هلال العسكري " (ت395 هـ) في الاستعارة، فأراد تعريفها و النظر في وظيفتها داخل النص الأدبي فذهب إلى أن " الاستعارة نقل العبارة عن موضع استعمالها في أصل اللغة إلى غيره لغرض، و ذلك الغرض إما أن يكون شرح المعنى و فضل الإبانة عنه، أو تأكيده و المبالغة فيه، أو الإشارة إليه بالقليل من اللفظ، أو تحسين المعرض الذي يبرز فيه، و هذه الأوصاف موجودة في الاستعارة المصيبة، و لولا أن الاستعارة المصيبة تتضمن ما لا تتضمنه الحقيقة من زيادة فائدة لكانت الحقيقة أولى منها استعمالا "[2]

اتضح مفهوم الاستعارة عند " عبد القاهر الجرجاني (" ت471 هـ) إذ عرفها بقوله: " الاستعارة أن تريد تشبيه الشيء بالشيء و تظهره، و تجيء إلى اسم المشبه به فتعيره المشبه و تجريه عليه. [3]

فالاستعارة عند العرب ضرب من المجاز اللغوي علاقته المشابهة دائما بين المعنى الحقيقي و المعنى لمجازي [4]

بحث البلاغيون العلاقة بين التشبيه و الاستعارة بتفصيل، و وصلوا في بحوثهم إلى حد الإيغال، و بهذا أرادوا التوصل إلى الخيط الفاصل بين الاثنين، على أن الذي يجلي الأمر في هذه الحالة هو التطبيق، و تساوق المعنى في بناء العبارة الأدبية، فما صرح به الشاعر بالأداة فهو تشبيه لا محالة، و ما أبعد الأمر في

[1]- ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، تح: السيد أحمد الصقر، المكتبة العلمية، ط3 ،بيروت، 1981 ،ص: 135 .
[2]- القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني، الوساطة بين المتنبي و خصومه، تح: محمد أبي الفضل إبراهيم و علي محمدالبجاوي ، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، ص: . 41
[3] -عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، تح : ريتر، مطبعة وزارة المعارف،ج1 ،اسطنبول، 1954م، ص: 123 .
[4] -عبد العزيز عتيق، علم البيان، دار النهضة للنشر، بيروت، ص: 174 .

رأياه إذا انتقل المعنى من حالة معنوية إلى حالة حسية، و خفي المدلول التشبيهي، و من ثم يبرز لنا إيحاء المعنى الدلالي للألفاظ، و نستطيع بإدراك الصورة أن نحدد أبعاد الاستعارة [1]

2/ الاستعارة في الدراسات الغربية الحديثة :

أشار العديد من الباحثين إلى أهمية عنصر التداول في اشتغال الاستعارة و نموها فهي تلح في تركيبها على حضور متزامن للمتكلم و المخاطب و مقام الكلام، بحيث من خلال تفاعل و تحاج كل هذه الأطراف، يكون المعنى و يتبلور الهدف.[2]

لعل دراسة الاستعارة من منظور تداولي يثري الدراسات الحديثة للاستعارة بما يقدم من زوايا بحثية لم تلتفت إليها الدراسات الاستعارية من أمثال النظرية التفاعلية والنظرية التواصلية ، التي تهتم بدراسة الاستعارة معزولة عن سياقها التواصلي، ذلك لأن الرؤية التداولية تتعامل مع الاستعارة في سياقها الواقعي ، إن دراسة الاستعارة في كتاب المثنوي العربي النوري، يتيح لنا أن نفهم رسائله بكونها وسيلة تواصلية – هذا بما تحمله الاستعارة– ويأتي التمييز بين المعنى الحرفي (معنى الجملة، المعنى النحوي) والمعنى التداولي (المعنى السياقي معنى المتكلم) بمثابة الفكرة الأم التي تجمع بين القضايا المثارة في دراسة الاستعارة وفق رؤية تداولية في المثنوي العربي النوري .

من النقاد من جعل الاستعارة شرط في الشعر فعليها مدار القول .

جاءت معالجة "**سيرل**" للاستعارة من خلال عرضه للتمييز التداولي بين المعنى النحوي والمعنى التداولي الذي يتخذ قصد المتكلم أساسا له ويمضي "**سيرل**" في تقسيم المنطوق الاستعاري إلى ثلاثة أنواع :

---

[1] -عبد الرحمان شهاب، " الاستعارة في البحث البلاغي، المفهوم الوصفي الاصطلاحي "، مجلة كلية الآداب، الجامعة المستنصرية، العدد: 05 ،1980 ،ص: 207 .

[2] -سعيد الحنصالي، الاستعارات و الشعر العربي الحديث، ط1 ،دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب . : ، 2008 ص: 149

-المنطوق الاستعاري البسيط: فيه تقوم الاستعارة على الإبدال المحدد لكلمة بكلمة أخرى ، أي كلمة ملفوظة بأخرى مضمرة، وتمثل المقصود المجازي، أو قصد المتكلم .

-المنطوق الاستعاري غير المحدد، يتسم باتساع مجال المعاني التي يحتملها المنطوق الاستعاري، إذ لا يحدد المضمر هنا كلمة واحدة، بل يتشعب بين عدة دلالات يحتملها البعد المجازي الاستعاري .

-الاستعارة الميتة وفيها يهمل المعنى الأصلي للملفوظ ليكون المعنى المجازي الاستعاري هو الملفوظ .[1]

وبذلك يولي "**جون سيرل**" التمييز بين المعنى الحرفي ومعنى المتكلم أهمية في دراسة المنطوق الاستعاري، والاستعارة عنده هي تفسير الكيفية التي ينعزل فيها معنى المتكلم عن معنى الجملة أو الكلمة وهي بالمعنى البسيط كيف نقول شيئا ونعني شيئا آخر، فقد فرق بين معنى المتكلم ومعنى الجملة في عرضه الاستعاري من منظور التداولية، ورأى بذلك أنه في حالة مطابقة المعنى الحرفي لجملة لمقصد المتكلم فإن المنطوق نفسه يعد منطوقا حرفيا؛ أي غير محمل بمقاصد وراء التركيب النحوي الذي يتلفظ به المتكلم فهو يفرق بين المنطوق الحرفي والمنطوق الاستعاري.[2]

ينطلق "**سيرل** "من أهمية الوقوف على تفسير المنطوق الحرفي بوصفه الحلقة الأولى في تفسير المنطوق الاستعاري، ولكي تنتقل المنطوقات الحرفية إلى منطوقات استعارية يجب أن تكون هناك قرينة مرتبطة بسياقها، ومثال ذلك الجمل الآتية :

" **إن الحرارة تشتد هنا** " فمعناها الحرفي المباشرة هو الإخباري عن اشتداد الحرارة ومن الممكن أن تتعد المعنى الحرفي إلى الفعل الكلامي غير المباشر أو المعاني المضمرة التي قال بها "**غرايس**" ، فقد تكون للتهكم

[1]-عيد بلبع ، الرؤية التداولية للاستعارة ، مجلة علامات العدد 23 ، جامعة المنوفية ، مصر ، ص 99
[2]- John R. Searl : Metaphor , P 92

عندما تستخدم لشدة البرودة، أو إخبار لشخص بفتح الباب، وبالمعنى الاستعاري مثلا أن المناقشة أصبحت أكثر حدة .[1]

أرسى (**بنفنيست** . **Benveniste. e**) نظريته في التلفظ، و هو يعني بذلك الفعل الذاتي في استعمال اللغة كمقابل للملفوظ باعتباره منغلقا عن الذات التي أنتجته، و بهذا أتاح دراسة تجلي اللسان في عملية التواصل و وظائف اللغة .

هنا يرتبط الخطاب بمنتجه، فيغدو لكل فرد طريقة للتعبير عن أهدافه ومقاصده، التي تتنوع و تتعدد إننا نجد " نفس الموضوع و نفس الأصوات لكن لا يعاد إنتاجها بنفس الطريقة عند الفرد نفسه حتى و إن تكررت عملية التلفظ بكل تفاصيلها .[2] ويرى "**بنفينست**" وجوب استحضار معينات للفهم. يقول **'الخطابي '**: " إن هناك بعض الحدود اللغوية التي تتطلب معلومات سياقية أثناء التأويل، و من هذه الحدود المعينات مثل: (هنا، الآن، أنا، أنت، هذا، ذاك)، فمن أجل تأويل هذه العناصر حين ترد في خطاب ما، من الضروري أن نعرف (على الأقل) من هو المتكلم و من هو المستمع، و زمان إنتاج الخطاب. "[3]

يتحدث" **أمبيرتو إيكو** "على مقبولية الاستعارة أي يقف عند الوجه التداولي للاستعارة، فيطرح مسألة مقبوليتها لا من حيث حدودها الصدقية أو إمكانية استخراج دلالات صادقة من الملفوظ الاستعاري، إنما تتعلق مسألة المقبولية عنده بإمكانية خضوعها لقواعد المحادثة.[4]

[1] -انظر عيد بلبع ، الرؤية التداولية للاستعارة ، مرجع سابق ص 101. بتصرف

[2] -Emile Benveniste, problème de linguistique général, t02, Gallimard, paris, 1974, p : 83

[3] -حمد خطابي، لسانيات النص (مدخل إلى انسجام الخطاب)، ط2 ،المركز الثقافي العربي، المغرب، 2006 ،ص: 297.

[4]- أمبيرتو إيكو، التأويل بين السيميائيات و التفكيكية، تر: سعيد الغانمي، ط1 ،المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء 2000 ، ص . 237 - 238

عرف المبدأ التداولي للتخاطب باسم **'مبدأ التعاون'** الذي ورد عند الفيلسوف الأمريكي

" **بول غرايس** "، وضع مجموعة من قواعد التخاطب يمكن تلخيصها فيما يلي: [1]

أ– قاعدتا كم الخبر و هما :

~ ليكن إفادتك المخاطب على قدر حاجته .

~ لا تجعل إفادتك تتعدى القدر المطلوب .

ب) قاعدتا كيف الخبر و هما :

~لا تقل ما تعلم كذبه .

~ لا تقل ما ليست لك عليه نيّة .

ج) قاعدة علاقة الخبر بمقتضى الحال و هي :

~ ليناسب مقالك مقامك .

) د) قواعد جهة الخبر و هي :

~ لتحترز من الالتباس .

~ لتحترز من الإجمال .

~ لتتكلم بإيجاز .

~ لترتب كلامك

لقد أريد بهذه القواعد التخاطبية أن تنزل منزلة الضوابط التي تضمن لكل مخاطبة إفادة، غير أن إخضاع الاستعارة لهذه القواعد التخاطبية يجعلنا نفكر في كيفية اختراقها لهذه القواعد، فنجد أن النشاط الاستعاري ينتهك **مبدأ الكم** – حتى يختصر ويكون هناك إيجاز – الذي يلح على ضرورة أن تكون

[1] **-طه عبد الرحمان، اللسان و الميزان أو التكوثر العقلي، ط1 ،المركز الثقافي العربي، 1998 ،ص: 238** .

المساهمة المعلوماتية لا تتعدى القدر المطلوب، إنما تكون وفق ما تستلزمه وضعية التبادل، في حين أن الاستعارة تتعدى حدود هذا القدر و ذلك لانفتاحها، و خضوعها للتأويل؛ كما أنها تخرق **قاعدة الكيف** الذي يستلزم الصدق و النية، في تبليغ المعلومات فهي تأتي لتراوغ هذه النية فتخرق بذلك قاعدة العلاقة أو المناسبة – تأتي بعلاقة جديدة هي علاقة المشابهة – فتجسد وتشخص وتوضح – وهو ضرورة أن يناسب الحديث الهدف الذي يرمي إليه، ومثال ذلك أن نقول "مشت الأشجار " الأشجار لا تمشي ، الإنسان هو الذي يمشي ولهذا نقول شخصنا الأشجار فشبهنا الأشجار بالإنسان وتركنا صفة من صفاته وهي المشي، مع خرقها أيضا لمبدأ قواعد الجهة و هو ضرورة الوضوح، و بالتالي يرى **'إيكو '** أن منشأ الاستعارة في الظاهر كاذب، فمن يقوم باستعارة فهو في الظاهر يكذب و يتكلم بطريقة غامضة و ملتبسة، و تبعا لذلك فعندما يتكلم شخص ما منتهكا جميع هذه القواعد و يفعل ذلك بطريقة لا تجعلنا نظن أنه أحمق أو أخرق، إنما نكون أمام وضع استلزامي فمن الواضح أن المتكلم يريد قصد شيء آخر.

بهذا يظل القول الاستعاري متعلقا بالمتمثلات الذهنية و التجارب الذاتية التي يكونها الإنسان عن العالم انطلاقا من العمليات الشعورية التي تتحول إلى قصد معين، إذ أن كل محاولة لتطبيق قواعد المنطق الشكلي (الوضعي) لقيم الصدق على الاستعارة لا يمكن أن يغير ميكانيزمها الدلالي .

يتضح بذلك أن الاستعارة تستدعي سلسلة من الاستدلالات و التأويلات التي تستند إلى الموسوعة المرتبطة بالنظم الاجتماعية و الثقافية، و تدخل السياق انطلاقا من مقصدية منتجها .[1]

نرى **'النورسي'** في المثنوي العربي **'رسالة لمعات'** يقول: " و **لئلا يرى العقل الظاهري مباشرة يد القدرة بالأمور الخسيسة الجزئية ولكن التوحيد والجلال يردان أيدي الأسباب عن التأثير**

[1] - ينظر :لخذاري سعد ، الاستعارة، وحدة في التسمية و اختلاف في الحدود و المفاهيم ، مجلة الاثر ، العدد 20 جوان 2014 ، جامعة عبد الرحمان ميرا ، الجزائر ، ص 219/218. بتصرف

الحقيقي "[1] في عبارة 'يرى العقل' استعارة مكنية؛ لأنه شخّص لنا العقل فالعقل لا يرى بل الإنسان الذي يرى، فقد شبه العقل بالإنسان وترك لازم من لوازمه وهي الرؤية، نجد عنصر التشخيص بارزا ومبدأ التعاون ظاهر.

فمبدأ التعاون الذي قرره" **غرايس**" يهدف إلى استمرار التواصل بين المرسل والمرسل إليه، مع مراعاة العرف العام الذي تخضع له التعبيرات، بغية تحقيق الفائدة المبتغاة من العملية التخاطبية، ذلك لأن الاستعارة ترتبط باستعمال على وفق سياقات ثقافية وأعراف اجتماعية معينة، هذا ما أكده "**سيرل** "الذي يرى أنه يتوجب في الاستعارات أن تكون متفاهما ومتعارفا عليها من طرف المتكلم والمخاطب؛ ذلك لا يتم إلى عن طريق ما يشتركان فيه من معارف، لذلك يرى (**عيد بلبع**) أن السياق الثقافي يمثل بشكل عام عنصرا تداوليا مهما، في تفسير الاستعارة؛ لا شك أن الاستعمال والتداول فعل جمعي، وليس فعلا فرديا مما يعني أن هناك أنماط ثقافية تتحرك وتتفاعل، بذلك يمكن أن نذهب إلى ما يراه "**عبد الله الغدامي**" أنه من خلال هذا التحرك والتفاعل تنشأ نماذج للقول تسود الخطاب. [2]

يمكن القول أن العلاقة بين المعنى الحرفي والمعنى الاستعاري، لا يكون إلا من خلال أسلوب تعاوني قائم على سنن ثقافي واجتماعي معلوم، فالاستعمال للاستعارة اللغوية يجري وفق قانون الاتفاق الجمعي على الرموز ومدلولاتها .

يقول **'بديع الزمان'** في رشحات القطرة الثانية " وكذا هو لسان الغيب في عالم الشهادة "[3] فالغيب في سياقه الثقافي عند المسلمين معروف، ولو أن رجلا من غير المسلمين سمعه ما عرفه وكذلك عالم الشهادة ،

[1] النورسي: المثنوي العربي النوري ، ص 40.
[2] أنمار ابراهيم أحمد: فاعلية السياق الثقافي في العملية التخاطبية ، مجلة ديالى ، العدد الثاني والسبعون ، 206 ، ص 124.
[3] النورسي: المثنوي العربي النوري ، ص 79.

وهو شبه الغيب بالإنسان، وحذف المشبه به (الإنسان) وأفاد بلازمة من لوازمه على سبيل الاستعارة المكنية، نراها دخلت ضمن سياق ثقافي وقانون جمعي .

ربط "**سيرل**" المقصدية بالاستعارة، وهذا ما تبناه "**غرايس**"، الاستعارة عند " **سيرل** " لا تتعلق بمعنى الجملة، بل بمقصد المتكلم، بهذا يميز في تحليله للاستعارة بين نمطين، يفترض عملية مقارنة لبعض الاستعارات يؤكد بها أو يفسر معنى قول المتكلم، و معنى الجملة ، والنمطين هما :

~ **النمط الأول**: دلالي يركز على تأكيد معنى القول، أو يتضمن بشكل أو بآخر مقارنة ملائمة؛ أي مقارنة مع استعارات أخرى مرتبطة بسياق ما.

~ **النمط الثاني**: تداولي يركز على أن تأويل الاستعارة يمر عبر إجراء مقارن لا يختلف عن الإجراء الذي يحقق مقارنة ملائمة. ثم إن القول بأن العملية التأويلية للاستعارة تعادل الإجراء المقارن يعني أن عملية تأويل الاستعارة، تمر عبر معالجة مكونيها، و البحث عن خصائصهما المشتركة مع تحديد الخصائص التي يقصدها المتكلم حين ينتج قولا استعاريا و هذا التأويل لا يمر دون إثارة مشاكل تأويلية. فيشير " **سيرل** " في تحليله إلى أن معنى قول المتكلم لا يمكن صياغته لسانيا؛ لأنه يتحدث عن الاستعارة باعتبارها تلاؤم قول المتكلم (أي مقصده) أي أن (س) هي (ج) (زيد أسد) و يتدخل التأويل فقط من أجل الوصول إلى معنى القول عن طريق معنى الجملة .[1]

في نفس الاتجاه اعتبر " **أمبريتو إيكو** " أن فهم الاستعارة هو: فهم لماذا اختارها صاحبها. إن بناء العالم الداخلي للمؤلف (باعتباره مؤلفا نموذجيا) هو بناء لفعل التأويل الاستعاري، و ليس واقعا سيكولوجيا (و هو أمر لا يمكن العثور عليه خارج النص) يبرز التأويل ذاته، و بهذا تقود هذه الملاحظة عند " **إيكو** " بالعودة إلى قصدية الباث، غير أنه يؤكد أن قصدية المتكلم لا تكون حاسمة في التعرف

[1] - **لخذاري سعد: مرجع سابق ، ص 220.**

على الطابع الاستعاري لملفوظ ما، بل تستدعي قراءة استعارية بقوة العادة الإيحائية بعيدا عن قصدية المتكلم، و يخلص إلى أن التأويل الاستعاري ينبثق من التفاعل بين المؤول و النص، و لكن نتيجة هذا التأويل تفرضها دائما طبيعة النص و طبيعة الإطار العام للمعارف الموسوعية و التجريبية لثقافة ما.[1]

أما جوليا كريستيفا (**Kristeva. J**) فهي تطرح مسألة الاستعارة من خلال تحديد مفهومها للنص، و الذي تعتبره كإنتاجية، لا يكتفي بتصوير الواقع أو الدلالة عليه، و إنما يشارك في تحريكه و تحويله.[2]

يتحدد نمط الخطاب عند " **كريستيفا** "، سواء كان نصا سرديا أو شعرا، أو أي شكل من أشكال الخطاب وفق ما يؤديه السيميائي و الرمزي من وظيفة خاصة، إن الرمزي كما ترى الباحثة مشدود إلى علاقة " الدال (الكلمة) / و المدلول (التصور) "، حيث تنزاح فيها الذات نحو وضعيات مختلفة للموضوع المتحدث به، و هذه العلاقة ليست اعتباطية عندها؛ و إنما هي علاقة معللة (رمزية)، و عندما نصل إلى تعليل لهذه العلاقة نصل إلى ما تسميه **'كريستيفا'** بالسيميائي.

بهذا نصل إلى أن الاستعارة عند **'كريستيفا'** تحمل كل الشحنات التي تفرضها البنية العائلية و الاجتماعية، و هي علامة لركود الاندفاعات و الميولات التي يتلفظ بها المتكلم تتابعيا إما عن طريق الانزلاق أو عن طريق التكثيف، مما تسمح له باقتصاد ميولاته، إذ أن قسر العائلة و إرغامات البنية الاجتماعية و البيولوجية تعمل علي ركودها و عزلها، فتطرح كل شكل استعارات تجنبا لرقابة المجتمع (باعتبارها مجموعة معبرة متكونة عن طريق كبت النزوات و الميولات، و ركوده).

تغدو الاستعارة وسيلة لتحديد اشتغال البنية الاجتماعية، بكل ما تتضمنه من أنظمة اقتصادية، و

[1] -أمبيرتو إيكو، التأويل بين السيميائيات و التفكيكية: مرجع سابق ، ص: 159 - 160 .
[2]- جوليا كريستيفا، علم النص، تر: فريد الزاهي، ط2 ،دار توبقال للنشر، المغرب، 1997 ،ص: 20

ثقافية، و نفسية، بالتالي يمكن أن نقول عنها بأنها وسيط فعال للكشف عن هذه الأنظمة.[1]

فالبنية الاستعارية هي بنية مغرقة بالمعاني و الدلالات، تترجم التجربة الإنسانية بكل تعقيداتها.

وقد قارب **'أوستين'** التشبيه بطريقة تطبيقية فيرى أن التركيب يشبه (س) يحتاج مع ذلك إلى معالجة خاصة **'**رغم العلاقة الدلالية الرابط بين الجمل **'** (يشبه **س**)و (له نفس مظهر **س**) و (كان **س** كان فعل تام) ذلك أن دوره يتمثل في أنه يفيد الانطباع العام الذي تم عن طريق شيء ما، ورغم أن هذا التركيب يقترب من التركيب (يظهر أنه) " هذا يشبه، ويظهر أنه، بحث جاد " فإنه كثيرا ما يرد أنه لا يفعل ذلك، أي أن الانطباع العام يمكن أن يؤخذ باعتباره أمارة، وكثيرا ما لا يكون ذلك، فالجملة " الأيام الثلاثة الموالية تشبه كابوسا طويلا " لا تعني أنه يظهر أنه كابوس حقيقي ، ولا تعني أن أميل إلى التفكير أنها كانت، (كان فعل تام) كذلك فكل ما تدل عليه العبارة هو أنها تعني أمرا ما، هو أن هذه الأيام الثلاثة تشبه كابوسا، وفي سياق مماثل ينذر أن نفاضل بين "يظهر أنه " وبين "كان فلعا تاما " .

'فأوستن' تناول التشبيه من حيث طاقته التخييلية لا الإحالية، فهو أداة لا تفيد التطابق الواقعي بين المشبه والمشبه به كما لا تدعوا إلى تمثل ذلك التطابق أو الإقرار به، فالعقد البلاغي بين مستعملي التشبيه الذي يقول والذي يتقبله، ينأ عن إحداث شبه أن يكون القول حقيقيا، بل كل من الباث والمتقبل شاعران بوظيفة التشبيه التقريبية، فاعتماد هذا المشبه به (كابوس طويل في جملة أوستين) بالذات يوحي بما قصد إليه المتكلم من إثبات الانزعاج وانعدام الراحة مما هو مشترك بين المشبه والمشبه به والعلم بهذه الدلالة المقصودة هو مشترك –أو يفترض يكون كذلك في السياقات العادية – بين المتكلم والمتقبل .

[1] **-لخذاري سعد ، مرجع سابق ، ص 222/221.**

ففضل الاستعارة على سائر التشابيه بيّن من حيث الحذف والإيجاز والاقتصاد، وكذلك من حيث التمكن من الإسناد مع تغييب أحد عنصريه، فالنحو محكم في البلاغة ، وإن اختص النحو بالتعبير وامتازت هي بالتصوير، فإن الدلالة لا تجمع بينهما، على صعيد واح ، وفي سلك ناظم فريد .

فإذا كان اشتغال **'الجرجاني'** على اللغة جاء من النحو والبلاغة والمنطق، فإن **'أوستين'** اشتغل على اللغة منطقا وفلسفة.[1]

مدونة **'النورسي'** هي نصوص فنية معتمدة على أمثلة عادية تبسيطا للأمور، ومن باب التوضيح الذي تدعوه النزعة الإرشادية التعليمية لذلك يخاطب المتلقي بلغة سهلة مصنوعة للتسهيل والتقريب بشواهد وجودية ألفتها العين، من الزهر والمطر والحب وكل ما في الطبيعة من رموز وعلامات .

ما نشير إليه إنه قد تحدد مفهوم الاستعارة في الموروث البلاغي العربي والغربي المعاصر، بأنه ارتباط باستعمال اللغة وفق سياقات مختلفة، الأمر الذي يجعلها حاضرة في إدراك الخطاب ولغته، ومسهمة في تشكيل صورته المعرفية. على هذا النحو الجوانب الاستعارية تدخل ضمن الاستلزام الحواري ذلك أن المعاني التي يقصدها المتكلم قد يلجأ في إيصالها إلى طريق غير مباشر، فيلفظ ألفاظا لا يقصد مفهومها اللغوي وإنما يقصد ما يفهم من وراء هذا المفهوم اللغوي .

3/بنية النسق الاستعاري في الخطاب النورسي :

لقد عولجت الاستعارة في وقت مضى على أساس أنها قضية لغوية حيث تمّ فيها تشبيه شيء بشيء آخر ومن ثمّ يحذف أحد الطرفين، لتصنف بعد ذلك إلى عدة أنواع وفق غياب أو حضور أحد طرفيها الذي يعتبر المشابهة .

[1] صابر الحباشة: أسئلة التداولية: وتداوليات الخطاب مقاربات عرفانية تداولية ، زهران للنشر ، البحرين ، ص 173/163

إن المنعرج الحاسم الذي استطاعت نظرية الاستعارة تحقيقه، هو سعيها إلى ولوج ثنايا الذهن من أجل فهم كيفية اشتغاله، أثناء عملية إنتاج وفهم وتأويل البنيات الاستعارية. [1]

المعلوم هو أن البنيات الاستعارية عبارة عن تمثيلات إبداعية لعلاقات التفاعل العميق بين الاشكال اللسانية والابعاد التصورية .وقد أخذنا الخطاب النورسي الذي يغلب عليه طابع التجريد والترميز ، والتلميح دون التصريح . قام **'النورسي'** بمقاصد جزئية وكلية لتحقيق مسعاه، باختراق لغة التواصل والتداول من أجل الاستجابة لواقع وتجربة عاشها، بات بها يعبر عن الوجدان والأحوال الروحية ردا على الفلسفات وامتدادها في زمانه .[2]

*/**–الخيال** :

تقوم تجربة **'النورسي'** على الاهتمام بالجانب الروحي حتى أضحت طريقة حياة ينتقل فيها من عالم الظاهر إلى عالم الباطن ، أو سفر روحي قوامه الكشف والإشراق[3] .

يظهر لنا من خلال نص المثنوي أن الخيال له قوة شريفة تقع فوق طور العقل، له القدرة على تجسيد المعاني العينية أو الروحية في صورة دهنية يدركها العقل، فالخيال هو الواسطة بين الظاهر والباطن أو الشهادة والغيب .

من هذا المنطق نفهم أن الصورة الحسية التي ندركها بالعين المجردة، ما هي إلا مظاهر لمعاني باطنية تعتبر هي السبب في وجود الصور الحسية، فالإنسان في حد ذاته حس وروح ، وعند **'بديع الزمان'** لا يمكن للقلب أن يمتلئ بالمعرفة الكاملة إلا بعد رحلة خيالية يخترق بها ظاهره وظاهر الكون وصولا إلى باطنه وحقيقة الكون "[4]

[1]- أحمد العاقد: المعرفة والتواصل عن آليات النسق الاستعاري ، ط1 ، دار أبي رقراق للطباعة والنشر ، الرابط ، 2006 ، ص 97.
[2]- على أحمد سعيد: (ادونيس التابث والمتحول) ، دار العودة ، ط 3 ، بيروت ، 1970 ، ص 67.
[3]- توفيق الطويل: فلسفة الأخلاق الصوفية عند ابن عربي ، الكتاب التذكاري ، ص 157.
[4] -ناصر حامد أبو زيد: فلسفة التأويل ، مرجع سابق ص 220.

'فالنورسي' يعبر بالحس عما يدركه البصر من الأجسام، وبالمعنى عما يدرك بالبصيرة من المعاني القائمة بالأجسام، فالوجود كله قائم بين حس ومعنى، والحس ظاهر والمعنى باطن، ومثال ذلك الثلجة ظاهرها ثلجة وباطنها ماء، فالظاهر حس والباطن مرئي معنى، فالكون كله كالثلجة ظاهرها كثيف يسمى حسا وباطنها لطيف يسمى معنى .[1]

نور البصيرة أساس التفوق التشكيلي التمثيلي، لأن نور البصيرة ينعكس على رؤية البصر ويعطيها من القدرة على استيعاب الأبعاد، ما يجعل الاستحضارات التمثيلية و الاستبصارات التخيلية تحوز الإدهاش والخيال مبني على قابلية عقد المماثلة بين عالم سفلي وعالم علوي .[2]

إن اهتمام **'النورسي'** بخصائص الخيال العربي يندرج ضمن اهتمامه بفنية الخطاب القرآني، كون القرآن كتاب سماوي أنزل بلسان عربي مبين، الأمر الذي يقتضي فهم خصائص ومميزات ذلك اللسان من أجل أن تفهم خصائص فنية القرآن ومميزات بيانه، ولتغدوا عملية استيعاب معاني القرآن أمرا مؤسسا على منطق تسنده دعائم نظرية وبيانية .[3]

4/نماذج من التكثيف الاستعاري في خطاب المثنوي العربي النوري :

رؤية **'بديع الزمان النورسيّ'** للمجاز تشهد على وعيه الفني و الإيماني، ويعلّق **'النورسيّ'** على خطورة وقوع المجاز في يد الجاهل قائلاً: "**إذا وقع المجاز من يد العلم إلى يد الجهل ينقلب إلى حقيقة، ويفتح الباب للخرافات، إذ المجازات والتشبيهات إذا ما اقتطفتهما يسار الجهل المظلم من يمين العلم المنور، أو استمرتا وطال عمرهما، انقلبتا إلى "حقيقة" مستفرغة من الطراوة**

[1]- حسن صوالحية ، ينية الخطاب الصوفي من خلال الفتوحات المكية لمحي الدين ابن عربي ، مرجع سابق ، ص 103.
[2] -عشراتي سليمان ، جماليات التشكيل الفني في رسائل النور ، دار النيل ، ط1 ، القاهرة ، 2005 ، ص 15.
[3] -المرجع نفسه ، ص 30.

والنداوة، فتصير سراباً خادعاً بعدما كانت شراباً زلالاً، وتصبح عجوزاً شمطاء بعدما كانت فاتنة حسناء "[1]

خليق بالإشارة أن **'النورسيّ'** استلهم فكرة الجهل بالمجاز من شيخ البلاغيين "**عبد القاهر الجرجانيّ**" –وهو المعجب بمؤلفاته–؛ بيد أن الفرق بينهما أن **'النورسيّ'** قيّد الجهلَ بالمجاز بفقدان الشعور الإنسانيّ بجمال العبارة وطراوتها؛ في حين ركّز **'الجرجانيُّ'** على البعد العقديّ والجماليّ معاً. يظهر أن **'النورسي'** لامس معضلة المجاز ملامسة فيها كثير من العمق، والحكمة وجمال التوجيه الذي ينّم عن شعور بموقع المجاز في تشكيل العبارة القرآنية. وقد ردّ **'النورسي'** ردا عمليا على منكري المجاز بما كشفه **'الجرجانيُّ '** عن غرضه من الرد على منكري المجاز في اللغة والقرآن[2] بقوله: "**وإنما غرضي بما ذكرتُ أن أُريَكَ عِظمَ الآفة في الجهل بحقيقة المجاز وتحصيله، وأن الخطأ فيه مورِّطٌ صاحبَه، وفاضحٌ له، ومُسقِطٌ قَدْرَهُ، وجاعله ضُحْكةً يُتَفَكَّهُ به، وكاسيه عاراً يبقى على وجه الدهر**"[3]

إذا تقررت مكانة المجاز عند **'بديع الزمان النورسيّ'** كما فهمها من معايشته للخطاب القرآنيّ، ومخالطة آراء السابقين مخالطة فكرية ونفسية مستفيضة؛ وجب النظر في الممارسة العملية للمجاز عنده في بابه الاستعاري؛ إذ قدّم نماذج عملية مكثفة في المثنوي العربي النوري في غالبها تتعلق بالبعد العقديّ وأثرها هو تجسيد وتشخيص وتوضيح المعنى. فإن الجمهور من الناس يجنون معلوماتهم عن محسوساتهم ولا

---

[1] -بديع الزمان سعيد النورسيّ، كليات رسائل النور، صيقل الإسلام، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلرللنشر، مصر، الطبعة الثالثة، 2002 م، ص: 40. ولقد تردّد مفهوم الجهل في حديث النورسيّ عن المجاز في كليات رسائل النور في موضع آخر بالعبارة نفسها مع زيادة لفظية مفيدة فيقوله: "إذا وقع المجاز من يد العلم إلى يد الجهل، ينقلب إلى حقائق مادية، ويفتح الباب إلى الخرافات". المكتوبات، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر، بمصر، 2001م، الطبعة الثالثة، ص: 606.

[2] -ينظر :عزيز محمد عدمان ، مفهوم البلاغة عند بديع الزمان سعيد النورسيّ ، http://iikv.org/ar/nurmajalla 2016/03/4. بتصرف شديد

[3] -عبد القاهر الجرجانيّ، كتاب أسرار البلاغة، قَرأه وعلّق عليه أبو فهر محمود محمد شاكر، دار المدني بجدة، [د. ت]، ص: 393.

ينظرون إلى الحقائق المحضة إلا في مرآة متخيلاتهم ومن جانب مألوفاتهم.[1] والمقصود من الكلام؛ إفادة المعنى، وهي لا تتم إلاّ بالتأثير في القلب والحس، وهو لا يحصل إلا بإلباس الحقيقة أسلوب مألوف –المخاطَب– وبه يستعد القلب للقبول".[2]

من مقومات الفن في كتابات **'النورسي'** قيام نسجها على عنصر التصوير الأدبي، ذلك أن الرجل كان يذهب إلى: "**إن حلل الكلام أو جماله وصورته بأسلوب، أي بقالب الكلام. إذ الأسلوب يتنور ويتشرب ويتشكل باتخاذه تلاحق قطعات الاستعارة التمثيلية المتركبة من الصور، الحاصلة بخصوصيات من تمايلات الخيال، المتولدة بسبب تلقيح الصنعة البيانية أو المباشرة أو التوغل أو دقة الملاحظة**".[3]

من هذا المنطلق كان حريصًا على تحقيق أدبية النص في كتاباته، وقد تعددت وسائل هذا التحقيق بين الاستعانة بالحقيقة في ألقها الفني المعبر، أو التمثيل ودوره في العروج الفني بالمعنى أو التصوير البياني وأثره في إضفاء الحيوية والجمال والعمق على التعبير عما في نفس الأديب من خواطر وأحاسيس .

نشير في هذا المقام إلى كثرة شواهد التمثيل وتنوعها في كتابات **'النورسي'**، فقد يأتي في صورة استعارة تمثيلية كاشفة عن التمثيل البياني الذي يتخذ التشبيه والاستعارة سبيلاً لبنائه[4]، وقد تردد ذلك كثيرًا في وصف الحياة والموت والدنيا والآخرة، وقد يأتي في صورة التمثيل الكلى الذي يجمع أطراف الصورة كلها مثل التمثيل بالزهرة والقطرة والرشحة ،علاقة كل منهما بالشمس في أنوار الحقيقة ،قد يأتي في صورة التمثيل للمعاني والأحوال بالمحسوسات،. أو التمثيل للمواقف بما يقربها من الأذهان. بما يساوي أثر التشبيه ، ونضرب مثلا بما

---

[1] عزيز محمد عدمان : مفهوم البلاغة عند بديع الزمان سعيد النورسيّ، مرجع سابق ، بتصرف شديد .
[2] -ينظر :بديع الزمان سعيد النورسيّ، كليات رسائل النور، إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، تحقيق إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر للنشر، مصر، 2002 م، الطبعة الثالثة، ص: 26. بتصرف
[3] النورسي :صيقل الإسلام، دار سوزلر للطباعة والنشر ، القاهرة ، 1995، ص 98.
[4] ينظر : أحمد محمد علي حنطور ، نظرات في الأدب الصوفي عند النورسي / http://dergipark.ulakbim.gov.tr . 2016-02-04.بتصرف شديد .

جاء في المثنوي في نور من أنور القرآن حيث يقول : " وأما لزوم ذي الكفر والكفران آلهة بعدد ذرات العالم ..... كما أن تماثيل الشمس المتجلية على الشفافات والقطرات إذا لم تستند إلى الشمس الواحدة بالتجلي السهل لزم قبول شموس بالأصالة في كل شفاف وقطرة وذرة متشمسة "[1]

لا نستطيع الاستطراد في سرد شواهد وسائل التصوير البياني في أدب **'النورسي'** الإيماني وهى: التشبيه والاستعارة والكناية، فهي تتردد في كثير من ثنايا رسالته، التي تجمع مباحثه في التصوف والسلوك، ويكفى أن تقرأ أيضًا واحدًا منها، مثل حديثه عن القرآن الكريم في رسالة سماها "**نور من أنوار نجوم القرءان**"[2] ، لنراه في هذا التشبيه شبه القرآن الكريم بالنجوم في النور، ونرى استعداد **'النورسي'** قاصرًا عن أن يرتشف حق الارتشاف فيض ذلك المرشد الحقيقي الذي هو كالنبع السلسبيل الباعث على الحياة ويقول : " إنك إن شئت اعلم أن ترشف إعجازية أفيضت على قلبي من عمان القرآن فاستمع بقلب شهيد ما أخاطب نفسي ."[3] ونراه يحدثنا عن موقفه من هذه الاستعارة التي شخّص فيها الإعجاز بارتشاف الحياة من الماء. فالوظيفة الايحائية هنا ظاهرة بأن الحياة ترتشف من القرآن كارتشاف الماء. والفعل الإنجازي هو التقرب من هذا القرآن.

يذهب **'بديع الزمان'** كدأبه – بعيدا في توضيح الأمور، من أجل تجلية حقائق الوجود يقول متنسماً: (زهرة من رياض القرآن الحكيم): (**اعلم يا قلبي إن الأبله الذي لا يعرف الشمس إذا رأى في مرآة تمثال شمس، لا يحب إلا المرآة ويحافظ عليها بحرص شديد لاستبقاء الشمس، وإذا تفطن ان الشمس لا تموت بموت المرآة ولا تفنى بانكسارها، توجه بتمام محبته إلى الشمس؛ إذ ما يشاهد في المرآة ليس بقائم بها، بل هو قيومها، وبقاؤه ليس بها، بل بنفسه.. بل بقاء حيوية المرآة وتلألؤها انما هو ببقاء تجليات الشمس ومقابلتها، إذ هي قيومها، يا هذا قلبك وهويتك مرآة. فما في فطرتك من حب البقاء**

[1]-النورسي :المثنوي العربي النوري ، ص 440-441.
[2]- المرجع نفسه ، ص 435
[3]- المرجع نفسه :438

ليس لأجلها، بل لأجل ما فيها.. فقل "يا باقي انت الباقي« فإذ أنت باقي فليفعل الفناء بنا ما شاء فلا نبالي بما نلاقي.."[1]

يقول **'بديع الزمان'** " لسان الغيب " [2] لقد حذف بديع الزمان المشبه به الانسان وترك قرينة دالة عليه وهي اللسان على سبيل الاستعارة المكنية . ويقول في عبارة أخرى: " لسان الحسن والتحسين " [3] شبه **'بديع الزمان'** الحسن والتحسين بإنسان يملك لسان وقد حذف المشبه به الإنسان وترك قرينة دالة عليه وهي اللسان على سبيل الاستعارة المكنية، نجده يجسد المعاني ويشخصها . يقول أيضا " فتولد من خوفه " [4] حيث شبه **'النورس'ي** الخوف بإمرأة تلد فحذف المشبه به المرأة وترك لازما وهي الولادة على سبيل الاستعارة المكنية .

ومما يجدر الإشارة اليه هو ما قاله **'قاسم الصالحي'** في تقديمه للمثنوي أن الكتاب مع أنه جامع لكثير من أساليب البيان وأنماط الاستعارة وأنواع التشبيه والجناس والطباق وغيرها من أساليب البلاغة، فإن كل قارئ – مهما كان تذوقه البلاغي – يظل مشدوداً مع بلاغة المعنى وجمال المغزى أكثر من انشداده مع بلاغة المبنى وجمال اللفظ؛ إذ أن عمق المعاني وسعة الأفكار ودقة المسائل التي يطرقها تجعل القارئ يقول: حقاً " إن الكلام البليغ هو ما أستفاد منه العقل والوجدان معا " .

في منظومة فكر "**بديع الزمان**" نجد أن الذنوب والمعاصي عنده بمثابة المرشدين والدالّين على طريق الكفر ففي المواضع التي يكثر فيها هؤلاء يتجه شراع الفكر نحو الفسق وتحيط الأخطار بالإيمان. أجل، "إنَّ في ماهية المعصية –لاسيما إذا استمرت وكثرت– بذرَ الكفر.. إذ المعصية تولد ألفةً معها وابتلاء بها، بل تصير داءً"[5]

لقد عوّل **'النورسي'** على تجلية المعاني من خلال دعم السياق بدعائم التشبيه والاستعارة، إذ التشبيه أصل الاستعارة، و التشبيه مقوم يتجانس مع الاستعارة والتورية والكناية ومفردات بلاغية أخرى، إذ جميعها

---

[1] ـ النورسي :المثنوي العربي النوري ، ص: 181
[2] ـالمرجع نفسه ، ص 108 .
[3] ـالمرجع نفسه ،ص 109.
[4] المرجع نفسه، ص 369.
[5] ـالنورسي: المثنوي العربي النوري، ص 229.

آليات خطابية تعرض الفكرة في ثنائية معنوية يتقابل فيها الأصل وظله أو يترادفان، فيراهما المتلقي معا وإن توارى أحدهما خلف الآخر؛ ذلك لأن خاصية الفعل البلاغي كما سنرى هي تلوين يقوم به الخيال بواسطة اللفظ، وتحديد يكفل للأشياء أن تظهر على هيئتها، بل قيم البلاغة شحنة الإضاءة التي يوفرها الفنان لصوره الخطابية، أو هي الألوان التي يصنع منها تشكيلاته بكيفية يغدو معها المعنى قريبا من مدارك الناس لا سيما عامتهم .[1]

لقد ظل **'النورسي'** على مستوى التبليغية تلميذا للقرآن، فالقرآن ساير أفهام العوام باستخدام التشبيهات الحسية والإحالات الواقعية .فالفعل الجامع للقول والإنجاز والتأثير يمكن أن نسميه الفعل التبليغي.

يقول النورسي:" **انظر إلى كمال مراعاة القرآن ومماشاته وتأنيسه لأفهام جمهور العوام الذين هم الأكثر المطلق، إذ يذكر في المسألة ذات الدرجات ، الدرجة القريبة إليهم والصحيفة الواضحة لنظرهم ، وإلا لزم أن يكون الدليل أخفى من النتيجة** " [2]

لا جدال في أن البحث عن الجوانب البلاغية عند' **النورسي'** لا يتطلب جهدا لأن القارئ من بداية متن المثنوي العربي النوري إلى نهايته يجد نفسه أمام تكثيف بلاغي مختلف الأصناف، ضف إلى ذلك أن **للنورسي** شخصية بلاغي غارق في بحر البيان والمعاني،كأننا أمام شيخ البلاغيين عبد **'القاهر الجرجاني'** ، بل إن بديع الزمان قد اقتفى أسلوبه في كثير من المواضع تلميحا أو تصريحا، ولا يمكن لباحث حصيف أن ينفي ذلك أو أن ينفي حقيقة مفادها أن **'النورسي'** قد ظفر بمفهوم البلاغة القرآنية من خلال الإعجاز القرآني، إذ يرى بديع الزمان أن الاعجاز هو خلاصة اللطائف البلاغية والنكت الجمالية ولعل في تشبيه النورسي للإعجاز بالنور المتجلي ما يوحي بأن بلوغ مكمن النكت البلاغية من خصوصيات ناظر أمين .

[1] ـ ينظر :عمار قرفي ، بديع لزمان النورسي ، حياته ، دعوته ، جهاده ، دار الشهاب للطباعة ، ط1 ، 1984 ، الجزائر ، ص 33. بتصرف
[2] ـالنورسي :المثنوي العربي النوري 321.

يركز **'النورسي'** على البلاغة الإرشادية، ولا ريب أن مفهوم البلاغة في التراث البلاغي القديم لا يبعد عن مطابقة الكلام لمقتضى الحال، بيد أن مفهوم **'النورسي'** للبلاغة يعد في نظرنا نقلة ناضجة، وقفزة نوعية إذ ربط البلاغة بالإرشاد، وهو مفهوم كوني وروحي وتربوي، وهذا ما يفسر علاقة البلاغية بالمقاصد الإيمانية ، فالبلاغة هي آلة إرشاد وتوجيه إلى مشالك الحقائق النورانية، بيان ذلك أن البلاغة القديمة بجمالها تبتعد عن التوجيهية في مقصدياتها، أما البلاغة الإرشادية الحديثة فهي توجه وترشد وتكشف الستار عن الحقائق الإيمانية [1]يقول :" إن قيل :إن القرآن لأنه مرشد لكل طبقات البشر تستلزم بلاغة الإرشاد أن لا يذكر ما يوقع الأكثر في المغالطة والمكابرة مع البديهيات في نظرهم الظاهري ، وأن لا يغير بلا لزوم ما هو من المتعارفات المحسوسة عندهم ، وأن يهمل أو يجمل ما لا يلزم لهم في وظيفتهم الأصلية ". [2] فالفعل الإنجازي الإرشادي هو السائد في المثنوي العربي النوري، عالجه النورسي بدقة واستيعابية تحت مبدأ الكم .

مقتضى كلام **'النورسي'** أنه من موجبات الإرشاد البلاغي مراعاة أسلوب البعد عن التفاصيل التي هي محل إقرار عند البشر ،كما أن تغيير ما استقر في عرف المألوف، والمعهود مداعاة لتشويش فكر العامة.[3]

فالإهمال والإجمال والتفصيل منوط بمراعاة نظر العامة، ذلك أن المقصد من بعض الظواهر الكونية هو التركيز على الصانع لا الولوج في جزئيات الظاهر، وبذلك يرى **'بديع الزمان سعيد النورسي'** أن من عوائق الإرشاد وموانع التبليغ والتفصيل في غير مجاله، لأن ذلك قد يفضي إلى ضياع المقصد من النظر إلى المسائل من الناحية الوظيفية، وفي هذا السياق يقول **'بديع الزمان سعيد النورسي'** : " إن من شأن البلاغة الإرشادية مماشاة نظر العموم، ومراعاة حسن العامة، ومؤانسة فكر الجمهور، لئلا يتوحش نظرهم بلا طائل ولا يتشوش فكرهم بلا

---

[1]. أنظر :عزيز محمد عدمان ، مفهوم البلاغة عند بديع الزمان سعيد النورسيّ ، http://iikv.org/ar/nurmajalla بتصرف
- قراءة في المصطلح وأبعاده القرآنية -
[2] النورسي بديع الزمان سعيد ، المثنوي العربي النوري ، تحقيق احسان قاسم الصالحي ، ط 1، 1995 ، القاهرة ، دار سزلر للنشر ، ص 73.
[3] عزيز محمد عدمان ، مفهوم البلاغة عند بديع الزمان سعيد النورسي ، مرجع سابق ، ص 126/125.بتصرف

فائد ، ولا يتشرد حسهم بلا مصلحة ، فابلغ الخطاب معهم والإرشاد ك أن يكون بسيطا سهلا لا يعجزهم ، وجيزا لا يملهم مجملا فيما لا يلزم تفصيله لهم "[1]

فالبلاغة الإرشادية هي السهل الممتنع الذي يحقق المقاصد الآتية :

1-مراعاة مستويات المتلقين من حيث اختيار أنسب الأساليب السهلة المأنوسة . وهذا عند "**غرايس**" يسمى (مبدأ المناسبة) أو حكم الكلام **Modalité**: أن يكون واضحا غير مبهم موجزا منظما فيجب "أن يكون كلامك مناسبا لسياق الحال.

2-انتقاء أسلوب الايجاز وأكبر ايجاز هي الاستعارة والكناية، الذي يقرب البعيد ويحذف فضول الكلام. وفي هذا نجد مبدأ الكم عند **'غرايس'** "الكمية (مبدأ الكم) Quantité: أن يكون الخطاب غنيا بالأخبار بشكل كاف فقط دون زيادة بحيث "نقل ما هو ضروري بالضبط ولا نزيد أكثر من الضروري"

3-الإجمال الذي يراعي قدرة العوام الاستيعابية أنسب من التفصيل الملل الذي يضيع المطلوب ، ويبدد المقصود .وهنا نجد **غرايس** حدده ب (**مبدأ العلاقة Relation**) أن يكون دقيقا وأن تكون المساهمة دالة (ذات بال) للحديث.

4-من ثمرات البلاغة الإرشادية حصول الأنس لدى العامة، واستبعاد الوحشة، والتشويش والشرود الحسي ، الذي يسببه سوء التصرف في مخاطبة الجمهور، وتوظيف الأساليب البلاغية غير المأنوسة التي لا تراعي آليات الإدراك وأدوات الاستيعاب والنظر .[2]

هذه المبادئ كما سيق سابقا نفسها نجدها عند **'أوستين'** و "**غرايس**"، و"**سيرل**" إذ أن الأفعال الكلامية دورها تحويل معتقدات المتخاطبين واستمرارية الخطاب بين أطرافه، فالاستعمال المتبادل للأفعال

[1] النورسي بديع الزمان سعيد ، المثنوي العربي النوري ، ص 72.
[2] ينظر :عزيز محمد عدمان ، مفهوم البلاغة عند بديع الزمان سعيد النورسي ، مرجع سابق ، ص 127/12.بتصرف

الكلامية هو ما يخلق التفاعل الكلامي وهذا من خلال الحوار. إن أقوال المتكلم تنبني على ما قاله المخاطب، فلا توجد هناك أفعال قوالب، كل قول السابق، و للافتراضات و التأويلات التي يحتويها.[1]

مراعاة مستويات المتلقين يشكل حجر الزاوية عند **'النورسي'** في مشروعه البلاغي، وقد عدّه أحد ركائز بلاغة القرآن وروافده، وحسن جماله وسموه، وفي هذا الجانب يقول :" إن منابع علوم طبقة الكلام ، وقوته وحسنه وجماله، أربعة : المتكلم، والمخاطب والمقصد، والمقام، لا المقام فقط كما ضل فيه الأدباء"[2]

لا ريب أن سمو بلاغة الخطاب في المثنوي العربي النوري، هو في اجتماع هذه العناصر الأربعة ، ولعل أبلغ عنصر فيها المخاطب الذي يتلقى الخطاب، فالبلاغة عنده مطابقة مقتضى الحال، لأن المخاطبين على طبقات متفاوتة، وهو يوسع في المثنوي مجال التوظيف الأسلوبي بغية استثمار امكانات اللغة التي تناسب مختلف الطبقات والأصناف والمستويات، وقد قيد هذا التوسع بقيود البلاغة العربية وأصول اللغة .

لا جرم أن ربط **'النورسي'** التلقي بحسن المتلقي ما يكشف عن البعد الروحي للمخاطب، الذي يفترض فيه صفاء السريرة لتقبل الحق، والانصياع لشرف الانتماء للحقيقة الايمانية، يقول **'بديع الزمان'** في ذلك:" إن جامعية القرآن ووسعته ومراعاته لحسيات طبقات المخاطبين، لا سيما : تنزلاته لتأنيس العوام —الذين هم الأكثر المطلق، والمخاطبون أولا بالذات — مع أنها سبب لكماله .فالنفس المريضة تضل بها، إذ تتحرى في أدنى طرز، تفهِيمه المناسب للمقام أعلى وأزين صور الإفادة، وتصيّر الأسلوب —الذي هو ميزان ومعْكسُ لحس المخاطب وفهمه — ميزانا ومرصادا تنظر منه إلى المتكلم، فتضل ضلال بعيدا ..."[3]

لا مرية في أن تحويل مسار النظر من المتكلم إلى المخَاطب هو عدول عن مدار الاستقامة البلاغية وأغلب الظن، أن مصدر هذا الانحراف هو بلادة حسّ المتلقي .[4]

---

[1] ـ عمر بلخير، مدخل إلى دراسة بعض الظواهر التداولية في اللغة العربية (الخطاب المسرحي نموذجا)، http://crasc.dz/insaniyat يوم :10-09-2016.
[2] ـ النورسي ، المثنوي العربي ، مرجع سابق ، ص 156.
[3] النورسي ، المثنوي العربي ، مرجع سابق ، ص 168/167.
[4] عزيز محمد عدمان ، مفهوم البلاغة عند بديع الزمان سعيد النورسي ، مرجع سابق ، ص 138.بتصرف

إن الجانب الاستعاري في بنية خطاب **'النورسي'** من خلال المثنوي أدى بلوغ المعنى إلى القلب في أجمل صورة لفظية، وهذا هو المقصد الأسمى، والغاية من تركيب المثنوي، الذي رام الإمتاع والإقناع، وبما أن الخطاب يحمل دلائل قوية وحجج ناصعة فقد حدث تأثير وجداني في عملية التوصيل وحدثت الإبانة واتضح التركيب . والناظر إلى مرتكزات أسلوب الخطاب **'النورسي'** يجدها جملت في أربع مقومات هي :

1-اختلاف المقامات

2-تنوع مقاصد الإرشاد

-تعدد أسس التبليغ

-مراعاة مقتضيات قوانين البلاغة العربية وأصولها .

يتفاوت أسلوب **'النورسي'** في المثنوي بين الجزالة والسلاسة ، والوضوح وفق واقع الحال أو المقام، ذلك أن الملابسات الظرفية تؤثر في اصطفاء طبيعة الجانب البلاغي الاستعاري الملائم لمقتضى الحال ، أي أن منهج بلوغ الحقيقة الإيمانية موجب للإسهاب أو الاختصار .[1]

لا نعدو الصواب حين نقول أن **' بديع الزمان'** قد بث في نصوص المثنوي تشبيهات بلاغية عالية الدقة لامست الكثير من الفنية والابتكار، وهي ملامسة تعكس وعيا ساميا في تجلياته العقدية والتاريخية والسياسية والجمالية وغيرها. نرى هذه الروح الإبداعية نابعة من روح البلاغة القرآنية التي هي منبع الإعجاز، فنص المثنوي لا يأخذك إلى تأويل قائم على مغالطات، وإنما التأويل فيه منضبط على أسس رفيعة، أي تأويل منصف يراعي النسيج اللغوي للنص، إذ أنه جعل ألفاظه تقبل الولوج إلى عمق النص .

من يقرأ كتاب المثنوي العربي النوري، يشده هذا الفعل الكلامي الذي يصعب تصنيفه ضمن الأفعال الكلامية الجامعة، تماما أو الأفعال الكلامية الجزئية، فالاستعارة، من حيث الصيغة لا يمكن لنا أن نأتي بها في

[1] عزيز محمد عدمان ، مفهوم البلاغة عند بديع الزمان سعيد النورسي ، مرجع سابق ، ص 139 بتصرف

عبارة أو جملة كأن نقول "زيد أسد"، فنص المثنوي العربي النوري نص استعاري قصد منه استعارة دلالات جاءت على ألسنة الطبيعة و الحيوانات أو يستنطقها تشبه دلالات وعوالم خاصة بعالم البشر، وهذا ظاهر من حيث العناوين ، فنقول إن المثنوي العربي النوري هو استعارة العقل الراشد والأخلاق الحسنة والفهم السليم. هذا السبب جعلنا نتحدث عن الاستعارة باعتبارها فعلا كلاميا جامعا. ولا أدَل على ذلك من إقدام **'بديع الزمان سعيد النورسي'** على كتابة المثنوي العربي النوري بالعربية لأنه يعلم أن العربية من اللغات الحية الباقية التي يمكنها أن تحمل تلك المعاني الموحزة، هذا كله تحت استراتيجية حجاجية . فإذا رجعنا إلى نسبة الخيال في التشبيه تكون صفرا بالمئة لوجود المشبه والمشبه به –أي فعل كلامي جزئي– ، أما الاستعارة التي تتشكل على "**نحو ضحك القمر**" (للدلالة على تشخيص القمر)، نسبة الخيال فيها خمسين بالمئة فهي فعل كلامي جامع لأنها تشبيه بليغ حذف أحد طرفيها .

مما سبق يظهر لنا أن كتاب المثنوي العربي النوري هو استراتيجيات تجسيدية وتشخيصية وتوضيحية مستوحات من نور القرآن الكريم . لقد أثبتت التداولية في العديد من الدراسات التي أجريت على الاستعارة أن الغاية من وضع الخطاب الاستعاري هي التأثير في المستمعين. لذلك اعتبرنا الاستعارة فعلا كلاميا، والعلاقة الاستعارية على حد تعبير الفيلسوف **'طه عبد الرحمن'**، هي أدل ضروب المجاز على ماهية الحجاج. ، هذه الاستعارة نعتبرها إرشادا من قبل **'النورسي'** للقارئ الافتراضي أو الواقعي الموجود في عصره على أن القرءان هو النور الذي لا يخبو سناه، وفي الوقت نفسه يحذر من اتباع غير القرءان من الفلسفات الغربية والشطحات الصوفية . قد جاءت الاستعارات في هذا الكتاب كحجج لتدعيم المزاعم والأفكار التي يعلن عنها السارد، ونقصد بديع الزمان **'سعيد النورسي'** أثناء مخاطبته القارئ الافتراضي أو الواقعي، في عصره.

الخلاصة أن فهم المقصدية الازدواجية التي احتواها نص المثنوي العربي النوري، لا يتم إلا بفهم ما ضمّنه **بديع الزمان** من اقتضاءات تخدم أغراضه، سواء أكان ذلك في خطابه مع الفلاسفة الملحدين أو مع المسلمين أو القارئ الافتراضي. يبدو أن **'بديع الزمان'** قد تبنى أسلوب شبه كلي لعدة استراتيجيات خاصة الحجاجية

منها، يتجلى ذلك من خلال نقطة أساسية: تكمن في أن النص عبارة عن تجارب وخطاب نفس، فكان من الطبيعي أن تتجلى هذه الاستراتيجيات كما هي في الخطابات الصوفية. ويظهر أن **'النورسي' استطاع** أن يحترم القيم العربية الاسلامية للخطاب العربي بما ما أسماه الدكتور **'طه عبد الرحمن'** « المجال التداولي » . [1]

وما نخلص إليه من جانب آخر هو أن المثنوي العربي النوري كثّف رمزا واستعارة، مثل : " إفاضة الحياة " [2]حيث شبه الكاتب (**الحياة**) بنهر يفيض وحذف المشبه به النهر وترك شيئا من لوازمه وهي الإفاضة على سبيل الاستعارة المكنية، وكذلك نجد " اذهب إلى الأرض تراها تقول " [3] شبه **'بديع الزمان سعيد النورسي'** الأرض بالإنسان وترك قرينة دالة عليه وهي القول على سبيل الاستعارة المكنية .

ونجد الاستعارة أيضا في عبارة " مجيئ الشجر " [4]حيث **يشبه بديع الزمان** الشجر بإنسان يجئ وحذف المشبه به الإنسان وترك لازم من لوازمه لإبلاغ القصد وهي المجيئ على سبيل الاستعارة المكنية .

ويقول في عبارة أخرى " **النظر يقلب عيون الأكوان** " [5] لقد شبه بديع الزمان النظر بالمحراث وحذف المشبه به المحراث وترك قرينة دالة عليه وهي التقليب على سبيل الاستعارة المكنية .

نجد أن **النورسي** من هذه الخيالات يبني تضمينات قصد الإقناع . حاولنا في هذا الفصل أن ننظر إلى فنون تعد ركيزة علم البيان لنبحث عن المعنى المختفي وراء التعبير اللغوي غير المقصود، لنشير إلى هذا المعنى البلاغي أو المعنى الثاني، أو معنى المعنى، من خلال ما تفهمه من المعنى الأول أو المعنى اللغوي، أو الدال، أو نحو ذلك من التسميات المختلفة لكلا المعنيين، ولم يفت هذه الدراسة أن تبين اشتغال التداولية فيها.

وهذا الفصل ينطلق من منطلق لغوي دلالي ملخصه أن المتكلم إنما ينطق ليُفهم، وقد أجاب عن تساؤل هو: هل يمكن أن يكون منطلق المتكلم الإغماض والتعمية على السامع؟.

---

[1] **انظر :عمر بلخير، مقاصد الكلام واستراتيجيات الخطاب في كتاب كليلة ودمنة لابن المقفع، الملتقى الدولي الرابع لتحليل الخطاب، جامعة ورقلة، 19/18/17 فيفري 2007. من خلال الموقع : https://omarbelkheir.wordpress.com/ بتصرف شديد**

[2] **النورسي : المثنوي العربي النوري : ص 42**

[3] **المرجع نفسه ص ، 49**

[4] **المرجع نفسه ، ص** 56

[5] **المرجع نفسه ، ص 105.**

الفصل الرابع

الخطاب التداولي في المثنوي العربي النوري

المبحث الأول : الإشاريات في المثنوي العربي النوري.

المبحث الثاني : أفعال الكلام في المثنوي العربي النوري.

قامت القراءات للنصوص الأدبية في السنوات الأخيرة على خلفية الاستفادة من مبادئ وإجراءات الدرس اللغوي الحديث، فتأثرت بما يحصل من تغيرات وأبحاث في الدرس اللساني، ابتداء من البنيوية التي عزلت النص عن الظروف الخارجية بل حتى عن المؤلف بتبني مقولة " موت المؤلف " وتماشيا مع هذه السقطات التي وقع فيها الدرس البنيوي، عمل اللسانيون على تطوير نظريات تحرر النص من صرامة البحوث البنيوية ووضع نماذج لا تغفل نوايا المتكلم وقصده، والظروف المحيطة بإنتاج النص وتلقيه، قد أجريت مقاربات تداولية على نماذج أدبية ومسرحية وشعرية، هذا البحث يسقط العديد من تلك المقاربات على المثنوي العربي النوري .

تهدف المقاربة التلفظية إلى دراسة الخطاب الإبداعي والأدبي في ضوء المعينات الإشارية، أو قراءتها بواسطة القرائن اللغوية، أو مقاربتها عبر المؤشرات التلفظية التي تحدد سياق الملفوظ اللغوي واللساني؛ هذه المعينات هي ضمائر الشخوص، وأسماء الإشارة، وظروف المكان والزمان، وصيغ القرابة، والصيغ الانفعالية الذاتية. ومن ثم، تنبني المقاربة القرائنية أو المقاربة "التلفظية" على دراسة سياق التلفظ، وتحديد أطراف التواصل اللغوي، عبر التركيز على ثلاثة مبادئ منهجية، وهي: البنية، والدلالة، والوظيفة.[1]

تنتمي رسائل النور إلى الخطاب الإسلامي الذي يعتبر شكلا من أشكال التواصل، كونها تمثل كلاما محددا موجه إلى مخاطب محدد بلفظ محدد، وفي مقام تواصلي محدد، وبوصف رسائل النور أفسح لنا المجال لتطبيق الاجراءات التداولية عليها، باعتبار أن التداولية تعنى بتحليل هذا النمط من الخطابات المكتوبة ب وصف ، وظائف الأقوال الكلامية وخصائصها خلال إجراءات التواصل بشكل عام .[2]

هذا ما تقصده **'فرنسواز أرمينكو'** بقولها " التداولية إستطالة لسانية أخرى, للسانيات التلفظ, التي دشنها **"بنفنست"** إذ أن التمييز الكبير لا يتم أبدا بين اللغة والكلام, ولكن بين الملفوظ الذي يقصد به ما يقال, والتلفظ كفعل القول".

[1] جميل حمداوي ، المقــاربة التداولية في الأدب والنقــد : من http://www.diwanalarab.com
[2] ايمان العامري ، البعد التداولي في الخطاب الصوفي ، كتاب الوصايا لابن عربي نموذجا ، مجلة المخبر ، جامعة بسكرة ، العدد الحادي عشر ، 2015 ، ص 452.

من المعلوم أن كلمة المعينات (déictiques) جمع لكلمة مفردة هي المعين الإشاري(déixis). بالتالي لا تأخذ هذه المعينات والقرائن الإشارية معناها، بما فيها: الضمائر، وأسماء الإشارة، وظروف الزمان والمكان، والصيغ الانفعالية، وأسماء القرابة... إلا داخل سياق التلفظ، والتواصل، وفعل القول.

تحيل المعينات على أطراف التواصل، من: متكلم ومستقبل، ومرسل ومرسل إليه، بالإضافة إلى الضمائر المنفصلة والمتصلة(أنا-أنت- نحن-أنتم...)، وأدوات التملك المتعلقة بضمير المتكلم وضمير المخاطب(كتابي، كتابك، كتابنا، كتابكم...)، وأسماء الإشارة(هذا-هذه- ذلك- تلك...)، وظروف الزمان والمكان(هنا-هناك- اليوم- الآن- البارحة- في يومين، هذا الصباح، إلخ...)، بله عن كل المؤشرات اللغوية التي تعين الشخوص والأشياء من قبل المتكلم. [1]

نشير أيضا إلى قول **'السهيلي'** في نتاج الفكر: ((لأن الكلام القائم في النفس والغائب عن الحواس في الأفئدة، تكشفه للمخاطبين خمسة أشياء: اللفظ، والخط، والإشارة، والعقد، والنصب، وهي لسان الحال، وهي أصدق من لسان المقال))[2]. هذا يعني أن للإشاريات أهمية كبيرة في تحديد المقصد، من هنا ارتأينا أن نعالجها في المبحث الآتي :

المبحث الأول : الدور التداولي للإشاريات في المثنوي العربي

تعد الإشاريات من أهم الآليات اللغوية في التحليل التداولي، وتنسب إلى حقل التداوليات، لأنها تهتم مباشرة بالعلاقة بين تركيب اللغات والسياق الذي تستخدم فيه. [3] ويرى أغلب الباحثين أن الاشاريات خمسة أنواع

[1] جميل حمداوي ، مرجع سابق.
[2] السهيلي(ت581)، نتاج الفكر في النحو، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1992، ص98
[3] بلخير عمر ، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية ، منشورات الاختلاف ، ط1 ، 2003 ، ص 68 و الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، مرجع سابق ، ص 82.

هي: الإشارايات الشخصية و الإشاريات الزمانية ،و الإشاريات المكانية والاشاريات الاجتماعية والإشاريات الخطابية أو النصية، غير أن بعضهم اقتصر على الثلاثة الأولى فقط .[1]

والتعبير الإشاري مصطلح استعمله **'بار هيليل'**، وهو يقابل الوحدة الإشارية عند **'بيرس'** ، وهو مصطلح يطلق على الصيغ اللغوية التي تستعمل للقيام بالإشارة بوساطة اللغة، وتسمى الإشاريات. وتشمل: الضمائر بأنواعها وأسماء الإشارة وظروف الزمان والمكان والصيغ الانفعالية (النداء والتعجب) وأسماء القرابة، وهي علامات لغوية لا يتحدد مرجعها إلا في سياق الخطاب التداولي، ولهذا كان النحويون يطلقون عليها اسم (المبهمات) أيضا لأنها خالية من أي معنى في ذاتها. والإشاريات جميعها تلتقي في مفهوم التعيين وتوجيه الانتباه إلى موضوعها بالإشارة إليه، ولذلك سميت بالمعيِّنات، وهي جمع لكلمة مفردة هي (المعيِّن). وتعني المعينات لغة الإشارة والتحديد والتعيين والعرض والتمثيل والتبيان والتأشير. وأما اصطلاحا، فهي مجموعة من المرجعيات الإحالية المبنية على شروط التلفظ الخاصة وظروفه كهوية المتكلم ومكان التلفظ وزمانه.[2]

من أكثر الإشاريات تمثيلا : "أنا ، أنت ، هنا ، الآن ". وهي عناصر تجسد المتحدث والمخاطب وزمان ومكان التخاطب .[3] تحمل الإشاريات مرجع غير ثابت فهو متغير بتغير الاستعمال أي موضع التلفظ، وهناك إشاريات ظاهرة في الخطاب، وإشاريات كامنة في بنيته العميقة، حيث لا يصرح بها المرسل لأنه يعلم أن الكفاءة التداولية للمرسل إليه تسمح له باكتشافها . يحمل الخطاب الواحد على الأقل ثلاث إشاريات هي : (الأنا ، الهنا ، الآن) وعليه فإن كل ملفوظ يتضمن ثلاث إشاريات (شخصية ، مكانية ، زمانية) تتواجد في كفاءة المرسل التداولية .[4]

[1] عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، ص 82. انظر الى النذير ضبعي ، الابعاد التداولية في مقامات الحريري ، مذكرة ماجستير ، جامعة محمد خيضر بسكرة ، 2015/2014 ، ص 17.
[2] كاظم جاسم منصور العزاوي ، التعبير الاشاري في (الخصيبي) مقاربة تداولية ، مجلة جامعة بابل ، العلوم الانسانية ، العدد1/2016 ص 74.
[3] جيل سرفوني ، الملفوظية ، ترجمة ، قاسم المقداد ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، 1998 ، ص 27.
[4] النذير ضبعي ، الأبعاد التداولية في مقامات الحريري ، مذكرة ماجستير ، جامعة محمد خيضر بسكرة ، 2015/2014 ، ص 19/18.

تمتلك الإشاريات وظيفتها التداولية من حيث اهتمامها المباشر بالعلاقة بين تركيب اللغات والسياق الذي تستخدم فيه، أي أنها ذات ارتباط مباشر بالعملية التبليغية والخطاب[1]، ولتجلية وظيفتها التداولية في المثنوي العربي النوري وجب تحديد المرجع الذي تحيل عليه، كذلك الدور الذي تلعبه لضمان تحقيق الإطار التداولي للخطاب حيث تتحول بعض الأدوات الإشارية في السياق الاجتماعي مثل الضمائر وغيرها من وظيفتها الدلالية للدلالة على المرجع، إلى وظيفتها التداولية بانعكاسها على قصد المتكلم، لأن الضمائر الشخصية بمثابة خدم اللغة، حيث يمكن لنا أن نطوعهم للخدمة في انجاز الوظائف الرمزية ذات المستوى الرفيع قد كان للإشاريات الشخصية (الأنا ، والأنت ، النحن) دور مهم في تجلي قصد **'سعيد النورسي'** من جهة وفي تأثير الخطاب على المتلقي من جهة ثانية) [2]

لقد أولت اللسانيات التداولية الأهمية البالغة للوظيفة المرجعية، ذلك أنها تربط بين السياق اللغوي وسياق الموقف، وقد صنفها (**رومان جاكبسون roman Jakobson**)ضمن الوظائف اللغوية الستة التي توضح العلاقة التواصلية .[3] تطرح الإشاريات قضية الإحالة وصلة اللغة بما تعنيه عند الاستعمال، ولهذا يعد شرط الصدق من أهم الشروط الواجب توفرها في العناصر الإشارية، هنا يكمن لنا موضوع الإشاريات والإحالة ،حيث الإحالة تشير إلى أنها فعل تداولي متعلق بالعملية التعاونية وهذا نسبة إلى مبدأ التعاون عند **غرايس** ، لأن المتكلم يهدف إلى تمكين المخاطب من معرفة الذات المقصودة، وهي متعلقة بقاعدة الكم . يبدوا أن الإحالة تتقابل تضاديا مع الإشاريات حيث يعرف الإحالي أنه يرجع إلى السياق اللغوي في حين يرجع العنصر الإشاري إلى السياق المقامي وعليه فإن الإشاريات تقابل العناصر الإحالية التي ترتبط بالسياق وما يتلعق به من ملابسات .[4]

[1] بلخير عمر ، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية ، منشورات الاختلاف ، ط1 ، 2003 ، ص 68.
[2] البعد التداولي في الخطاب الصوفي ، كتاب الوصايا لابن عربي نموذجا مرجع سابق ص 455.
[3] فاطمة الطبال بركة ، النظرية الألسنية عند رومان جاكبسون دراسة ونصوص ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت الطبعة الاولى 1993 ، ص 67.وينظر إلى النذير ضبعي ، الابعاد التداولية في مقامات الحريري : ص 20.
[4] النذير ضبعي ، الابعاد التداولية في مقامات الحريري ، مرجع سابق ، ص 21/20.

أما الإشاريات عبارة عن عناصر لغوية تحيل على مراجع خارجية كأن يحيل ضمير المتكلم المفرد على ذات صاحبه المتكلم؛ وهي تتطابق مع الإحالة المقامية. وأهمية الإحالة المقامية حسب "**رقية حسن** و **هاليداي**" كونها تربط اللغة بسياق المقام، ولهذا يجذر بالذكر أن الإحالة نوعان مقامية ونصية .

ومن بين مهمات الإشاريات التداولية الدلالة "على اندماج المخاطِب ذاتيا في خضم الواقع الموضوعي، وحضوره في الزمان والمكان تحت شعار (نحن، الآن، هنا)"، في المستوى الأول من مستويات التداولية (تداولية الدرجة الأولى: دراسة الرموز الإشارية) ، لأن التداولية بحسب **'موريس'** معنية بدراسة "ضمائر التكلم والخطاب، وطرفي المكان والزمان (الآن، هنا) والتعابير التي تستقي دلالتها من معطيات تكون جزئيا خارج اللغة نفسها، أي من المقام الذي يجري فيه التواصل"[1].

ما يمكن قوله: إن الإشاريات عناصر لغوية تحيل على مراجع خارجية غير محددة .[2] ولكشف وظيفتها التداولية في خطاب المثنوي العربي النوري، وجب تحديد المرجع الذي تحيل عليه.[3]

بناء على ماسبق، يقصد بالإشاريات أسماء الإشارة، والضمائر المتصلة والمنفصلة، وظروف الزمان والمكان. وبتعبير آخر، ما يشكل صيغة: (أنا، الآن، هنا) كما يمكن الحديث أيضا عن ألفاظ القرابة (أبي وأمي وخالي...)،وصيغ الانفعال و التعجب، وآليات الحكم والتقويم الذاتي.

يمكن الحديث بصفة عامة عن معينات المتكلم أو المتلفظ، ومعينات المستقبل أو المخاطب أو المرسل إليه أو المتلفظ. فمن المعروف أن ضمير المتكلم يحدد هوية المتكلم، ويعين حضوره ووجوده سياقيا ومرجعيا حين عملية التلفظ والتواصل، ويتحدد ضمير المتكلم في صيغة المفرد " أنا" أو صيغة الجمع "**نحن**" .[4]

بعد هذه النظرة الموجزة حول الإشاريات التي نعمل في إسقاطها على المثنوي العربي النوري بأنواعها المختلفة

---

[1] كاظم جاسم منصور العزاوي ، المرجع السابق ،ص 74.
[2] نفس المرجع ، ص 23.
[3] الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، مرجع سابق ، ص 287 ، 288.
[4] جميل حمداوي ، المقــاربة التداولية في الأدب والنقــد : من http://www.diwanalarab.com بتصرف

1-**الاشاريات الشخصية** : تعرف بأنها إشاريات تدل على المتكلم والمخاطب، أو الغائب، وتتفرع الضمائر في اللغة العربية حسب الحضور والغياب إلى فرعين هما الغائب والحاضر، أي متكلم ومخاطب. وتعتبر ضمائر الغائب الوحيدة التي يمكن الدلالة بها على الجوامد. [1] و الإشاريات الشخصية هي ضمائر المتكلم: (أنا، تاء المتكلم، ياء المتكلم، نا، نحن)،وضمائر المخاطب:(تاء المخاطب، أنتَ، أنتِ، أنتما، أنتم، أنتنّ). ويدخل النداء في مجموعة الإشاريات الشخصية؛ لأنه "ضميمة تشير إلى مخاطب لتنبيهه أو توجيهه أو استدعائه [...] وظاهر أن النداء لا يفهم إلا إذا اتضح المرجع الذي يشير إليه.[2]

1-1-(الأنا /والأنت) :

لا يمكن تصور خطاب يخلوا من الضمائر ف" الأنا " تختص بمنتج الخطاب "الذات الحوارية " ينتج النص من أجل التعبير عن مقاصد معينة .[3] ويتبين جانب "**الأنا**" من خلال :

توجيه **'سعيد النورسي'** خطابه في مطلع رسائله التي استهلها بمقدمة تتضمن خمس نقاط، باستعمال ضمير المتكلم في جميع رسائله في المثنوي العربي إذ قال في النقطة الخامسة في قوله : " .. **وافردت تلك المسائل ب اعلم** .... **اعلم** .." [4] ظهرت هنا تاء المتلكم.

فبنية الخطاب في صورته العميقة هي: " أنا أقول : ...أفرد تلك المسائل .."."وقال: " **فعلى القراء الكرام أن يضعوا هذه النقاط المذكورة آنفا نصب أعينهم كيلا يبادروا إلى الاعتراض**".[5]

---

[1] **الازهر الزناد ، نسيج النص ، المركز الثقافي العربي ط1 ، 1993 ، ص 117.**
[2] **محمد أحمد نحلة :آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ، دار المعرفة الجامعية، 2006:ص 19.**
[3] **عبد الهادي بن ظافر الشهري ، مرجع سابق :ص 45.**
[4] **النورسي : كليات رسائل النور ، المثنوي العربي النوري ج 6 ، بديع الزمان سعيد النورسي ، تح قاسم الصالحي ، ط1 ، مصر ، دار سوزلر ببنشر ،1995، ص 33.**
[5]- **المرجع نفسه، ص 33.**

في نفس المقدمة الذي ختمها بالتنبيه والإخطار والاعتذار يقول: " **فلا يوحشك ما فيها من الاشكال** " فهنا ضمير **'الأنت'** غائب . يقول: " **حتى ينفتح لك سر تكرار القرآن** " **ويقول: "كن من شئت فلا نفسك أطغى وأعصى من نفسي ولا شيطانك أغوى وأشقى من شيطاني** " [1]

وفي ضمير ' **الأنا** ' الذي ورد مستترا ومتصلا ومنفصلا كما جاء للمفرد والجمع فلا نكاد نجد جملة خالية منها، لأنها تحيل على صاحب القول كما ذكر آنفا؛ ومن بين نماذجه قوله " **وكذلك لا تظن أني باختياري أشكلت عليك عبارة هذه الرسالة** "[2] الملاحظ في هذه العبارة هي أن المتكلم لم يصرح باسمه غير أن المتلقي استطاع تحديده عن طريق الضمير المتصل "في أشكلت ".

ويقول:" **إذا سكلت طريقا غير مسلوك في برزخ بين العقل والقلب** " [3]. من هذا المثال يتضح أن **'سعيد النورسي'** يخاطب نفسه وفي نفس الوقت يخاطب أتباعه من طلابه، وهي ليست بحاجة إلى السياق اللغوي أو السياق المقامي لمعرفة مرجعها الحقيقي لأن العلاقة حقيقية بينها وبين مرجعها، في خطاباته '، وقد حددها منذ بداية خطابه بمفاتيح المقدمة أو بالنقاط الخمس .

يحيل هذا المرجع على واقعية لسانية خارجية تسيج علاقة الدال بالمدلول. ومن ثم لا يمكن أن يتحقق معنى الشيء، وتتعين هويته، إلا بمعرفة ظروف التواصل وشروطه المميزة. فإذا أخذنا على سبيل المثال هذا الملفوظ اللغوي عند 'بديع الزمان' :" **اعلم أني حصلت في أربعين سنة في سفر العمر وثلاثين سنة في سير العلم أربع كلمات، وأربع جمل** ."[4] إذا كنا نعرف بأن **'النورسي'** هو الذي قال هذه الجملة، فضمير المتكلم يعود عليه إحالة وسياقا ومقاما؛ أي: إن ضمير المتكلم هو **'النورسي'**[5]. وإذا لم نكن نعرف متلفظ هذه الجملة فإننا لن

---

[1] ـ النورسي:المثنوي العربي النوري :مرجع سابق ، ص 34.
[2]ـ المرجع نفسه ،ص35.
[3] ـ المرجع نفسه ،ص 35.
[4] النورسي: المثنوي العربي النوري، مرجع سابق ، ص 105.
[5] جميل حمداوي ، المقـــاربة التداولية في الأدب والنقـــد : من http://www.diwanalarab.com بتصرف

نعرف بتاتا على من يعود ضمير المتكلم؛ وهكذا يتبين لنا بأن الضمائر تتحدد دلالة وإحالة ومرجعا بوجود أطراف التلفظ والتواصل.

تبرز الذات المتكلمة في حواره مع المتلقي، ذلك بمجرد تلفظه باستعمال ضمير المتكلم يكون قد وضع أمامه وبطريقة آلية شخص هو "**الأنت**". [1] **'سعيد النورسي'** هنا يخاطب نفسه أيضا وهي "**الأنت**" لأن نفسه منفصلة عنه، يقول: " **إن المناظرة بين ذينك السعيدين – سعيد القديم وسعيد الجديد – كانت دافعة للشيطان قاهرة للنفس** "[2] .وهو يسعى لخلق علاقة حميمة بينه وبين القارئ بحكم الاشتراك في الاهتمامات، حيث تتجسد درجة قلب المتلقي منه بصفة خاصة في قوله: " **كن من شئت فلا نفسك اطغى وأعصى من نفسي ولا شيطانك أغوى وأشقى من شيطاني** " أي أنك بقراءة رسائلي ستتغير مثلما تغيرت من سعيد القديم إلى سعيد الجديد الذي بحث عن الحقيقة، فيأنس المخاطب لما يبدي من ثقة وعناية .[3]

فتزداد درجة القرب والألفة بتوجيه النصائح باستعمال ضمير المخاطب المفرد (**الأنت**) المتجسد في فعل الأمر والنهي على الخصوص مثل قوله: " اعلم " في بداية كل رسائله في المثنوي العربي النوري وقوله: " ولا تخف من تمرد النفس " ولا تحسبن براهين التوحيد .[4]فاستعمال **'سعيد النورسي'** لضمير المخاطب المفرد يشير تداوليا على أن المشاركين في الخطاب يعتبرون أنفسهم ذوي علاقة حميمة من الناحية الاجتماعية، ولما كانت **'لسعيد النورسي'** تجارب ومراحل مرّ بها في حياته –تحولات وتجارب عديدة–وهذا ظاهر من قوله: " **إذ هذه الرسالة مكالمات فجائية مع نفسي في وقت مدهش ، والكلمات إنما تولدت في أثناء مجادلة هائلة كإعصار يتصارع فيها الأنوار مع النيران .... إذ سكلت طريقا غير مسلوك في برزخ بين العقل والقلب** ."[5]

---

[1] **بلخير عمر ، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية ، منشورات الاختلاف ، ط1 ، 2003 ، ص 72.**
[2] **كليات رسائل النور ، المثنوي العربي ، مرجع سابق ، ص 31.**
[3] **طه عبد الرحمان : اللسان والميزان او التكوثر العقلي ، المركز الثقافي للنشر ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط 1 ، 1998 ، ص 241.**
[4] **النورسي ، المثنوي العربي النوري مرجع سابق ص 35/34.**
[5] **النورسي ، المثنوي العربي مرجع سابق ، ص 35.**

يظهر الدرجة التي بلغها 'سعيد النورسي' على القراء بكونه عاش التجربة بكل أنواعها، ويريد أن يسلك أتباعه ما عاشه من معرفة الحقيقة، إلا أنه قد أظهر من خلال استعماله لهذين الضميرين أنه يستوي مع القارئ، وقد كان سلوكه لهذه الاستراتيجية بهدف استمالة المتلقي وضمان إقباله على الخطاب والعمل به .

يرى إميل بنيفنست(**Émile Benveniste**) في كتابه:" قضايا اللسانيات العامة" بأن المعينات تحدد اللحظة المكانية والزمانية الآنية أثناء لحظة التلفظ بضمير التكلم؛ وإذا تأملنا هذه الجملة على سبيل المثال: يقول النورسي: ""إني قد ساقني القدر الإلهي إلى طريق عجيب ، صادفت في سيري فيه مهالك ومصائب وأعداء هائلة ، فاضطربت ، فالتجأت بمعجزي إلى ربي .. "[1] فضمير الأنا مكون إشاري يحيل على المتكلم، وهو معين؛ كون الضمائر تشكل معينا إشاريا. ، وتحيل كلمة " هناك" على سياق تواصلي مكاني، بينما تحيل كلمة" غدا" على سياق تواصلي زمني. ومن هنا، لابد من استحضار السياق المكاني والزماني والشخوصي لتحديد المعينات والمؤشرات اللغوية. وبالتالي، يستلزم الحديث عن المعينات وجود أطراف التواصل، وفعل التلفظ، والمعينات، ووجود السياق.[2]

1-2-ضمير النحن :

شكل الضمير " **نا** " في كتاب المثنوي العربي بديل للضمير نحن في ختام مقدمته بقوله:" اللهم اجعل القرآن نورا لعقولنا وارواحنا ومرشدا لأنفسنا " هذا ظاهر في كل أدعيته ومنجاته.

والضمير "**نحن**" ليس مضاعفة لمواضع مشابهة بل هو جمع ضمير (**أنا**) و(**لا أنا**) وهذه الصيغة تشكل جمعا جديدا من نمط خاص تكون فيه عناصر المجموعة غير متجانسة، و **'اللا أنا'** يحتوي على الكل ما عدا " **'أنا'** [3]" وفي المثنوي العربي النوري ضمير " **النحن** " يظهر كما يلي :

---

[1] **النورسي : المثنوي العربي النوري ، ص 104**
[2] **جميل حمداوي ، المقـــاربة التداولية في الأدب والنقـــد : من http://www.diwanalarab.com بتصرف**
[3] **بلخير عمر تحليل الخطاب المسرحي ، مرجع سابق ، ص 72.**

نحن = (أنا) و (اللا أنا) ⟸ أنا (سعيد النورسي) + اللا أنا (الفلاسفة والعلمانيين ، وطلبة رسائل النور

كما يأتي ضمير الجماعة المتكلمة في رسائل النور لاستعادة سلطته على الخطاب جزئيا، بعد أن كان قد تنازل عنها في البداية خلال تلفظه بضمير المتكلم "**الأنا** و**النحن** "في الكتابة، فدور الضمير نحن هو إكساب الخطاب مصداقية وسلطة حتى ينال حظه من القبول ، فسعيد النورسي لا ينقل تجربته مع الفلسفة والتصوف فحسب ، بل هو ينقل للمتلقي تجربة يشترك فيها كل المسلمين بصفة عامة –الإسلام والإيمان) حيث لا يتم تسجيل الاختلاف إلا ضمن الصور المشاهدة واللغة المعبرة، أما ظروف التجربة فتبقى مشتركة بين كل المسلمين تجربة معرفة الحقيقة ولهذا يقول "**سعيد النورسي** " **فلا نفسك اطغى وأعصى من نفسي ولا شيطانك أغوى وأشقى من شيطاني** "[1] . ضمير المتكلم "**نحن**" في المثنوي العربي النوري استعمل للجمع بين المتكلم والمخاطَب وهو دليل على التضامن بينهما في بنية الخطاب العميقة؛ من أمثلة ذلك ذكر في الباب الرابع المفصل في مراتب الله أكبر في القسم الثاني قوله : " سنذكر سبعا من ثلاث وثلاثين مرتبة لهذا الباب ...." **'فالنحن'** هنا عنصر إشاري يعبر عن التعاون والتضامن الموجود بين **'بديع الزمان'** ومتلقيه وأولهم تلاميذه وكأنه يقول لهم أننا فرد واحد وجماعة مشتركة وفي نفس الوقت هذا "**النحن**" يبرز تواضع **'بديع الزمان'** الذي خاض تجاربه لوحده وأشرك فيها متلقيه. ما نلحظه هو قلة استعمال هذا الضمير والسبب هو كون الرسائل كتبت **'لبديع الزمان'** ولكن أراد في فترة أن يشرك المتلقين بها، وما يبرز من الضمير " **نحن**" هو أن الإشاريات تساهم في تأسيس العلاقات الاجتماعية وتطويرها.[2] ويسمى في الشعر العربي الحديث بالالتزام الذي هو ببساطة أن يرى الأديب مشاكل أمته هي مشاكله . عليه إن كل ملفوظ يتضمن في بنيته العميقة ضمير المتكلم الذي يحيل على المرسل باعتباره صاحب القول المتلفظ به، وهو لا

[1] -النورسي: المثنوي العربي النوري ،ص 34.
[2] عبد الهادي بن ظافر الشهري مرجع سابق ، ص 287.

يحتاج إلى ذكر ضمير المتكلم ليعلم المتلقي أنه صاحب القول، لأن الكفاءة التداولية للمتلقي تسمح له باكتشاف صاحب القول .

الملاحظ أن ضمير المتكلم المفرد ورد في المثنوي العربي النوري إما ليعرف بصاحب القول أو لينجز فعلا إخباريا فمن بين النماذج التي هي مثل الحالة الاولى –التعريف بصاحب القول – : يقول :" **يا أيها الناظر في رسائلي العربية الثمان إني أول ما كتبتها إلا لنفسي ، ثم تخطرت أن هذه النعمة من شكرها نشرها ، لعل أن ينتفع بها الناس** ..."[1]

ويقول ايضا :" **إني حصلت في أربعين سنة في سفر العمر ، وثلاثين سنة في سير العلم** ..."[2]

نجد أن **'بديع الزمان'** تقريبا في بداية كل رسالة يطرح لنا تجربته ولهذا يلجأ إلى التصريح باسمه ليتأكد المخاطب من أن هذه الرسائل تجارب **'لبديع الزمان'**، وهو هنا قد أزال اللبس عن النص وكفى المتلقي عناء البحث عن العنصر الإشاري .

والضمائر ترد غير مقرونة باسم المتكلم، بل بلمفوظات إخبارية تعرّف بالمتكلم ،ولا تصرح به فهي تلمح إليه وذلك بتقديم صفاته .

مثال ذلك قوله:" **يا أيها الناظرون إني قد ساقني القدر الإلهي إلى طريق عجيب صادفت في سيري مهالك ومصائب وأعداء هائلة** ...."[3] يصف نفسه بأنه مر بتجارب، وهو يذكّر بما قاله في النقاط الأولى من مقدمته .

يظهر أن خطاب **'النورسي'** هو خطاب موضوع في سياقه لأنه يضع المتلقي أمام خطاب بسيط من حيث لغته، واسع في معانيه، يعتمد على المحسوسات والتصوير الفني، هذا لأن المرسل أراد ذلك كون لغة الكتاب

[1] النورسي : المثنوي االعربي النوري ، مرجع سابق، ص 206.
[2] المرجع نفسه: ص 105.
1- المرجع نفسه : ص 104.

موجهة إلى أعاجم، وهو متضمن بعض الإشاريات التي جعلته غامضا لعدم إحاطة المتلقي بسياقه . هذا بشهادة **'بديع الزمان'** التي سبقت أن الرسائل كلها تجارب خاصة به، يريد نقلها إلى طلاب الحقيقة.

يقول **'بديع الزمان'** في نقطة من معرفة الله عز وجل الرسالة الثانية عشر : " **يقال : إن كلامك لا يفهم بوضوح . نعم ما حيلتي ....هكذا ترد السانحات إلى القلب ...فبينما أجدني كأنني أتكلم فوق منارة عالية ، إذ بي –في أحيان أخرى " أنادي من قعر بئر عميق .**

فيا قارئي العزيز أرجو أن تلاحظ في هذه الرسالة :

أن المتلكم : هو قلبي العاجر

أما المخاطب ، فهو نفسي العاصية

بينما المستمع : هو ذلك الانسان الذي يتحرى الحقيقة "[1]

في هذه المحاورة وضّح **'سعيد النورسي'** " الأنا " وضمير " النحن " وكذاك " ضمير "الأنت"

نستخلص مما سبق أن المعينات تظهر حضوريا مع الحوار الداخلي (المنولوج) والحوار المباشر(الديالوج)

1-3-ضمائر المخاطب :

خطاب المثنوي العربي النوري موجه إلى "**الأنا**" و "**الأنت** " فطالب الحقيقة هو المتلقي وصاحب الخطاب **'بديع الزمان سعيد النورسي'**، لأن رسائله حديث نفس أشرك فيها طلاب الحقيقة، وقد وردت ضمائر المخاطب بكل أصنافها. من النماذج التي يمكن سياقها الآتي : " **اعلم أيها المتفكر المتحير المتحري إذا انتهى عملك إلى شيء أو رأيت شيء جهة من عدم التناهي ، فسبح بحمده تعالى على قربك الحق " " اعلم أيها الوهّام إذا تهاجمت عليك الأوهام ، فانظر يمينا لترى دوائر تصرف الخلاقية تتناظر متضايقة .....ثم انظر شمالا لترى النظام العام يأمر بالعدل في كل شيء** " [2] اقترن العنصر الإشاري "**أنت**" بالأمر

[1] **-النورسي : المثنوي العربي النوري ، ص 420.**
[2] **المرجع نفسه : ص 400.**

والنداء، ليحاول من خلاله المخاطَب، معرفة ما سيبته المخاطِب من حقيقة، وهو في مقام النصح لطلاب الحقيقة، بعد ما أحس بوجوب تبيينها وإظهارها لهم .

يقول **'بديع الزمان'** في رسالة حباب من عمان القرآن الحكيم في آية " **واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا** "

قال "**أنتم أعلم بأن اعدائكم الدائمين وخصومكم يحاولون تدمير شعائر الإسلام ، مما يستوجب عليكم إحياء هذه الشعائر والمحافظة عليها وإلا فستعينون _بغير شعور منكم_ العدو المتحفر للانقضاض عليكم** "[1]

يحاول **'بديع الزمان'** التأثير في المستمعين، بذكر تهاونهم في إحياء شعائر الإسلام ويحذرهم من العدو المتربص بهم، والمرسل استعمل هنا ضمير المخاطَب للجمع وهذا كي يحس المخاطِب بنوع من الذم في حين أن الأصل أنه يستخدم للمدح، والمقصد من ذلك هو أن القضية في يدي المخاطب إن أراد بها ذم فذم وذلك بترك الشعائر وان أراد بها مدح فمدح وذلك بإقامة الشعار .

ما نشير إليه هو أن خطابات **'النورسي'** ليست لشخص بعينه أو مرسل إليه بعينه بل إلى كل طلاب الحقيقة؛ وهذا ما يعطي الخطاب بعد تداولي أوسع .[2]

الجدير بالذكر أنه لو ابتعد الخطاب عن الزمان والمكان الذي أنشئ فيه –ببساطة عن سياقه– لن يتمكن المتلقي من تحديد مرجعياته، سواء تعلق الأمر بالمتلقي أو بالمخاطب، فالإشاريات عناصر سياقية لا يمكن فك شفرتها إلا من خلال السياق .[3] لهذا نجد **'بديع الزمان'** يحث على تدبر خطابه .

ضمير المخاطب في المثنوي العربي النوري يُظهر في غالبيته العلاقة الحميمة بين **'بديع الزمان'** وتلاميذه ومتلقيه –ممن يحب لهم الخير– بإيصالهم لبر الأمان حين معرفتها، وحتى لا يقعوا فيما وقع فيه هو، جاء خطابه عالي الرتبة

[1] النورسي : المثنوي العربي النوري 204.
[2] عبد الهادي بن ظافر الشهري ، المرجع السابق ، ص 288. :
[3] النذير ضبعي ، الأبعاد التداولية في مقامات الحريري ، مرجع سابق ، ص 42.

لكونه لا يعرف من يخطاب برسائله كونه منفي أو مسجون أي مبعد عن الواقع الحقيقي فهو يثبت الاحترام المتبادل بين متلقيه، عن طريق التواصل بهذه الرسائل كما يبين التقارب الخطابي مع المرسل إليه .

1-4-ضمائر الغائب في المثنوي العربي النوري :

أحصينا العديد من ضمائر الغائب في المثنوي العربي النوري، وسنقتصر على البعض منها :

في النقطة الأولى من مقدمته يقول : " **كان سعيد القديم –قبل حوالي خمسين سنة – لزيادة اشتغاله بالعلوم العقلية والفلسفية يتحرى مسلكا ومدخلا للوصول إلى حقيقة الحقائق** ..." [1] إن ضمير الغائب هنا يشير إلى **'بديع الزمان'** فهو يخاطب نفسه بضمير الغائب ويظهر تحوله وكيف كان مع تجاربه ويقول: " **وخلال سلوكه ذلك المسلك ومعاناته في دفع الشكوك ، قطع المقامات ، وطالع ما فيها ، لا كما يفعله اهل الاستغراق مع غض الابصار** ....."[2] جدير أن نبين أن استعمال ضمائر الغائب تتدخل فيه أبعاد تداولية، فالمتكلم لم يشر إلى المرجع المقصود باسمه بل أشار إليه؛ وهذا راجع إلى سلطته ومكانته الاجتماعية .

يظهر أن **'بديع الزمان'** في نقاطه كان يتحدث عن ماضيه بضمير الغائب وكأنه سعيد آخر قبل أن يتحول إلى سعيد الجديد .

تحدث في **'الرشحة الثالثة'** من **'رشحات'** من معرفة النبي عليه الصلاة والسلام بقوله: " **اعلم انه كما تصدقه الدلائل الآفاقية ، كذلك هو كالشمس يدل على ذاته بذاته ، فتصدقه الدلائل نفسه** ...."

وفي الرشحة العاشرة يقول :" **انظر واستمع ما يقول ها هو يبحث عن حقائق مدهشة عظيمة** .."[3]

لعل أبرز العوامل المؤثرة في هذا الخطاب، هو قيمة المتحدث عنه الذي هو خير البشرية **و'بديع الزمان'** يتخير ألفاظ معينة دون غيرها كباقي العلماء في تأدبهم مع الرسول عليه الصلاة والسلام وقد لجأ إلى توظيف هذا

---

[1] النورسي : المثنوي العربي النوري : ص 29.
[2] المرجع نفسه، ص 31.
[3] المرجع نفسه، ص 61/60.

العنصر الإشاري؛ لأن هناك بون شاسع بين **'النورسي'** والرسول عليه الصلاة والسلام، وعليه فإن إنتاج الخطاب تتحكم فيه كفاءة المرسل التداولية، وعوامل خارجية كعلاقة المرسل بالمرسل إليه، والمكانة الاجتماعية لطرفي العملية التخاطبية .

ما يتضح في المثنوي العربي النوري؛ أن الرسائل كتبت كحديث نفس 'لبديع الزمان' وهو يخاطب نفسه التي تغيرت بضمير الغائب وهذا حتى ينجح فعله الكلامي من هذه الرسائل–الفعل التاثيري– لأنها تتضمن في غالبيتها استراتيجية توجيهية وحجاجية تجعل للمرسل سلطة في الخطاب، نجد صيغة الأمر كثيرة، وفي خطابه الغائب لجأ إلى الاستراتيجية التلميحية .القصد منها أن في التوجيهيات لا يصرح باسم المرسل وهذا من كفاءة التأدب.

2– الإشاريات المكانية :

2–1– الإشاريات السياقية :تشكل الإشاريات السياقية (الزمانية والمكانية) النسق التواصلي لعملية التلفظ القائمة بين المتكلم بوصفه مرسِلا والمخاطب بوصفه مرسلا إليه؛ وتدلّ هذه الإشاريات بنوعيها الزمانية والمكانية على حضور المتكلم والمخاطب جنبا إلى جنب في السياق التواصلي .

تشير الصيغ الإشارية إلى أماكن معينة، ويتوقف عليها تحديد " **الإطار المكاني الذي تجري فيه عملية التواصل والتلفظ، وتواجد [كذا] لكل من المتكلم والمخاطب"**[1] **هذه الصيغ هي أسماء الإشارة وظروف المكان التي تشير إلى مكان قريب أو بعيد عن مكان المتكلم أو مركز الإشارة المكانية، بوصفها نقطة يشكل كلام المتكلم مركزها. من الصعب جدا أن يفهم معنى (هذا أو هذه أوهنا أو هنالك أو يمينا أو شمالا)، ما لم يعرف مكان المتكلم في وقت التلفظ، أو ما يسمى بالمركز الإشاري للمكان، على وفق ذلك تختص الإشاريات المكانية "بتحديد المواقع بالانتساب الى نقاط مرجعية في الحدث الكلامي، وتقاس أهمية التحديد المكاني بشكل عام، انطلاقا من الحقيقة القائلة إن هناك طريقتين رئيستين للإشارة إلى الأشياء هما: إما بالتسمية أو الوصف من جهة أولى، وإما بتحديد أماكنها من جهة أخرى"**[2]

---

[2] **سامية شوادرا ، البعد التداولي للإشاريات في سورة التوبة ، كلية الآداب واللغات ، جامعة بسكرة الجزائر ،نقلا : http://platform.almanhal.com/ 12-10-2016.**

معرفة موقع المتكلم في الخطاب بالضبط، تستلزم معرفة مكان المتكلم واتجاهه، لأن من ظروف المكان ما يستلزم فهم معناها معرفة اتجاه المتكلم فضلا عن مكانه، مثل 'يمين، شمال، أمام، خلف، وغيرها'.[1]

تختص الإشاريات المكانية بتحديد المواقع بالانتساب إلى نقاط مرجعية في الحدث الكلامي، وتساعد معرفة مكان التلفظ على تأويل الخطاب تأويلا صحيحا وفهم المعنى، وبلوغ قصد المتكلم .[2] تبرز الإشاريات المكانية في المثنوي العربي النوري في بعض الرسائل في بدايتها والبعض الآخر في نهايتها، تحيل الرسائل على مرجع خارجي يكمن في مكان إصدار الرسائل، فما تحمله من قضايا كلها طرحت في تركيا وفي العالم العربي ولهذا فمجرد معرفة نمط اللغة التي كتب بها والتي اعتمد عليها في المثنوي، وبمجرد النظر في القضايا التي يعالجها واستعماله لبعض الالفاظ —سنعرف مكان الإرسال حتما –، تساعد هذه المرجعيات في فهم النص ومعرفة القصد، وكما هو معلوم أن الخطاب يتغير حسب الواقع المكاني، وهذا بارز في نوع الخطاب الصوفي الذي تحمله الرسائل، والخاص بعلماء وصوفية المنطقة التركية والفارسية وحتى العربية، فالقارئ لرسائل النور يكتشف مكان التلفظ وبهذا يكتسب معرفة سياقية خاصة بذلك المكان .

نجد أن الاشاريات المكانية في المثنوي العربي النوري متضافرة من أجل تحديد المرجع المكاني المقصود وأن المتكلم لم يصرح بمكان الإرسال فبالاستلزام الحواري والافتراض المسبق يستنتج القارئ ذلك من خلال النص، أو أن المكان معروف أصلا لأن الرسائل ارسلت من عند **'سعيد النورسي'** وهو في منفاه أو مكان محدد عند طلابه، قد أشارت بعض الإشاريات في المثنوي العربي النوري على ذلك خاصة في المقدمة .

لقد أجاد النورسي توظيف الإشاريات المكانية في المثنوي العربي النوري توظيفا بارعا، الأمر الذي جعل الإشاريات المكانية مهيمنة في هذا المنجز الأدبي. وهي، أي الإشاريات المكانية، تدلّ على قرب المتكلم أو بعده مكانيا أو نفسيا، فقد "يميل المتكلم الى معاملة الأشياء البعيدة ماديا على أنها بعيدة نفسيا، مثلا، (**بنصوص ذلك**

[1] كاظم جاسم منصور العزاوي ، التعبير الاشاري في (الخصيبي) مقاربة تداولية ، مجلة جامعة بابل ، العلوم الانسانية ، العدد2016/1 ص 79.
[2] النذير ضبعي ، الأبعاد التداولية في مقامات الحريري ، المرجع السابق :ص 50.

القرآن الحكيم)[1]. ومع ذلك، قد يرغب المتكلم في جعل شيء قريب ماديا، مثلا، بعيدا نفسيا بقوله (**في تلك المنازل الزائلة)**[2] وعليه "فإن كلمة مثل (ذلك) لا تمتلك معنى دلاليا ثابتا ولكنها تشبع بمعنى ما في سياق المتكلم، وعلى العكس من ذلك فقد يميل المتكلم الى معاملة الأشياء البعيدة ماديا على أنها قريبة نفسيا، فبدلا من أن يشير الى مكان بعيد ب (ذلك أو تلك)، يقول (هذا أو هذه) دلالة على القرب النفسي منه[3].وعلى وفق هذا الفهم كرر **'النورسي'** استعمال اسم الإشارة (هذه) يقول:"مفتاح حل هذه الرسالة'[4]. أشار إلى القرب 'بذلك' كما في قوله :"**ولاسيما إذا ظهر ذلك الرب السرمدي**"[5] يقصد القرب ، ويقول " ثم إن ذلك الأجهل يتلبس عليه"[6] وقد استعمل في المقطع السادس ظرف المكان (هنا) الدال على القرب أيضا:"فما يُتوهم هناك ،متحثقق هنا ، ثم بعد هذا تتضاعف ...وصارت هنا حقيقة متضاعفة .."[7]. إن استثمار اسم الإشارة (هذه) ، الذي يشير الى القريب بدلا من اسم الإشارة (تلك)، الذي يشير الى البعيد في المثنوي العربي النوري، دلالة على قرب المسافة العاطفية.[8]

فالظرف (هنا) لا يشير الى مكان التكلم وإنما يشير إلى مكان وجود الأشياء المشار إليها باسم الإشارة (هذه) في جميع مقاطع القصيدة، وهو مكان بعيد عن مكان التكلم (المركز الإشاري). وقد استعمل النورسي الظرف (هنا) وإن كان المشار إليه بعيدا عنه مسافة، فهو قريب منه إحساسا وعاطفة، وهذا القرب العاطفي يسمى بالمسافة العاطفية أو الإشارة الوجدانية.[9]

---

[1] -النورسي:المثنوي العربي النوري:ص181.
[2] - المرجع نفسه:ص99.
[3] كاظم جاسم منصور العزاوي، مرجع سابق ، ص 82.بتصرف
[4] النورسي:المثنوي العربي النوري:ص103.
[5] - النورسي:المثنوي العربي النوري:ص99
[6] المرجع نفسه :ص194.
[7]-المرجع نفسه ، ص 183.
[8] محمود أحمد نحلة :آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ، دار المعرفة الجامعية، 2006،ص 23.
[9] الخطاب الشعري في أطلس المعجزات، سامية شودار، جامعة محمد خيضر، بسكرة، كلية الداب واللغات، 2014.

3-الإشاريات الزمانية

هي كل صيغة لفظية تشير إلى زمن معين يحدده السياق، قياسا على زمن التكلم الذي يشكل مركز الإشارة الزمانية في الكلام، فإن لم يعرف هذا الزمن، أي زمن التكلم، التبس الأمر على المتلقي وتعسر الفهم والتواصل . ومن هذه الصيغ الإشارية (الآن، أمس، غدا، الأسبوع الماضي، يوم ،شهر، سنة،...إلخ)، و(قبل، بعد) المقترنتان بالفعل. فهذه الصيغ الإشارية لا يفهم معناها إلا بالإشارة إلى زمن معين، قياسا إلى زمن التكلم أو مركز الإشارة الزمانية. ولأجل تحديد مرجع الإشاريات الزمانية، وفهم الخطاب فهما صحيحا، ونجاح عملية التواصل ينبغي أن يدرك المتلقي زمن التكلم، فيتخذه مرجعا يحيل عليه، لأن الإشاريات الزمانية تعمل على تأطير عملية التواصل داخل نطاقها الزمني، وتعبر عن اندماج المتكلم والمخاطب معا داخل الزمن النصي والتلفظي والتواصلي.[1]

استعمل **'بديع الزمان'** صيغا إشارية زمانية في رسائله استعمالا فنيا لا فتا للانتباه فمن ذلك ما جاء في قوله : **"كان سعيد القديم –قبل حوالي خمسين سنة– لزيادة اشتغاله بالعلوم العقلية والفلسفية يتحرى مسلكا ومدخلا للوصول إلى الحقائق ..."** [2]

استعمل المؤلف في هذه المقدمة صيغ إشارية زمانية من قبيل–قبل حوالي خمسين سنة– وقد مثل هذا العنصر، الماضي البعيد (قبل حوالي خمسين سنة) ولهذا يبدوا أن **'بديع الزمان'** سيتحدث عن تجارب تمت منذ خمسين سنة، ويستعمل **'النورسي'** إشاريات زمانية تدل على ما يسمى بالزمن الكوني الذي يشمل الفصول والسنوات والأشهر و الأيام.

استعمل **'النورسي'** في المثنوي صيغ إشارية زمانية، هي (اعلم أني حصلت في أربعين سنة في سفر العمر ، وثلاثين سنة في سير العلم[3]، الآن، آنذاك، منذ أعوام)، وقد توزعت هذه الإشاريات الزمانية على أزمنة مختلفة

---

[1] كاظم جاسم منصور العزاوي ، مرجع سابق ، ص 79.
[2] النورسي : المثنوي العربي النوري ، ص 30.
[3] -المرجع نفسه،ص105.

هي، الماضي البعيد (قبل حوالي خمسين عاما ، آنذاك)، والحاضر (الآن، يقول :"وأنت الآن بين ضغطة القبرين"[1])، وهي أزمنة لا يفهم معناها ما لم يتحدد الزمن الذي قال النورسي فيه المثنوي العربي، أو ما يسمى بزمن التكلم أو بالمركز الإشاري. فإذن يعتمد فهم هذه الصيغ الإشارية التي استعملها **'النورسي'** "على معرفة وقت الكلام ذي العلاقة".

وبمعرفة مرجع هذه الإشاريات الزمانية سيكون معنى النص مفهوما ،هذه الإشاريات تعد مدخلا لهذا البحث.[2]

فالإشاريات الزمانية من أبرز العناصر اللغوية التي تساهم في معرفة قصد المتكلم، وفهم الخطاب وهي كما أشير إليه سابقا " **كلمات تدل على زمان يحدده السياق بالقياس إلى زمان التكلم** " [3]

لذلك فإن لزمن التلفظ دور بالغ في العملية التخاطبية، إذا لم يعرف" **المرسل إليه** "لحظة التلفظ فإنه لا يستطيع معرفة الزمن الذي عاش فيه **'بديع الزمان'** ،وهذا ما يظهر في الملفوظ الآتي : " **فافتح عينيك وانظر فإن أول ما يتظاهر لنا من هذه الملكة شخص خارق له حسن صورة فائقة سيرة رائقة** ...."[4]

فهو يظهر زمانا مفتوحا لخطاباته أي عندما تقرأ فالإحالة على الزمان تستغرق مدة بقاء النص لأن هذا هو المفروض على كل مسلم النظر في شمائل الرسول عليه الصلاة والسلام فهي تشمل عصرا كاملا لا تعني لحظة التلفظ؛ لأن السياق يفرض ذلك؛ وكذا المعرفة المشتركة بين طرفي الخطاب، وفعل الأمر **'افتح'** يدل على استمرارية فتح العينين التي تنتهي هي الأخرى بإنتهاء النص .

يقول بديع الزمان " **ثم انظر إلى الماضي ذلك المزار الأكبر في ظلماته كيف استضاء بشموس الأنبياء وبنجوم الأولياء وإلى الاستقبال تلك الليلة الليلاء في ظلماته ، كيف تنور بضياء القرآن وتكشف عن بساتين الجنان** "[5]

---

[1] **المرجع السابق : ص 130.**
[2] **- كاظم جاسم منصور العزاوي ، مرجع سابق ، ص81**
[3] **محمود أحمد نحلة افاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر : مرجع سابق ، ص 19.**
[4] **النورسي : المثنوي العربي النوري ، ص 57.**
[5] **المرجع نفسه: ص58.**

يشير هنا إلى زمن استنار بنور الوحي، ولا يمكن فك إبهامه وإحالته إلى مرجعيته الأساسية، إلا إذا علمنا زمن التلفظ بها؛ والذي هو زمن ظلمات–زمن الخطاب – أراد أن يبعث فيه **'النورسي'** من نور القرآن لينقض الإيمان ، **'فالنورسي'** قصد من خطابه أن الرسول عليه الصلاة والسلام كان نور زمانه بما أتى به من وحي ونحن أنوار زماننا بهذا الوحي وبفهمه الصحيح .

يظهر أن المعينات هي الوحدات اللسانية التي لها وظيفة دلالية ومرجعية، وهذه الوحدات اللسانية هي مجموعة من العناصر التكوينية لوضعية التواصل. وتتضمن المعينات أو التعبيرات الإشارية (**deictiques**)، وذلك في المنظور اللساني واللغوي الحديث، كل ما يحيل على وضعيات التكلم والتخاطب والتواصل والتبليغ والتبادل بين المتكلم والمخاطب. وترتبط المعينات الإشارية بـ:

– الدور الذي يقوم به عاملو القول في عملية التلفظ.

– الوضع المكاني– الزماني للمتكلم والمخاطب على حد سواء[1]

إن استعمال **'النورسي'** ظرف الزمان (قبل) بوصفه إشارة زمانية قبلية تشير إلى المكان المرئي قبل وقوع التغيير عليه من جهة، والزمن غير المرئي الذي حدثت فيه التغييرات من جهة أخرى. وإن دلّ ذلك على شيء إنما يدلّ على إصرار **'النورسي'** على ديمومة المكان وبقائه ماثلا في ذهنه بقاء نفسيا، بما يشكل مسافة عاطفية أو وجدانية قريبة جدا الى حدّ التماهي مع المكان والمكين معا.[2]

وكذلك استعمل الإشارة الزمانية البعدية التي يشار فيها الى الزمن الذي لم ينقض بعد، كاستعماله الظرف (ما بعد) مصحوبا بالصيغة النحوية الدالة على المستقبل (لتصبح) في المثنوي العربي.الظاهر أن النورسي "أظهر الإشاريات الزمانية في بداية كل رسالة" والظاهر على خطابه أيضا: أنه استعمل أزمنة تخص العقيدة مثل:" المتناهية

1- جميل حمداوي ، المقـــاربة التداولية في الأدب والنقـــد : من http://www.diwanalarab.com بتصرف
2- **كاظم جاسم منصور العزاوي ، مرجع سابق ، ص81**.

ولا متناهية ، الأبد ، الأزل، ستتة أيام..." وغيرها هذا للبرهنة على الجوانب العقدية ولسياقة الحجج والبراهين الدامغة لأهل الإلحاد والتذكير لطلابه.

4- الإشاريات الاجتماعية :

تشمل الملفوظات التي تشير إلى العلاقة الاجتماعية بين المتخاطبين، من حيث إنها علاقة رسمية تشمل صيغ **التبجيل** لأصحاب المنزلة والمقام العالي، وغير رسمية تشمل **التحيات** وما يتصل بالجانب الحميمي.[1]

الإشاريات الاجتماعية تشير للعلاقة بين المتخاطبين، وتستعمل في العلاقات الرسمية، والملاحظ أن أكثر الإشاريات الاجتماعية استخداما في المثنوي العربي النوري أمثال **'عالم وصوفي، والانسان، والبشر، الرباني'** وهذه العناصر تعبر عن نوعية الخطاب في كل نص؛ وهو بهذا يشكل عدة استراتيجيات .ومن نماذج ذلك قوله: **" اعلم ومن صغر الانسان أنه يجول في خردلة حافظة ، وتصير تلك الخردلة عليه كصحراء عظيمة بسري دائما ولا يقطعها إلى جانب ."** [2]

يقول في نفس الصفحة: " **إن من أشد ظلم البشر إعطاء ثمرات مساعي الجماعة لشخص، وتوهم صدروها منه من هذا الظلم شرك خفي ..."**[3]

ما يتضح من هذين المثالين أنه يقوم بربط علاقته مع المسلم ومع العلماني، ولهذا فهو ينادي المسلم بمسماه مسلم وينادي غير المسلمين بالبشر أو بغيرهم وأحيانا يسمي الاثنين إنسان أو بشر .

نستخلص من هذا المبحث أن هناك مجموعة من العوامل السياقية التي تتحكم في استخدام الاشاريات الاجتماعية منها سلطة المرسل إليه ومكانته العلمية، كذلك علاقة المرسل بالمرسل إليه، ومكان التخاطب والمنفعة التي تخص المتكلم والفارق في السن، ولهذا الأخير دور فعال في استخدام الإشاريات الاجتماعية .[4]

---

[1] حمادي مصطفى ،تداولية الإشاريات في الخطاب القرآني ، مجلة الأثر ، العدد 26 سبتمبر 2016 ، ص 68.
[2] النورسي : المثنوي العربي النوري ، ص 178.
[3] - المرجع نفسه ، ص 178.
[4] النذير ضبعي ، الأبعاد التداولية في مقامات الحريري ، مرجع سابق ، ص 63...

نستنتج أيضا أن المعينات التي هي وحدات التلفظ ومؤشراته، ساهمت في تحيين فعل التلفظ في المثنوي العربي النوري **'إنجازا وقولا وفعلا'**، ذلك عن طريق الضمائر، وأسماء الإشارة، وظروف المكان والزمان. وبالتالي، فالمعينات عنت بتحديد مرجع الوحدات اللغوية حين عملية التلفظ والتواصل في المثنوي العربي النوري .[1]

تحمل المعينات والتعبيرات الإشارية في طياتها وظائف عدة، يمكن حصرها في الوظيفة المرجعية، حيث تحدد هذه العناصر الخطابية، وهذه الوحدات اللسانية سياق التواصل والتلفظ سواء أكان سياقا شخصيا أو سياقا مكانيا أو سياقا زمانيا. فلا يمكن دراسة المعنى بدون تحديد المرجع؛ وفي هذا الصدد، تقول **'أوريكيوني'**:" يستحيل في بعض الأحيان الوصف المناسب للأداء الكلامي دون الاهتمام بمحيطها غير الكلامي بشكل عام. لا يمكن دراسة المعنى دون تحديد صلته بالمرجع؛ ولا يمكن تحليل القدرة اللسانية بتفريغ القدرة الإيديولوجية التي تنتظم عليها، لا يمكننا وصف الإرسالية دون الاهتمام بالمقام الذي تأسس عليه، والنتائج التي تهدف إليها."[2]

المبحث الثاني : أفعال الكلام في المثنوي العربي النوري

يسعى هذا المبحث إلى تبيان الأساليب التي طبقت عليها نظرية الأفعال الكلامية التي وضع أسسها وإجراءاتها مجموعة من فلاسفة اللغة التحليليين كما ذكر سابقا . ظهرت عدة محاولات لوضع حد للركام الذي تميزت به التداولية وأهمها محاولات "**هانسون**" الذي قسّم الركام النظري للتداولية إلى ثلاثة أقسام ، تخضع أساسا إلى علاقة المتخاطبين بالسياق، سنتوقف في مبحثنا هذا عند القسم الثالث الذي يتضمن نظرية الأفعال الكلامية

2/درجات التداولية :

يمكن أن نقسم التداولية إلى ثلاث درجات، كل درجة تهتم بالسياق، غير أن توظيفه يختلف من درجة إلى أخرى، هذه الدرجات هي :

2-1-تداولية من الدرجة الأولى :

---

[1] **جميل حمداوي ، المقـــاربة التداولية في الأدب والنقـــد : من http://www.diwanalarab.com بتصرف**
[2] **المرجع نفسه .**

تهتم هذه التداولية بالرموز والإشارات، التي تحيل على المخاطبين وإلى الزمان والمكان، تهتم بدراسة البصمات التي تشير إلى عنصر الذاتية في الخطاب، وتتحدد دلالتها من خلال السياق.

لقد تباحثنا بعض جوانب هذه الدرجة في المبحث الأول من هذا الفصل.

2-2-تداولية من الدرجة الثانية :

تتضمن دراسة الأسلوب أو الطريقة التي تعبر بواسطتها عن مسائل مطروحة، وهي تتناول كيفية انتقال الدلالة من مستوى الأسلوب الصريح إلى مستوى الأسلوب الضمني (التلميح)، أهم نظرياتها نظرية الحجاج قوانين الخطاب، مبادئ الكلام، الأقوال المتضمنة وغيرها، أما سياقها فموسع لأنه لا يهتم بمظاهر الزمان والمكان بل يتعداها إلى المبادئ والاعتقادات المتبادلة بين المتكلمين . ولقد تباحثنا بعض جوانب هذه الدرجة في الفصل الثاني من البحث

2-3-تداولية من الدرجة الثالثة : هي نظرية أفعال الكلام "**لأوستين**" التي تفيد أن الأقوال المتلفظ بها لا تصف الوضع الراهن للأشياء فحسب، بل إنها تنجز أفعالا ويكون السياق في هذه الحالة هو الذي يحدد فيما إذا تم التلفظ بجملة وصفية أو إنشائية[1] .هذه الدرجة سنعالج بعض جوانبها في هذا المبحث.

توصل العلماء المهتمون بالتداولية منهم "**أوستين**" إلى تقسيم الجمل إلى وصفية (Constatif)، وإنشائية (Performatif) فالوصفية تقابل في اللغة العربية الجملة الخبرية ويمكن الحكم عليها بالصدق أو الكذب، فهي صادقة إذا كان الوضع الذي تصفه قد تحقق في الواقع، وكاذبة إذا كان بخلاف ذلك، تنفرد الجمل الإنشائية بعدد من الخصائص لا وجود لها في الجمل الوصفية، من ذلك أنها تستند إلى ضمير المتكلم في زمن الحال، وتتضمن فعلا إنجازيا (**Actes Illocutoir**) من قبيل 'الوعد والوعيد والطلب وغيرها'، ويفيد معناها على وجه

[1] -بلقاسم دفة ، استراتيجية الخطاب الحجاجي ، مجلة المختبر ، جامعة بسكرة ، الجزائر ، عدد 10 ، 2014 ، ص 495.

الدقة إنجاز عمل، وتسمى هذه الأفعال أفعالا **إنشائية** لا تقبل الحكم عليها بمعيار الصدق والكذب؛ وإنما يتم الحكم عليها بمعيار التوفيق والإخفاق .[1]

من المرجح أن نظرية "**أوستين**" تعد النواة الأولى في ظهور التداولية الحديثة، فحين تبين "**لأوستين**" أن التمييز بين الأفعال الإخبارية (**Actes Constative**) والأدائية غير حاسم، وأن كثير من الأفعال الإخبارية تقوم بالوظيفة الأدائية ميّز حينها بين ثلاث أنواع من الأعمال اللسانية :

أ–الفعل القولي : L'acte Locutoire :

هو التلفظ بجملة تفيد دلالة ما، انطلاقا من دلالة كلماتها، إنه بعبارة أخرى فعل لقول شيء ما، والمراد بالفعل هنا؛ قول ذلك نحو تذكير المتلقين مثلا :قول **'سعيد النورسي'**: " أي أن الأستاذ الحقيقي إنما القرآن ليس إلا " [2] أي تلفظوا بهذا التركيب الذي يبرز أن القرءان هو النور الذي لا ينضب، والواجب علينا تدبره والتعلم منه وهو الذي سيفتح مشاكلنا العقدية والايمانية. هذا القول له تركيب نحوي سطحي خاضع للبنية العميقة.

ب–الفعل الإنجازي L'acte Illocutoire:

هو **'فعل أمر أو نهي أو نداء أو استفهام أو تعجب ..الخ'** إنه فعل ينجز حينما نقول شيئا ما، وهذا الفعل لا يتحقق عن طريق التلفظ بالجملة وإنما المراد بالفعل هنا إنجاز المتلفظ به طلبا، حيث نجد 'بديع الزمان' يحثّ على التدبر في الموجودات فقال :" اعلم أن هذه الموجودات **كما تشهد على وجوبه ووحدته سبحانه ..كذلك تشهد على جميع أوصافه الجلالية والجمالية والكمالية** . وقال أيضا " **أنظر كما أن الحياة برهان الأحدية ودليل وجوب الوجود فالموت دليل السرمدية والبقاء** " [3]. فأفعال الأمر تدل على أن هذا التركيب يلتمس منكم العلم والنظر للوجود فالحياة تدل على الموت والموت يدل على السرمدية هذا على سبيل المجاز .

---

[1] آن روبول ، وجاك موشلار ، التداولية اليوم علم جديد في التواصل ، ترجمة سيف الدين دغفوش ، ومحمد الشيباني ، دار الطليعة للطباعة والنشر بيروت ، ط1 ، 2003 ، ص 31.
[2] النورسي ، المثنوي العربي النوري ، ص 30
[3] المرجع نفسه ، ص 50 ، 51.

نجد أسلوب النداء الذي أكثر منه خاصة في ندائه للغافل فيقول في الرسالة الأولى 'لمعات من شمس التوحيد' : " **يا أيها الغافل المنغمس في الأسباب !" فهو نداء مجازي غرضه التعجب** [1]

في 'اللمعة الخامسة' نجده يبتدأ كلامه ب : " **انظر ! كما أن كل حرف من كتاب يدل على نفسه بمقدار حرف وبوجه واحد، ولكن يدل على كاتبه بوجوه نقّاشه بمقدار سطر** " نجد أنه يلفت أنظار المتلقي بفعل الأمر ويأمر نفسه بالنظر، وغرض الأمر المجازي هنا هو الالتماس والتعجيز .

ج –الفعل التأثيري L'acte Perlocutoire:

هو فعل إقناع المتلقي بشيء ما أو إزعاجه أو حمله على الكلام فمثلا هنا " **فيا أيها الناس هل يمكن عندكم أن لا يكون محمد عليه الصلاة والسلام ذلك الفرد الفريد ؟** [2] من كلامه هذا يقنع المتلقين بأن محمدا هو نبيّ وفريد. وذلّ على ذلك باستفهام تصوري ونداء مجازي غرضه النفي؛ أي لا يوجد مثل محمد عليه الصلاة والسلام، والفعل التأثيري نعم هذا الفرد الفريد حقيق أن يتبع. ويتبع **'النورسي'** كلامه ويقول:" **هل يستطيع تاريخكم أن يظهر فردا آخر أليق بهذا المقام من محمد عليه الصلاة والسلام** " استفهام تصوري مجازي غرضه نفي وجود شخص بمثل مقام محمد عليه الصلاة والسلام، وهذا ترغيبا للمخاطَب في معرفة النبي والإيمان بنبوته وهذا كما يعرف عند علماء العقيدة بباب النبوات .

نلاحظ أن التداولية لا تنضوي ضمن أي مستوى من مستويات اللغة إلا أنها تتداخل معها في بعض الجوانب منها :

***علم الدلالة (Sémantique)**: يشارك التداولية في دراسة المعنى على خلاف الاهتمام ببعض مستوياته.

[1] **النورسي : المثنوي العربي النوري ، ص 57.**
[2] **المرجع نفسه، ص 67.**

***تحليل الخطاب Analyse du Discours** :يلتقي مع التداولية في تحليل الحوار وتحليل الأفعال الكلامية .[1]

***اللسانيات الاجتماعية Sociolinguistique**: تشارك التداولية في تبيان العلاقة الاجتماعية بين طرفي الخطاب، والموضوع الذي يدور حول الكلام ومرتبة المحاورين وأثر السياق .

انطلاقا من تداولية الدرجة الثالثة نجد أن :

الخطاب أو النص الأدبي مهما كان نوعه أو طوله فإنه يؤدي فعلا كلاميا واحدا يسمى عند(**فاندايك**)، فعل الكلام الجامع أو الأكبر الذي تشكله سلسلة من الأفعال الكلامية الجزئية .[2]يمكن رصد الأفعال الكلامية في مثل خطابات **'بديع الزمان'** من خلال أساليب الخبر والإنشاء، والقيمة التداولية لهذه الأساليب تكمن في أن البلاغيين قد فرقوا بينها انطلاقا من علاقتها بالواقع، بالنظر إلى مقياس الصدق والكذب الذي يبحث في مدى مطابقة الكلام للواقع الخارجي أو انتفائه .[3] ونحن ننطلق من كون الأساليب الخبرية والانشائية هي انجاز لأفعال الكلام .

ذلك أن **'بديع الزمان سعيد النورسي'** لم يستعملها لنقل تجربته مع الحقيقة لمتلقي خطابه فحسب، بل لأجل حمل المتلقي للإفادة من تجربته والاتصال بكتاب الله عز وجل، وبهذا العالم الشهودي من خلال ممارسته تجربة خاصة تجسدت في إعمال النظر والفكر لآيات الله ومخلوقاته، هذا عن طريق اتباعه للقرآن وعلماء مثل **'الإمام الرباني'**-فالفعل الجامع هو النصح والإرشاد- لتحقيق إنجازية هذه الأفعال وجب توفرها على شروط

[1] -محمود أحمد نحلة : آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، مرجع سابق ، ص 10-11.
[2] العبد محمد: النص والخطاب والاتصال ، الاكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي ، القاهرة ، مصر ، ط1 ، (2005) ص 280.
[3] بوجادي خليفة : في اللسانيات التداولية ، مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم ، بيت الحكمة ، الجزائر ، ط1 ، 2009 ، ص 205.

النجاح التي تكلم عنها (**سيرل**)[1] . هذا الأخير استطاع أن يميز بين الأفعال الإنجازية المباشرة، والأفعال الإنجازية غير المباشرة، فبين أن:

الأفعال الإنجازية غير المباشرة :

هي التي تخالف فيها قوتها الإنجازية مراد المتكلم. [2] ولا يمكن للمخاطب أن يتوصل إليها إلا عبر عمليات ذهنية استدلالية متفاوتة من حيث الطول والتعقيد. [3] هذه المراحل الاستدلالية التي يمر بها الذهن هي ما تركز عليه الدراسة التداولية. مثال ذلك : إذا قال شخص لآخر: هل تستطيع أن تناولنى الملح؟ فهذا فعل إنجازى غير مباشر، إذ قوته الإنجازية الأصلية تدل على الاستفهام الذى يحتاج إلى جواب، وهو مصدر بدليل للاستفهام(هل). لكن الاستفهام غير مراد المتكلم، بل هو طلب مهذب يؤدِى معنى فعل إنجازى مباشر هو: ناولني الملح .

الغرض أو القصد الأكبر الذي أدته رسالة المثنوي العربي، يكمن في قصد الإرشاد والتوجيه ، المنبثق عن تظافر مجموعة من الأفعال الجزئية مثل الأمر والنهي والتقرير والإثبات والنفي والنداء .. إلخ . [4]

يسعى هذا المبحث كما أشرنا آنفا إلى الاستفادة من الدرس التداولي عامة ونظرية أفعال الكلام خاصة دون إغفال الدرس اللغوي التراثي، إذ أن اللغويون العرب لم يغفلوا الجانب الوظيفي التداولي في دراساتهم اللغوية فقد ربطوا اللغة بالسياق والقصد . [5]

---

[1] -آرمينكو فرانسواز : المقاربة التداولية ، تر ، سعيد علوش ، مركز الإنماء القومي بيروت ، لبنان ، دت ، ص 63 ، 66.
2- محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة فى البحث اللغوى المعاصر، ص51
3- الشهرى: استراتيجيات الخطاب، مرجع سابق ،ص 117
4 -خيرة عمامرة : مرجع سابق، ص 457.
5- محمود أحمد نحمة: آفاق جديدة في البحث المغوي المعاصر، مرجع سابق ، ص97.

حري بالبيان أن ظاهرة الخبر والإنشاء لم تكن حكرا على تخصص واحد، فقد اهتم بها الفلاسفة والبلاغيون والنحاة والأصوليون، برغم تعدد مشاربهم فإنهم يلتقون في صعيد إجرائي واحد لا سيما المتأخرين منهم، الذين توغلوا في استعمال أدوات التحليل المنطقية، وهي على قدر كبير من الدقة والتجريد."[1]

لدراسة الأفعال الكلامية في المثنوي العربي النوري يستوجب النظر إلى النص الأدبي على أنه فعل كلامي، أو مجموعة من الأفعال الكلامية المترابطة [(2)]، فهو يتكون من سلسلة من الأفعال الكلامية الجزئية البسيطة، تشكل فيما بينها حدثا كلامية.[3]

الأفعال الإنجازية المباشرة : هي التي تطابق قوتها الإنجازية مراد المتكلم، أي أن ما يقال مطابق لما يُعنى. وهي **أفعال كلامية مباشرة** : يستخدمها المتكلم رغبة في تبليغ قصده، وتحقيق هدفه الخطابي، دون إعطاء فرصة للمتلقي من التهرب أو التملص من مسؤولية الخطاب؛ لأنها لا تحتمل إلا تأويلا واحدا، وقد تعددت هذه الأفعال في المثنوي العربي النوري بتعدد المواقف الخطابية .

نجد الأفعال المباشرة طاهرة في المقدمة التي وضعها المؤلف، والتي تضمنت خمس نقاط حدثنا فيها **'بديع الزمان النورسي'** عن تاريخه القديم حين كان مشتغلا بالعلوم العقلية والفلسفة بغية الوصول إلى حقيقة الحقائق ثم حدثنا عن التحول وأسباب التحول وبمن تأثر ثم يحمد الله عز وجل في آخر النقطة الأولى من المقدمة أن وفق على جمع الطريقة مع الحقيقة بفيض القرآن وارشاده . ثم بعدها يتحدث عن مؤلفه وما جمع فيه وكيف تخلص من شيطانه وهو يتحدث في النقاط الأربعة الباقية عن المثنوي العربي النوري، وما احتوت مجموعة المثنوي العربي من مواضيع قابلة لتكون رسائل؛ يقول في آخر المقدمة:" هذه أنه على القارئ الكريم أن يضع هذه النقاط المذكورة

[1]- مسعود صحراوي: التداولية عند العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، مرجع سابق ، ص .51-50

[2]- قدور عمران : البعد التداولي للخطاب القرآني الموجه إلى بني اسرائيل ، رسالة دكتوراه ، جامعة الجزائر ، 2008 ، 2009 ، ص 96.

[3] شيتر رحيمة: تداولية النص الشعري ، جمهرة أشعار العرب نموذجا ، رسالة دكتوراه ، جامعة الحاج لخضر ، باتنة ، 2008 ، 2009 ، ص 158.

آنفا نصب عينه كيلا يبادر إلى الاعتراض". فهو بهذا وضع مفاتيح لفهم المثنوي العربي النوري، ووضع مقاما للفهم كي لا تحيد العقول أو تعترض. نجده يستعمل هذه الأفعال في الرسائل والنصوص التي احتوت على جوانب عقدية إيمانية مثل رسالة قطرة من بحر التوحيد.

تشكل عناوين رسائل المثنوي العربي النوري أفعالا إنجازية خبرية، فالعناوين لا تنفصل على ما وضعت له من تبيان حقيقة القرآن ولا تنفصل عن سياقاتها التي شكّلت فيها، أو الزمان التي انتجت فيه، بل تعد أفعالا كلامية جامعة تتداخل بوضوح في سريان العملية التبادلية والتفاعلية للخطاب، فهي نصوص جامعة ومختصرة لنصوص أوسع منها .[1]

إذا انتقلنا إلى مضمونها وجدنا الكاتب استهل مجموعة رسائله بتنبيه إخطار اعتدار ابتدأه بكلمة " **اعلم " إن هذه الرسائل نوع تفسيري شهودي لبعض الآيات القرآنية، وما فيها من المسائل أزاهير اقتطفت من جنات الفرقان الحكيم** "[2]

تتضمن الرسائل مجموعة من الأفعال الكلامية التقريرية الطلبية والابتدائية، تحمل قوة انجازية اخبارية، غرضه المتضمن في القول هو إشراك المتكلم في صحة ما يتلفظ به، لأنه يريد من نسبته الكلامية أن تناسب نسبته الخارجية ويقول في هذا " فلا يوحشك ما في عباراتها من الإشكال والإجمال والإيجاز، فكرر مطالعتها حتى ينفتح لك سر تكرار القرآن "[3] تظافرت الأفعال التقريرية الابتدائية في المثنوي العربي النوري لتخدم الفعل الكلامي المحوري، وهو التفسير الشهودي لبعض الآيات القرآنية ومعرفة أنوار القرآن . وللأفعال التقريرية أغراض حقيقية وأخرى مجازية .حملت الرسائل في بعض جملها جملا تقريرية أنجزها **'النورسي'** تحمل قوة انجازية وصفية مفادها تبيان هيئة الرجل وذلك في قوله : "**إن المناظرة الجارية بين ذينك السعيدين –سعيد القديم والجديد – كانت**

---

[1] **عمر بالخير ، معالم لدراسة تداولية وحجاجية للخطاب الصحافي الجزائري ، دكتوراه جامعة الجزائر ، 2005 ، 2006 ، ص 254.**

[2] **النورسي : المثنوي العربي النوري ، ص 34.**

[3] **المرجع نفسه ، ص 34.**

دافعة للشيطان قاهرة للنفس، حتى غدت ((رسائل النور)) طيبة حاذقة لدوي الجراحات من طلاب الحقيقة ، وأصبحت ملزمة ومسكتة لأهل الإلحاد " [1]

يظهر أن نص المثنوي ليس مجرد خطاب لتبادل الأخبار والأقوال والأحاديث، بل يهدف عبر مجموعة من الأقوال والأفعال الإنجازية إلى تغيير وضع المتلقي، وتغيير نظام معتقداته، أو تغيير موقفه السلوكي من خلال ثنائية **'افعل'** و**'لاتفعل'** .[2] بخروج الخبر لاغراضه المجازية.

كما نجده يصف موضوع كل رسالة فمثلا في الرسالة الثانية "**رشحات**" من بحر معرفة النبي عليه الصلاة والسلام ، في بداية الرسالة وضع تنبيها قال فيه: " **إن ما يعرّف لنا ربنا لا يعد ولا يحد، ولكن البراهين الكبيرة والحجج الكلية ثلاثة : أحداهما هذه الكائنات وثانيتها الآية الكبرى من هذا الكتاب وثالثتها : مفسر كتاب العالم** " ثم يتدرج في الرشحات الرشحة الأولى التي يقول فيها " **اعلم أن ذلك البرهان الناطق له شخصية معنوية عظيمة** "[3]

ثم يبدأ بوصف هذا البرهان الذي جعل له شخصية معنوية ويقول في ذلك : " **هو الذي لعظمته المعنوية صار سطح الارض مسجده، ومكة محرباه والمدينة منبره ...**" [4]

'سعيد النورسي' يعلق خطابه بالوصف والقصد منه التأثير في المخاطبين . بتقريريات معظمها ابتدائية أو طلبية وهي مجازية، الغرض منها الأمر، أو النهي أو النفي أو الفعل لجامع النصح والإرشاد.

الملاحظ أن المتكلم تعمّد استخدام الأساليب المباشرة، لأنها لا تترك للمرسل إليه مجالا للتأويل، ولا توقعه في مجال الفهم الخاطئ، وسياقات المثنوي العربي النوري تتطلب المعنى الظاهر لأنه يعالج قضايا عقدية لا تناسبها الخطابات غير المباشرة، التي تعطي الأولوية للتأدب، ومرد ذلك إلى أسباب كثيرة منها تحقيق هدف المخاطب .[5]

---

[1] -المرجع السابق: 31.
[2]- جميل حمداوي ، المقــاربة التداولية في الأدب والنقــد : من http://www.diwanalarab.com بتصرف
[3]النورسي : المثنوي العربي النوري ، ص 55.
[4] المرجع السابق ، ص 55.
[5] عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، مرجع سابق ، ص 322.

استعمل **'النورسي'** مجموعة من الحقائق ساعدته في بناء الحدث الكلامي المنجز، فالرجل استخدم مهارته البيانية، وحسّن كلامه ليجني بلاغا وتواصلا تاما، قد استعمل أفعالا كلامية تولّد منها فعل تأثيري يكمن في تقبل الحجج من طلاب النور وكذلك الملاحدة الدين يحاججهم لتبيان الإسلام والإيمان .

يظهر لنا مما سبق أن خطاب **'النورسي'** عبارة عن أفعال كلامية تتجاوز الأقوال والملفوظات إلى الفعل الإنجازي والتأثير الذي يتركه ذلك الإنجاز. من هنا نظرية الأفعال الكلامية تنبني على ثلاثة عناصر رئيسة، وهي: أولا: فعل القول، ويراد به إطلاق ألفاظ في جمل مفيدة سليمة التركيب، وذات دلالة، تحمل في طياتها حمولات قضوية وإخبارية–فعل القول هو كل رسالة المثنوي العربي النوري–. وبالتالي، تشتمل على مستوى صوتي وتركيبي ودلالي، مثل: "اعلم أيها السعيد الشقي ما هذا الغرور والغفلة ؟ ألا ترى أن ليس لك من الاختيار إلا شعرة ، وليس من الاقتدار إلا ذرة ، وليس من هذه الحياة إلا شعلة تنطفئ ...فمن كان بهذه الحالة من العجز، وفي هذه الدرجة من الحاجة، هل يتوكل على ما في يده ويعتمد على نفسه .. أو يتوكل على الله الرحمان الرحيم الذي من ظروف خزائن رحمته وصناديق نعمته : هذه الشموس وهؤلاء الأشجار ..."[1] وثانيا، الفعل المتضمن في القول: وهو الفعل الإنجازي، الذي يحدد الغرض المقصود بالقول، كصيغة الاستفهام ، والنداء وغرض الحسرة والتعجيز والتأنيب والمنجاة–الفعل الجامع هو النصح والإرشاد–. وثالثا، الفعل الناتج عن القول، وهو ما ينتج عن القول من آثار لدى المخاطب إثر فعل القول، كإقناع المخاطب، وحثه، وإرشاده، وتوجيهه، أو تضليله...وتحضر هذه المستويات الثلاثة للفعل الكلامي جميعها في الوقت ذاته، و بدرجة متفاوتة، وهي التي تجعل هذا الفعل الكلامي كاملا.[2] وهي تحمل قوة إنجازية حوارية وسياقية.

[1] النورسي : المثنوي العربي النوري : ص 191.
[2] جميل حمداوي ، المقــاربة التداولية في الأدب والنقــد : من http://www.diwanalarab.com بتصرف

يقول في ذيل الحباب :"**يا أيها الناظر في رسائلي العربية الثمان " إني أول ما كتبتها ما كتبت إلا لنفسي ، ثم تخطرت أن هذه النعمة من شُكرها نشرها ، لعل أن ينتفع بها أناس ، ثم بعد تكرار النظر فيها تفطنت فيها سرا ترددت في اظهاره من زمان ، ولكن أحس الآن سائقا لإظهاره .**"[1]

تنوعت الأفعال الكلامية في المثنوي العربي النوري بين التقريرية والطلبية، وتكثر الأفعال التقريرية كونها تحمل قوة انجازية إخبارية، وهذا يبرز سمة الأدب الديني عند **'بديع الزمان سعيد النورسي'** وشغفه بتبيان حقيقة التوحيد بأنوار القرءان التي تتطلب التقرير.

في الرسالة الخامسة التي عنونها حباب من عمان القرآن الحكيم يقول: " **على الرغم من تمكن عالم الكفر في الإغارة على العالم الإسلامي، منذ مدة مديدة فإنه لم يتغلب عليه دينيا مع جميع إمكاناته وقدراته ووسائله الحضارية وفلسفته وعلمه ومبشريّة**"[2] ويستهل في التسبيح والدعاء الذي بيّن عظمة وجلال الله عز وجل .أسلوب خبري ابتدائي، يقصد به التنبيه والتذكير، فالمخَاطب غير منكر له وهو معلوم عنده.

نجد أن من الأفعال التقريرية الخبرية قد تولدت منها قوة انجازية وصفية، يصف بها الله عز وجل ويصف بها مخلوقات الله عز وجل-العالم الشهودي-، يقول :" **إن سكون السماء وسكوتها وانتظماها واطرادها تدل على أن اهلها ليس كاهل الارض التي فيها اضطراب وتذبذب واختلافات وامتحان بمشاجرات ، بسبب اختلاط الاشرار بالأخيار واجتماع الاضداد ، بل كل أهل السماء مطيعون يفعلون ما يؤمرون .**" [3]

ونجده في غالبية رسائله يقول "**اعلم**" ثم يأتي بجانب الوصف أو الشرح قصد التعليل لموضوع الرسالة، في رسالة ذرة من شعاع هداية القرآن يقول " **اعلم أن الدليل على أن الباطن أعلى وأتم شعورا وأقوى حياة وأزين وأعلم وأكمل وأحسن وألطف من الظاهر ...وأن ما على الظاهر من الحياة والشعور والكمال وأمثالها ، إنما**

[1] **النورسي: المثنوي العربي النوري : ص 206.**
[2] **المرجع نفسه: ص 202.**
[3] **المرجع نفسه، ص 335.**

ترشح ضعيف من الباطن –لا الباطن جامد ميت اثمر حيا عليما – كون بطنك اكمل انتظاما من بيتك ، وجلدك احسن نسجا من ثوبك ، وحافظتك أتم نقشا من كتابك ..."

" اعلم أن من خلقك لا يبعد منه ولا يستغرب ان يخلق العالم بجميع ما فيه ..." [1]

فالأفعال التعبيرية تكشف خفايا النفس البشرية .

اعتمدنا في هذا المبحث على تقسيم "سيرل" " للأفعال الكلامية حيث قسمها إلى قسمين مباشرة وغير مباشرة كما سبق ذكر ذلك .

3–الأساليب في اللغة العربية :

تنقسم الجملة في اللغة العربية باعتبارات عديدة نذكر منها (باعتبار الشكل)**'فابن هشام'** يقسمها من حيث الصدارة إلى جملة (اسمية ، فعلية ، ظرفية) [2]

وتقسم باعتبار الإسناد إلى كبرى وصغرى، والكبرى هي الاسمية التي خبرها جملة ،والصغرى المبنية على المبتدأ .[3]

هناك تقسيم آخر يعتمد على المحل الإعرابي وكذلك باعتبار الإفادة. [4] ما يفيدنا في دراستنا التداولية هذه هو التقسيم المرتكز على **اعتبار المعنى**، والذي تنقسم فيه الجملة إلى خبرية وإنشائية فالخبرية كما سبق تعريفها هي كل كلام يصح أن يوصف بالصدق أو الكذب، أما الإنشائية فهو كل كلام لا يحتمل الصدق والكذب، وهو على قسمين إنشاء طلبي وهو **–النهي ،النداء ، الاستفهام ، الأمر ، التمني–**، وإنشاء غير طلبي وهو **–التعجب ، القسم ، أفعال المدح والذم، الترجي ، أفعال العقود–** .[5]

---

[1] النورسي : المثنوي العربي النوري ، المرجع السابق ، ص 300.
[2] ابن هشام ، مغني البيب عن كتاب الاعاريب ، تح ، محمد محي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية ، بيروت (د .ط) 1991 ، 1/ 433.
[3] المرجع نفسه ، ص 437 ، 438.
[4] عبد الهادي فضلي ، مختصر النحو ، دار الشروق ، جدة ، المملكة العربية السعودية ، ط7 ، 1980 ، ص 19.
[5] فاضل صالح السمرائي ، الجملة العربية تأليفها وأقسامها ، دار الفكر ، عمان ، الأردن ، ط2 ، 2007 ، ص 170.

هذا الأخير (الإنشاء) هو ما سنحاول تتبعه واستقصائه في هذا المبحث من خلال دراسة قسميه الطلبي وغير الطلبي في المثنوي العربي النوري باستنطاق تداولي يبحث في الوظيفة و التداوليات في سياقات تواصلية – استعمالية متعددة–. دون إهمال بعض الوجوه في الأسلوب الخبري .

3–1– /مفهوم الجملة غير الطلبية :

3–1–1–.تعريف الجملة غير الطلبية :

غير الطلب هو : "ما لا يستدعي مطلوبا "[1] وهذا هو الفرق بين الطلب ولكن يتفقان في أنه لا يقال لصاحبه : إنه صادق أو كاذب .[2]

3–1–2– أنواعها :

تتمثل أنواع الجملة غير الطلبية في: جملة التعجب جملة القسم، جملة المدح والذم ، أفعال العقود والترجي .

جاء في كتاب النحو الوظيفي : " **التعجب هو انفعال يعرض للنفس عند الشعور بأمر يخفى سببه، ولم يعلم ، والمعنى المصاحب له الانفعال والدهشة والحيرة** .[3]

وتمثل صيغتا (ما أفعله) و (أفعل به) التعجب القياسي .[4]

من صيغ التعجب الأخرى التي سمعت عن العرب مما لا تنضبط صيغه نذكر :

–ما حوّل من الأفعال إلى (فعُل) و الأصل فيه أن يذل على الطبائع والسجايا .

كقبح وحسن، وقد يحوّل الفعل لهذه الصيغة لأغراض متعددة منها الدلالة على التعجب .

يقول **'النورسي'** في خاتمة رسالة ذرة " **لله در! العلة والمصيبة والذلة، ما أحلاها وهي مرة !**" فهنا يتعجب بالصيغة السماعية " [5]لله درك " والصيغة القياسية ما أحلاها أي 'ما أفعل' ليكون مقصده الدهشة.

---

[1] -عبد الله النقراط ، الشامل في اللغة العربية ، دار الكتب الوطنية ، بنغازي ليبيا ، ط1 ، 2003 ، ص 152.
[2] حسين جمعة : جمالية الخبر والإنشاء ، دراسة جمالية بلاغية نقدية ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، (د.ط) ، 2005 ، ص 101.
[3] عاطف فضل محمد النحو الوظيفي ، دار المسيرة ، عمان ، الأردن ، ط1 ، 2011 ، ص 505.
[4] أمين علي السيد ، في علم النحو ، دار المعارف ، القاهرة ، ط5 ، 1994 ، ج2 ، ص 46 .
[5] -النورسي : المثنوي العربي النوري : ص 314.

وأحيانا يخرج من التعجب إلى التحسر ومثال ذلك: " **فيا حسرة على النفوس!** " [1] **هنا أسلوب إنشائي طلبي نوعه النداء المجازي وقصده التعجب** .

ما نجده كثيرا في طيّات المثنوي العربي النوري هو **'النداء'** الذي غرضه التعجب، و هو يساند المقصد الكلي المتمثل في النصح والإرشاد.

والحري بالذكر هو أن الأسلوب الإنشائي بمجرد النطق به يتحقق في الواقع، وهو ما يراه "**أوستن**" : حين ميز بين الأفعال التقريرية والأفعال الإنجازية على أساس قدرة الملفوظ على التغيير في الواقع ؛أي الفعل التأثيري .[2]

وإن كان النداء من أنواع الجملة الطلبية الانشائية فهو يخرج به إلى أغراض أخرى مجازية، أكثرها التعجب .

3-2-الأسلوب الخبري في المثنوي العربي النوري

في جانب الأساليب المختلفة نرى **'النورسي'** يتخير من الأساليب ما يراه قادرًا على نقل أبعاد التجربة وتحقيق الجمال الفني لصياغته، يتفق مع رعاية حال قارئه. فخطابه يتردد بين الإنشاء والخبر بما لكل منهما من دور مقاصيدي في التعبير.

في مجال نظرية الأفعال الكلامية، أشار **'المتوكل'** إلى اتفاق العرب القدامى على تمييز الإنشاء من الخبر، مع الإشارة إلى تمايزهما في بعض الأحيان، فقد كان هناك اتجاهان في دراسة هذه الأساليب:

اتجاه نحوي يرى أن الكلام خبرا كله، مثل اعتبار النحاة النداء خبرا، ثم الاتجاه الذي يقسم الكلام إلى أفعال كلامية مباشرة وأخرى غير مباشرة .

قد كان لعمل "**خالد ميلاد**" أهمية في بحثه لموسوم بالإنشاء في العربية بين التركيب والدلالة، دراسة نحوية تداولية، سعى فيه إلى :"**تقصي مفهوم الإنشاء في الدرس اللغوي العربي وبيان حدوده وأصوله وفروعه في**

---

[1] **المرجع السابق: ص 298.**
[2] **مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب ، مرجع سابق ، ص 49.**

مدّها وجزرها وتولد بعضها من بعض، وذلك للوقوف عند الخصائص الدلالية للكلام الإنشائي وما يربط بينها من تركيبات إعرابية "

قسم العرب الكلام إلى: كلام خبري وكلام إنشائي. وجاء هذا التقسيم مراعيا لما سبق ذكره.

يقول **'ابن خلدون'** في الكلام الخبري ما يلي:(**ألا ترى أن قولهم (زيد جاءني) مغاير لقولهم (جاءني زيد) من قبيل أن المتقدم منها هو الأهم عند المتكلم، فمن قال: جاءني زيد، أفاد أن اهتمامه بالمجيء قبل الشخص المسند إليه، ومن قال (زيد جاءني) أفاد أن اهتمامه بالشخص قبل المجيء المسند. وكذا التعبير عن أجزاء الجملة بما يناسب المقام، من موصول أو مبهم أو معرفة، وكذا تأكيد الإسناد على الجملة**".[1]

قد عرّف الأسلوب الخبري بأنه الخطاب التواصلي المكتمل إفاديا الذي يريد المتكلم من نسبته الكلامية أن تطابق نسبته الخارجية ".[2] والجملة الإسمية والفعلية في الأسلوب الخبري الثبوت بالنسبة للاسمية والاستمرار بالنسبة للفعلية .

يقابل الفعل التقريري بمصطلحات "**سيرل** "، وقد استعمل **'سعيد النورسي'** هذا الأسلوب لتقديم مجموعة الخبرات لمعرفة الحقيقة والتفسير الشهودي للآيات في قوله :

"**فتبين أن المثنوي العربي هو مشتل رسائل النور وغرسها** " أفاد التأكيد على أن المتلقي ليس منكرا لهذه المعلومة، فقد أكدها له **'النورسي'** بمؤكد واحد، وهذا الخبر حقيقي تعلق بالسامع لأنه لا يعرف كل ما في طيات المثنوي العربي النوري –الضرب طلبي –ويقول أيضا :"**ثم شاهدت أن أولئك الأنوار الذين يمدونني في بطون أرض الظلمات ما هم إلا شعاعات شمس القرآن تمثلوا لي مصابيح** " ."**بينما رسائل النور التي هي**

[1] بلخير عمر ، بحث بعنوان نحو قراءة جديدة للتراث العربي والإسلامي بالوقوف على تداولية الأفعال الكلامية ، مقدم للمؤتمر الدولي بعنوان : خطابا لتجديد في الدراسات العربية بين النظرية والتطبيق ، 31/28 أغسطس 2013 بجامعة إمام بونجول الإسلامية ، أندونيسيا .
[2] صحراوي التداولية عند العلماء العرب ، ص 82 .

بستانه اليانع قد فتحت طريقا واسعا إلى معرفة الله بتوجهها إلى الآفاق الكونية "[1] يفيدنا **'النورسي'** بعلومة حقيقية حول رسائل النور، والخبر المجازي غرضه التعظيم والتوجيه .

ما يظهر من المثنوي العربي النوري، أن هناك مقصدان حقيقي ومجازي، فالحقيقي غرضه "الفائدة من الخبر "كما ظهر من نصوص المثنوي العربي السابقة، فهو يخبرنا بتجارب حقيقية نجهلها، كما نجد غرض لازم الفائدة –يسوق معلومة نعلمها– أما الخبر المجازي يخرج إلى أغراض نفسية أو شعورية **'للنورسي'** مثل: الفخر الشكوى، الاستعطاف، الدعاء، النصح، التهديد، الحث، التشجيع، التحقير، التهكم ..) ومن بين النصوص التي وردت في الخبر المجازي مثل:" **إن للصانع جل جلاله على كل مصنوع من مصنوعاته سكة خاصة بمن هو خالق كل شيء: وعلى كل مخلوق من مخلوقاته خاتم خاص بمن هو صانع كل شيء ".** [2] أسلوب خبري مجازي غرضه التعجيز، الذي هو إعجاز الخالق سبحانه عز وجل في الخلق .

ويقول في موضع آخر: " **إن التوحيد توحيدان توحيد عامي وتوحيد حقيقي "**[3] خبر مجازي الغرض منه التقسيم، والتصنيف. ويقول في موضع آخر: " **إن التواضع قد ينافي تحديث النعمة وقد ينجر تحديث النعمة إلى الكبر والغرور فلا بد من الدقة والإمعان وترك الإفراط والتفريط "**[4] خبر مجازي غرضه النصح والإرشاد قصد منه التواضع .

فكل هذه الأمثلة لا يعدو فيها **'بديع الزمان'** إلا ناقلا لخبراته حول معرفة أنوار الله والحقيقة وأنوار القرآن من جهة أخرى فإننا نلمس في المثنوي العربي النوري ورود بعض الأساليب الخبرية المؤكدة–ضرب طلبي أو انكاري– كقوله مثلا : " **لقد كان في سياحته وسلوكه ذلك السلوك في تلك المقامات، ساعيا بالقلب تحت نظارة العقل "** [5] ويقول: "**ولقد فهمت من فيض القرآن الحكيم أن كل جزء من أجزاء الكائنات**

---

[1] **النورسي : المثنوي العربي النوري ، مرجع سابق ص 32.**
[2] **المرجع نفسه ، ص 41**
[3] **-المرجع نفسه ، ص 40**
[4] **المرجع نفسه :ص 375.**
[5] **النورسي ، المثنوي العربي النوري ، مرجع سابق ، ص 31.**

يشهد للواجب الوجود الواحد الأحد الصمد بقريب من خمسة وخمسين لسانا ..."[1] هنا الضرب انكاري فيه أكثر من مؤكد مقصده التعجيز .

يقول أيضا : "**اعلم أنك قد تفهمت من الدروس السابقة أن القرآن الذي جاء من خالق هذه السموات والأجرام العلوية .....له مقامات ووظائف كثيرة " وكذلك إن دلائل النبوة الأحمدية لا تعد ولا تحد "** ثم يواصل قوله حتى: **"أشرت بفهمي القاصر إلى مقدار أربعين وجه من وجوه إعجاز القرآن "**[2]

يتبين أن غرض الأمثلة السابقة هو النصح والإرشاد والتعجيز كون **'بديع الزمان'** مرشد معلم يسوق إعجاز كتاب الله بلغة مقاصيدية خاصة، وهو ناقل لدلالة الكتاب والسنة بخطاب خبري لا يحتمل الكذب.

يقول **'النورسي'** في موضع آخر: " إنك صنعة لطيفة وأثر نظيف نزيه لمن فطر السموات والأرض " تأكيد بأداة التوكيد 'إن' ليكون الضرب طلبي غرضه التعظيم والتعجيز. وهذا غالب في خطابه.

فالمؤكدات التي دعمت هذه الأساليب الخبرية السابقة مثل "**قد**" و"**إنّ**" و **'لام التوكيد'** لم ترد باعتبارها ضربا من الزخرف الخارجي، وإنما هي تشكُل لغوي وظيفي بأسلوب جمالي بديع غرضه حمل المتلقي على تصديق ما يرد من أخبار، خاصة تلك المتعلقة بالصور والمشاهدة التي ترفع الإيمان وتدعو إلى الإسلام، وتأتي أهمية هذه الأخبار كونها تصدر عن شيخ متبحر في فنون العلوم، عن إمام أبدع من زمانه وتجاربه مفاهيما أوصلته إلى أنوار القرآن ومعرفة الحقيقة بكل مشاهداتها وتجلياتها.[3] نجده يبرز أهم سمات فعل الكلام القصدية والإنجازية، ونية التأثير في المتلقي سواء كان هذا المتلقي فردا أو جماعة بسياقات مختلفة، يطول المقام لذكرها.

الظاهر أن **'النورسي'** يعمد إلى الأسلوب الخبري التقريري عند ذكر الحقائق التي اكتسبها من تجاربه، ويتضح ذلك في آرائه التي ذكرها في المثنوي العربي النوري، وأتى بها في صورة أخبار مرسلة من التأكيد أو مصاحبة له تبعًا لموقف المتلقي من الحقائق، التي تحملها ومدى حرصه على تمثلها في نفسه.

إن حسن كلام **'النورسي'** في أفعاله التقريرية تُعلي حقيقته بأفعال كلامية متنوعة منها : الاستفهام حيث يترك مجالا واسعا في ذهن المتلقي من التفكر والتدبر؛ أي لا يدفعه دفعا إلى قبول الحقيقة –كأنها مقاربة بالكفاءات" ويظهر هذا من قوله في ذيل الحبة " اعلم أن القرآن كلام يفسر بعضه بعضا، كذلك إن كتاب العالم يفسر بعض آياته بعضها .فكما أن العالم الذي يحتاج احتياجا حقيقيا إلى شمس تفيض منها عليه أنوار نعمته

---

[1] -المرجع السابق ، ص 51.
[2] المرجع نفسه ، ص 69.
[3] خيرة عمامرة ، مرجع سابق ، 458 بتصرف.

كذلك العالم المعنوي يحتاج أيضا إلى شمس النبوة لفيضان أضواء رحمته تعالى، فنبوة أحمد عليه الصلاة والسلام في الظهور والوضوح والقطيعة بدرجة الشمس في وسط النهار، وهل يحتاج النهار إلى دليل ؟"[1]

ففعل التوجيه الذي هو الاستفهام ألغى القيمة التأثيرية السابقة التي أنجزها الفعل التقريري. في **رشحات** من بحر معرفة النبي عليه الصلاة والسلام؛ نجده يتابع استفهامه في قوله "فهل يمكن للنفس والشيطان أن يناقشا بدون مغالطة في مدّعيات مثل هذا الشخص، لا سيما في دعوى هي أساس كل مدعياته وهو " لا اله الا الله " بجميع مراتبه ؟[2]

ما يجب ذكره في هذا المساق أن هذه الأفعال الطلبية أو التوجيهية تتحكم فيها مجموعة من العوامل، ولعل أهمها مبدأ المنفعة (الفائدة) يقول **'ابن مالك'** في الألفية :" والخبر الجزء المتم الفائدة " بين طرفي الخطاب الذي يجعل حكم أفعال التوجيه بين الندب والاستحباب والوجوب، فإذا كانت المنفعة للمرسل تصبح أفعال التوجيه واجبة الطاعة، وإذا كانت لصالح المرسل إليه فحكمها هو الندب .[3]

3-3-الأسلوب الإنشائي الطلبي :

يعرّف أنه الكلام الذي لا يحتمل التصديق ولا التكذيب كما عرّف سابقا. ويظهر من كون الأغراض أوّ التخاطب تتأسس عند تأدية المتخاطبين لأفعال الكلام؛ لذلك أحاط العرب بظاهرة الأساليب الإنشائية إحاطة شاملة ونظامية، حيث يرى البلاغيون أن ثنائية الخبر والإنشاء هي الأصل في اللغة .والأفعال الكلامية هي أفعال حقيقية تحققها الذات المخاطبة في مقامات بارزة.[4]

توصل **'أحمد المتوكل'** في دراسته لمختلف الشروط المعتمدة في مختلف التقسيمات، إلى وضع تقسيم يتلخص في أن الكلام يمكن أن يختصر في أسلوبي: الطلب وغير الطلب، ويشمل الطلب: "الاستفهام والتمني والنداء والطلب بنوعيه: الإيجابي والسلبي".[5] إلا أن هذا التقسيم يشوبه بعض النقص لأنه أهمل النهي والأمر بهذا المسمى . وإن قصدهم بالطلب الإيجابي والسلبي فهو لم يضف شيء.

ذكر سابقا بأن "**أوستين أحد أبرز الفلاسفة التحليليين**" الذين برزت جهودهم في جامعة اكسفورد برسم مسالك جديدة للدراسات التداولية انطلاقا من أن إنشاء جملة لسانية هو في حد ذاته فعل لغوي " يحقق فعل

---

[1]- النورسي : المثنوي العربي ، مرجع سابق، 244.
[2] - نفس المرجع ، ص 59.
[3] - عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، ص 326.
[4] - بلخير عمر ، بحث بعنوان نحو قراءة جديدة للتراث العربي والإسلامي بالوقوف على تداولية الأفعال الكلامية مرجع سابق .
[5] المرجع السابق .

القول فيها أفعالا اعتقادية من قبيل "التأكيد أو الأمر أو النهي ، أو الاستفهام أو التعجب " [1] وهنا قد انتقل إلى الأغراض، فاللغة ليست مجرد أداة للإخبار والوصف بل وسيط لبناء الواقع والتأثير فيه وتحويله، عليه فموضوع البحث يرتكز على ما نفعله بالتعابير التي نتلفظ بها " [2]

تعد رسائل النور **'لسعيد النورسي'** على مقدمتها المثنوي العربي النوري الذي بين طياته فهم لأنوار القرءان ومعرفة للحقيقة وتغيير من وضع، وحل لمعضلة الإلحاد فهي ترمي لتغيير وضع ذهني، وخطة التغيير منصوص عليها في عبارات واضحة، وعلى هذا تكون رسائل النور إصلاحية ترمي إلى تغيير وضع قائم وفهم حاصل فغرضها دائما تغيير وضع، وقد قسم العرب أفعال الكلام انطلاقا من الغرض التي ترمي إليه:

1-الغرض الذي يرمي المتكلم إلى بلوغه، وهو ما يطابق مفهوم **'أوستين'** و**'سيرل'** للغرض الكلامي .

2-مختلف العلاقات التي تربط الواقع بالتمثيلات الذهنية للمتكلم .

3-وضعية المتكلم بالنسبة للمخاطب .

قسم **'الخطيب القزويني'** الكلام إلى خبر وإنشاء، ويقسم الإنشاء إلى ضربين هما: طلبي وغير طلبي ويشمل الإنشاء الطلبي : الأمر والنهي والاستفهام والنداء ، والتمني .

ويشمل الإنشاء غير الطلبي: الترجي، القسم، المدح، الذم، التعجب، وصيغ العقود .

هذه الأساليب هي أفعال كلامية بتعبير التداوليين .[3]

ما يظهر من الأسلوب الإنشائي هو إبراز مقاصد الكلام، التي تساوي الغرض عند اللغويين العرب .

في مقدمة الأساليب الإنشائية يأتي أسلوب النداء الذي يعمد إليه **'النورسي'** لجذب المخاطب إليه، ودعوته إلى تلبية طلبه والتجاوب مع من يريد لهم الخير والسعادة، لذلك النداء يتنوع بتنوع مقاصده (أغراضه) ،ويختلف باختلاف الأداة والمنادى، فالنداء في المثنوي يأتي غالبا في بداية كل رسالة، وهو متوجه إلى **'سعيد النورسي'** ، مناديا علي شخصه بالاسم والوصف قصد المناجاة والتوبيخ والنصح، واللوم. يقول: "**يا أيها السعيد اسمًا والشقي جسمًا ترجع ثمرة العدم على من صار سببا للعدم فلا حق لك في الفخر والغرور**"،[4] أو بالضمير مثل قوله: "**اعلم يا أنا أن مما أهلكك وأهواك وأهزاك وأذلك وأضلك أنك لا تعطى كل ذي حق مقدار**

---

[1] -محمد مدور: الفعال الكلامية في القرآن الكريم ، دراسة تداولية ، أطروحة دكتوراه ، جامعة الحاج لخضر باتنة ، الجزائر ، 2013 /2014 ، ص 5.

[2] -حسان الباهي: الحوار ومنهجية التفكير النقدي ، افريقيا الشرق ، المغرب ، 2004 ، ص 123.

[3] محمد مدور: مرجع سابق ، ص 7.

[4] النورسي : المثنوي العربي النوري ص: 364، ص: 242، وينظر بديع الزمان النورسي في مؤتمر عالمى حول تجديد الفكر الإسلامي (1992) سوزلر للنشر ص: 194.

حقه"،[1] أو بالنداء على مكمن الشعور فيه بقوله: "**اعلم يا قلبي أن لذائذ الدنيا وزينتها بدون معرفة خالقنا ومالكنا ومولانا ولو كانت جنة فهي جهنم**".[2] فهو ملتزم بما وضّحه في مقدمته بأن المثنوي أول ما كتب، كتبه لنفسه ناصحا لها وموجها لها —حديث نفس–، ثم ارتأى أن يظهره للناس، فهو يحاور نفسه ويوجه الخطاب إلى غيره–جعل من نفسه قدوة ومثالا–. من هذا المنطلق تكررت نداءاته إلى طلابه، وأصحاب الغفلة والضلال، وأعداء الأمة، حتى أضحى ذلك الأسلوب يمثل لونًا من ألوان التواصل الفكري بين **'النورسي'** والمخاطبين. بل صار لازمة من اللوازم التي تتردد في دعائه ومناجاته لله عز وجل .[3] الغرض من مناداة النفس هو التأنيب والتأديب والتهذيب والمناجاة، ومقصد هذا أنه من نفسه يبعث طمئنينة إلى قرائه وكأنه يقول: يا قارئي قد جربت في نفسي أولا وأنّبتها وربيتها فجرب أنت وأنبها وربها .

نجده يكثر من الأسلوب الإنشائي الطلبي، بالأخص **'الأمر'**، ففي كل بداية رسائله نجد فعل الأمر 'اعلم' أو ' أنظر' فنجده في رسالة **'رشحات'** يقول " اعلم أن القرآن خطاب ودواء لجميع طبقات البشر " [4] فهو يسلسل كلامه بصيغ **الأمر** المجازي الذي غرضه النصح والتوجيه، بغية خلق مقام حواري مع المخاطَب.

وقد أكثر من كلمة "انظر" وكأن المستمع مشاهد لما يخاطبه به **'سعيد النورسي'** سواء مشاهدة بصرية أو قلبية .

فأغلب فقراته ابتدأت بكلمة 'انظر' أو بياء النداء **'فالنورسي'** في مقامه التواصلي إما مناجيا بالنداء لنفسه أو لغيره وإما مستعملا فعل النظر بغية النظر، وإعادته قصد فهم هذه الحقيقة التي يصرِف إليها القارئ .

يقول : " فيا من يستبعد الحشر مستنكرا له ! انظر كيف ترى في كيفية إحياء الأرض مائة ألف أمثلته وإشاراته في ستة أسابيع ! [5].

فقد جمع عدة أساليب انشائية طلبية –النداء، الأمر ،الاستفهام– في جملة واحدة ليلفت نظر القارئ إلى أهمية ما يقول، وليمعن القارئ في هذه الجملة التي قصد من أساليبها المجازية التعجب والانبهار .

نجده يكثر من فعل الأمر " **اعلم** " ففي الرسالة الثانية التي عنونها " **برشحات** " يبتدأ كل رشحة بفعل الأمر "**اعلم**" عكس الرسالة الأولى التي هي " **لمعات**" حيث يبتدأ بفعل الأمر "**أنظر**" فكلمة **'اعلم'** توحي بأن **هناك**

---

[1] النورسي : المثنوي العربي النوري ص: 364، ص: 242، وينظر بديع الزمان النورسي في مؤتمر عالمى حول تجديد الفكر الإسلامي (1992) سوزلر للنشر ص: 194.
[2] النورسي : المثنوي العربي النوري ص: 203.
[3] أحمد محمد على حنطور : نظرات في الأدب الصوفي عند النورسى، أنوار الحقيقة. مباحث في التصوف والسلوك من كليات رسائل النور للنورسي ص: 176،
[4] المثنوي العربي النوري ، ص 86.
[5] النورسي : المثنوي العربي النوري ، مرجع سابق ،ص 61.

التِماس من المرسل قصد معرفة حقائق توحيد الألوهية والربوبية، ولما يقول "**أنظر**" في اللمعات يحث القارئ على إمعان النظر والتأمل في دلائل قدرة الله عز وجل ودلائل وجوده ووحدانيته في الخلق وفي الوجود كأنها مرئية أمامه–حسية–، ويقصد من هذا الأمر المجازي التعجب في غالبه. ونشير أيضا إلى أن فعل الأمر 'اعلم ' الذي يفيد الإرشاد والتعجب، يدل على أن **'النورسي'** يتعجب ممن لا يعلم ما سيقوله وممن لا يصدق والبرهان الشهودي أمامه والدليل المعنوي هو الآخر بين يديه . ففي **الرشحة** الثالثة يقول : " اعلم أنه كما تصدّقه الدلائل الآفاقية، كذلك هو كالشمس يدل على ذاته بذاته، فتصدقه الدلائل الأنفسية ." [1]

في الرشحة الرابعة يقول " اعلم أن للمحيط الزماني والمكاني تأثير عظيم في محاكمات العقول "[2] وهذا أسلوب انشائي طلبي جاء بصيغة فعل الأمر الصريح " اعلم " .وصيغة الأمر لها مقاصد وهي تصرف حسب مقامها، إلا أنها في خطابات **'سعيد النورسي'** للنصح والإرشاد والتعجب .

أحيانا يجمع بين النداء والأمر والاستفهام قصد التعجيز بأساليب انشائية طلبية مختلفة. يقول :" أيها المتفرعن ! جرّب نفسك، هل تقدر أن تملك شيئا من الكون ؟ [(3)] فأيها المتفرعن جاءت للتحقير؛ و الأمر المجازي " جرب نفسك " الذي فقد الاستعلاء والالزام يفيد التحدي؛ والاستفهام الذي هو" هل تقدر أن تملك شيئا من الكون ؟ " غرضه التعجيز وكل النص يصب في غرض التعجيز والظاهر منه النصح، والمرسِل يلفت الانتباه للحقائق الربانية .فهو يأتي بالنداء للتعجب، ثم يأتي بالأمر والاستفهام للتعجيز . فهو ينجز جملة انشائية حوارية حملت مقاصد عديدة، ما زاد من قيمتها البلاغية والحوارية .

لقد كان أسلوب الاستفهام كغيره من الأساليب الطلبية محلّ اهتمام الدراسيين المعاصرين حيث ذهب أحدهم ويدعى (كولينجوود Collngwood)) إلى التركيز على دلالات الاستفهام، إذ لاحظ هذا الدارس أهمية السؤال في حياتنا الثقافية، فإذا كانت كل معرفة في حقيقتها مجرّد جواب على سؤال معين، فإن الفعل الاستفهامي أو إثارة السؤال هو الفعل الأكثر أهمية ضمن الأفعال اللغوية.[4]

يعتبره آخرون من الآليات اللغوية التوجيهية. [5]

---

[1] المرجع السابق ، ص 72.
[2] المرجع نفسه ، ص 73.
[3] المرجع نفسه ،ص 64.
[4] محمد أديوان، "نظرية المقاصد بين حازم القرطاجني ونظرية الأفعال اللغوية المعاصرة"، مجلة الوصل معهد اللغة العربية وآدابها، تلمسان: 1994م، ع1، ص 41، ص42.
[5] ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، ط1. ليبيا: 2004م، دار الكتاب الجديد المتحدة, ص123.

هذه الأفعال الطلبية من أمر واستفهام وغيرها، مثل قوله في رسالة رشحات "الرشحة السادسة" فإن قلت : من هذا الشخص الذي نراه قد صار شمسا للكون، كاشفا بدينه عن كمالات الكائنات، وما يقول ؟.[1] نجد أن هذا القول مثلا تضمن قوة انجازية مباشرة تكمن في الاستفهام، الذي يندرج في الطلبيات عند "**سيرل**"، هو أسلوب انشائي لا يصف ولا يخبر عن شيء، بل يحدث فعلا بمجرد النطق به، لأنه الفعل التواصلي المكتمل إفاديا والذي يريد المتكلم من نسبته الكلامية أن توجد نسبته الخارجية .[2]

تضم رسائل النور جملة من الأفعال الكلامية المباشرة لعل أهمها الأمر والنهي الذين يتضمنا قوة إنجازية يحددها قصد المتكلم [3]. قد ولّدت هذه الأفعال الكلامية التي يغلب عليها طابع النصح فعلا تأثيريا، هذا ما نجده ظاهرا في الرشحة العاشرة من رشحات من بحر معرفة النبي حيث يقول: " **انظر واستمع ما يقول ها هو يبحث عن حقائق مدهشة عظيمة، وينذر البشر ويبحث عن مسائل جاذبة للقلوب ...فيا للعجب ترضى لدفع (مرقك) بترك نصف العمر والمال، ولا تهتم بما يقول هذا ويصدقه اجماع أهل الشهود وتواتر أهل الاختصاص من الأنبياء والصديقين والأولياء والمحققين** ".

نجده من خلال هذا النص يريد إيقاع المأمور به وعدم إيقاع المنهي عنه قصد توليد فعل يغلب عليه النصح ويدخل التعجب السماعي الذي مفاده كيف لا يقبل النصح من حاله دافع مال من أجل المرق وغير دافع جهد من أجل معرفة الحقيقة .

لا بد من التنبيه إلى أن مقاصد الخطاب **'النورسي'** تبرز في الكيفية المكثفة التي استخدم بها الأساليب الإنشائية، إذ لَمَّا كان الدافعُ إلى التعبير قلبيا، كان لا بد للأفكار أن تتلبس من الأساليب والصيغ ما يشي بغرضها. من هنا تواترت أساليب الأمر والنداء والاستفهام والتعجب وغيرها." [4]، وألفاظ الخبر والحال أو ما في معناهما كالبدل والتمييز والتوكيد. وفيما يلي سنرى كيف غدت الجملة النورية –ونتيجة لهذا الأمر–تستغرق حيزا يسع السطر والسطرين وأكثر، بل والفقرة أحيانا كثيرة. هذا كله لإظهار حقيقة الحقائق، وإبراز البرهان الشهودي . تحت ما يسمى بالأساليب التقريرية والإنشائية التي سبق توضيحها.

سعيا منا للوقوف على بعض الإنشائيات الأخرى ارتأينا أن نبحث في جانب النداء الذي يعد بابا من أبواب النحو العربي، حامل لأهمية تواصلية معتبرة؛ وبالرغم من أن التداوليين حاولوا تقليص أدوات النداء التي

---

[1] **النورسي : المثنوي العربي النوري ، ص 58.**
[2] **مسعود صحراوي ، التداولية عند العلماء العرب ، ص 82.**
[3] **المرجع نفسه : ، ص 150.**
[4] **سليمان عشراتي :الإحساسية في فن بديع الزمان النورسي ، http://www.hiramagazine.com/** بتصرف .

ذكرها النحاة القدماء، إلا أنهم أضافوا أداتين أخريين لما ذكره القدماء وهذا نابع من اختلاف نظرة التداوليين إلى اللغة على نظرة القدماء إليها، لم يختلف التداوليون في تمييزهم بين النداء بوصفه فعلا لغويا وبين المنادى الذي يحيل على الذات التي يوجه إليها الخطاب .[1]

*__تركيب النداء__ : النداء في النحو العربي قائم على جزأين هما أداة النداء والاسم المنادى، إذ ينبه المخاطب بـ (يا ، أيا ، هيا ، وأي ، وبالألف) هذه هي حروف النداء عند النحاة العرب القدماء، وهي نفسها عند النحاة التداوليين، غير أن التداوليين يميلون إلى تقليص بعض الأدوات الواردة في كتب النحو لأسباب منها: أنه لم يعد يستعمل في اللغة العربية المعاصرة إلا بعض الأدوات، التي من أهمها (أيها ، يا ، أ)[2] غير أن التداوليين أضافوا أداتين هما الأداة" **صفر**" ، أو "**غياب الأداة** "، والأداة (أيّ أو أيّها) [3]

القول بهاتين الأداتين في النداء عند التداوليين في أغلب الظن يرجع إلى أمور منها أنهم اشترطوا في المكون المنادى (أن يحيل على كائن حي) فامتنع عندهم أن يكون " أيّها " منادى لأنه لا يشير إلى كائن حي بذاته وتحتم عندهم أن تكون " **أيّها**" أداة نداء والمنادى هو الرجل في جملة "**أيّها الرجل أقبل** " [4] تفيد لفت الانتباه هذا هو قصدها، **و'النورسي'** يلفت الانتباه دوما لقضايا الإسلام والإيمان فيقول " يا أيتها النفس الأمارة إن لك دنيا هي قصر، واسعة مبنية بآمالك وتعلقاتك واحتياجاتك إلى الأكوان، فالحجر الأساس في ذلك القصر والأصل الأول والعمود الفريد هو وجودك وحياتك "[5] نداء مجازي القصد منه الإرشاد-ينادي غير العاقل- .

نجد التأنيب والمناجاة في قوله:" يا نفسي هذا الوجود الذي سكنته ما هو صنعتك حتى تتملك وما هو لقيطة التقطتها حتى يتملك "[6]. هذا حديث نفس يهذب به نفسه ويناجيها.

ما تجدر الإشارة إليه وما نستخلصه من هذا المبحث هو: أن المثنوي العربي النوري هو في مجمله إجابة عن تساؤلات نفسية داخلية-المناجاة-، وكذلك إجابات عن تساؤلات خارجية مجتمعية —سياقية — وإجابة عن تساؤلات طلابه، ويطرح استفهامات قصد التوجيه والإرشاد والتنبيه، والاستفهام هو طلب الفهم فإذا انتظر السائل جوابا عن سؤاله فهو استفهام حقيقي ونجده في قوله مثلا: " **من هذا الشخص الذي نراه قد صار**

---

[1] أسيل سامي أمين ، النداء بين التداولية وآراء النحاة والبلاغيين العرب القدماء ، مجلة دراسات اسلامية معاصرة ، العدد السادس ، 2012 ، ص 263.
[2] أحمد المتوكل ، الوظائف التداولية في اللغة العربية ، ط1 ، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، الدار البيضاء المغرب ، د ت ، 166..
[3] أحمد المتوكل ، مسائل النحو العربي في قضايا الخطاب الوظيفي ،ط1 ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، 2009 ، ص 111
[4] أبو بشر عثمان بن قنبر ، الكتاب ، تح- عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي، بالقاهرة ،ط3 ، 1988، 190/188/2.
[5] النورسي : المثنوي العربي النوري 130
[6] -المرجع نفسه : 126.

شمسا للكون كاشفا بدينه عن كمالات الكائنات، وما يقول ؟ "، أما إذا كان السائل لا يريد جوابا فالاستفهام مجازي لأنه جاء تعبيرا عن غرض نفسي، وليس سؤالا حقيقيا ومثال ذلك :

في رسالة **رشحات** حيث يقول في القطرة السادسة : " **نعم أين صورة أمر فضولي ناشئ أمره من أماني التمني وهو غير مسموع ؟ وأين الأمر الحقيقي النافذ المتضمن للقدرة والإرادة؟ فانظر أين؟ " يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي" فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا اتينا طائعين " وأين خطبا البشر للجمادات بصورة هديانات المبرسمين في المرض ؟ اسكني يا أرض وانشقي يا سماء وقومي أيها القيامة ؟ وكذا أين أمر أمير مطاع لجيش عظيم مطيع بـ (آرش) واهجموا على أعداء الله، وأين هذا الأمر إذا صدر من حقير لا يبالي به وبأمره ؟ أين" إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون " وأين كلام البشر؟ وكذا اين تصوير مالك حقيقي، وآمر مؤثر أمره، ونافذ حكمه " "**[1] فالقصد في كل ما جاء من استفهام في النص السابق يفيد الإعجاز في الخلق والتحقير للإنسان.

ما نستخلصه هو الآخر أنه يمكن تقسيم أفعال الكلام حسب ما يقصد بها من أغراض إنجازية إلى:

1- التقريريات: وتفيد تأكيد وإقرار المتكلم لبعض الوقائع والأحداث في الواقع الخارجي، مثل قول 'بديع الزمان' : " ...**قد ظهرت هذه المدنية السفيهة خوارق جلابة وملاهي جذابة يتساقط إليها سكان قصور الإنسان ومخدراتها ، كتساقط الفراش على النور المشرق المنقلب إلى النار المحرقة** ..[2]". احتوى خطاب **'النورسي'** على مجموعة كبيرة من النصوص التقريرية فيما يذل من أن كلامه تقريري واقعي خاصة في مجال العقيدة التي لا تتطلب إلا الحقيقة.

2- الطلبيات أو الأمريات: وتحضر في توجيه المتكلم طلبا للمخاطب لإنجاز فعل ما، مثل: "**اعلم أن العرش كالقلب** ..."في نص أخرى" **اعلم يا قلبي** ".فهو يتحاور بفعل كلام مجازي مع نفسه ويناجيها حتى تعلم، ومع قارئه حتى يعلم هو الآخر، هذا تقريبا شكّل كل بدايات فقرات نصوصه .

3- البوحيات أو الإفصاحيات: تعبر عن الحالة النفسية للمتكلم، مثل:" و قد ضاع بسوء اختياري عمري وشبابي وما بقى من ثمراتها إلا آثام مؤلمة مذلة و آلام مضرة مضلة، ووساوس مزعجة معجزة[3]".نجد أن نص المثنوي بوْحي وافصاحي بما يشبه البوح عند الصوفية، أو ما يصح أصحاب التربية والتزكية كون **'النورسي'** ليس صوفيا .

---

[1]- **النورسي : المثنوي العربي النوري ص 78.**
[2]- **المرجع نفسه : ص 191.**
[3] -**المرجع نفسه : 281.**

4- الوعديات: تفيد التزام المتكلم بإنجاز فعل في الزمان المستقبل، تظهر في المثنوي العربي من خلال عناوينه مثل:" **لمعات** ، **رشحات** ، **قطرة** .....". وكأن ' النورسي' يعد قارئه بأنه سيأخذ من رسائله **لمعات** و **رشحات وقطرات** من تفسيره الشهودي –الواقعي المحسوس- .

5- التصريحات: يقصد بها إعلان المتكلم عن إنجاز فعل يفيد تغييرا مرتقبا على مستوى العالم الخارجي، نجد **'بديع الزمان'** في مقدمة المثنوي العربي ضمنها خمس نقاط على شكل تصريحات نذكر منها ما جاء في النقطة الأولى:" **كان سعيد القديم –قبل حوالي خمسين سنة – لزيادة اشتغاله بالعلوم العقلية والفلسفية يتحرى مسلكا ومدخلا للوصول إلى حقيقة الحقائق ...فخطر على قلب ذلك السعيد القديم** [1]".

تأسيسا على ما سبق ذكره، يعمد الناقد في المقاربة التداولية حين التعامل مع النص الأدبي إلى استخلاص الأفعال الكلامية، وتصنيفها إلى الأفعال القضوية، والأفعال الإنجازية الخبرية، والأفعال السياقية، وتصنيف الجمل الأدبية حسب سياقها ومقامها الوظيفي والتداولي والمقصدي.

الخلاصة الختامية من هذا الفصل هي: أن الفعل الكلامي ينقسم إلى ثلاثة أنواع: فعل القول، والفعل المتضمن في القول، والفعل الناتج عن القول، وقد لا يدل الفعل المتضمن في القول على دلالته المباشرة، بل يفيد معنى إنجازيا آخر غير مباشر يحدده سياق القول. بتعبير آخر، للجملة الواحدة ثلاثة مستويات: محتواها القضوي، وهو مجموع معاني مفرداتها، والقوة الإنجازية الحرفية، وهي قوة مدركة مقاليا، والقوة الإنجازية المستلزمة، وهي التي تدرك مقاميا.[2] والظاهر هو أن كل الملفوظات حينما تدرج ضمن إطار نظري تداولي تعتبر وسيلة من وسائل الإسناد التركيبي وظاهرة من ظواهر الحمل التداولي ودليلا على عدم إهمال البعد الصوري في عملية الوصف اللغوي ويبرز لنا نموذج "**جاكندوف**" في أن أي نظرية تعدّ التركيب مركزيا فلا يمكن تبنيها واصفة للغات ، بل يجب على كل نظرية تصورية أن توازي بين التركيب والدلالة ، و يجب على كل نظرية واصفة للغات أن توازي بين البنية التركيبية والبنية التصورية وهذا هو البعد التداولي .[3]

[1] المرجع السابق: 29-30.
[2] جميل حمداوي : المقــاربة التداولية في الأدب والنقــد : من http://www.diwanalarab.com بتصرف
[3] ـ هذا المفهوم نقل عن الأستاذ محمد لهلال من جلسة علمية في إطار تربص في جامعة المحمدية بالمغرب وذلك يوم 2017/06/8.

الخاتمة

على ضوء البحث النظري الذي كان مستهله لمحة عن **بديع الزمان سعيد النورسي** ورسالته الموسومة بالمثنوي العربي النوري، أشرنا في الفصل الأول إلى أهم المصطلحات التي بني عليها البحث، محاولين ضبط المجال التداولي الواسع ، ثم تلته الفصول التطبيقية التي حاولنا فيها تطبيق المنهج التداولي والإجابة عن جملة من التساؤلات التي تتعلق بهذا المنهج .

و يتضح من خلال هذه الدراسة التداولية، لمدرسة اصلاحية –تجسدت في خطاب بديع الزمان سعيد النورسي، أننا نقف أمام علم موسوعي، له بصمة في علوم كثيرة منها العقيدة وعلوم القرآن فهو داعي للإيمان وللإسلام ، وإننا بهذا البحث لا نجحف هذا العالم حقه فيما قدم بخطاباته للبشرية، إذ أنه واسع المعرفة، قوي الحجة راسخ البرهان، في منهجه منطق وسدادة، وهو يجسد الأدب الإيماني وكما يقول الأستاذ **ابراهيم الذباغ** في حوار أجرته معه مجلة النور للدراسات الفكرية والحضارية : " أن رسائل النور وهج فكري وروحي جذّاب وهي بحر زخّار بالدرر واللآلئ ، إنها حافز قوي لقوانا الروحية والفكرية الجوّانية، فمهما كتبنا عنها أو كتبنا فيها فإنها تشعرنا بأننا لم نوفها حقها وأنها تنتظر منا المزيد من الكتابة لتجليتها والكشف عن أسرارها".

لقد خلصنا في دراستنا هذه إلى جملة من النتائج، نقدمها بإيجاز :

- ✓ المنهج التداولي جمع كل الدراسات اللسانية المعاصرة فهو قادر على تحليل الكلام المنطوق والمكتوب
- ✓ النصوص حينما تدرج ضمن إطار نظري تداولي تعتبر وسيلة من وسائل الإسناد التركيبي وظاهرة من ظواهر الحمل التداولي ودليلا على عدم إهمال البعد الصوري في عملية الوصف.
- ✓ السياق الاجتماعي يلعب دورا هاما في تحليل الخطاب التداولي، إذ إنه ركيزة أساسية للخطاب المكتوب، ونحن عالجنا هذه الدراسة بناء على العصر الذي عايشه بديع الزمان، وبناءً على مقامات الكلام في رسائله .

- ✓ .مقصديات بديع الزمان سعيد النورسي من خلال المثنوي العربي النوري محددة مسبقا ،من خلال النقاط الخمسة التي وضعها، حدّد رسالته والمرسل إليه، وسياق الكلام ومقامه .
- ✓ للمثنوي العربي النوري استراتيجيات خطابية متميزة، فهو ينتقل بين الإقناع وبين استراتيجية التضامن وبين بث الدليل الشرعي، وبعده العقلي و يفسر القرآن تفسيرا شهوديا .
- ✓ لقد أبدع بديع الزمان سعيد النورسي في استعمال الرمز والجانب الاستعاري والكناية مازجا الجانب الاستراتيجي لهم، وقد ركز على الباطن دون الظاهر وعلى الخفي دون الجلي كون خطابه من صميم المكاشفة، وهو في مجمله قواعد مجازية للبنية العميقة .
- ✓ للنورسي معجم لغوي خاص فهو يستعمل المصطلح الصوفي ليثبت به الإيمان ونور القرآن . ويستعمل مصطلحات أصيلة، من صميم الدين الإسلامي مشكّلا للقارئ افتراضا واستلزاما حواريا لا يمكن العدول عنه .
- ✓ السياق الاجتماعي في تركيا كان سياقا يتطلب الخطاب الباطن على الخطاب الظاهر، لهذا نجد النورسي أكثر من الرمز —متبنيا استراتيجية تلميحية حجاجية تضامنية – ليبعث رساله مشفرة لا يستطيعها إلا راسخ في العلم .
- ✓ الأفعال الكلامية في الخطاب النورسي جاءت مختلفة، ركزّ فيها على الأساليب التقريرية من جهة ، وعلى الأساليب الإنشائية المجازية من جهة أخرى، وهذا راجع للجانب الشعوري الخيالي عند النورسي، وتنوع الأغراض التي يحملها الإنشاء المجازي، بل يمكن حصر أفعال الكلام في علم المعاني .
- ✓ التذوق الأدبي للجمال الفني الذي يحسه قارئ المثنوي العربي النوري، كأنه أمام تصوير فني حقيقي ينقلك من علامات اللغة إلى التجسيد الحقيقي، بهذا فإننا نراه الأسبق إلى معرفة نظرية التصوير الفني من السيد قطب .

- ✓ دراسة التطبيقات البلاغية المؤداة عند **النورسي** لا تتأتى إلا بالمصطلحات التي وضعها عبر رسائله؛ فأنا أراه من خلال البحث مجددا لهذا العلم بل يمكن ترتيبه مع أقطابها في القرون من الخامس إلى السابع الهجري. هذا من حيث المصطلحات والمفاهيم الجديدة التي أدخلها عليها.
- ✓ يظهر من التكثيف الاستعاري في المثنوي العربي النوري أن افتراض الرسالة المسبق موجه لمن يتقن العربية ولهذا ملئت وكثفت مجازا، ونحن نجد في بداية المثنوي تصريح للنورسي يظهر أن هذه الرسالة جامعة موجزة ومشتل لكليات رسائل النور، ونجد شرح المثنوي في رسائل النوري المكتوبة بلغات أخرى مما يظهر بلاغة اللغة العربية وايجازها.
- ✓ نستنتج بأن المقاربة التداولية قادرة على دراسة النص في سياقه التخاطبي والتفاعلي والتحاوري، وذلك بالتركيز على أفعال الكلام، وعمليات التخاطب والتفاعل، والتشديد أيضا على الإحالة، والسياق والمقصدية، والوظيفة، والتأويل، والاستلزام الحواري.
- ✓ المنهج التداولي في المثنوي العربي النوري يحمل بعدا تعليميا توجيهيا تواصليا في جانبه الإنجازي، يظهر من خلال سياقه الأفعال الكلامية ومزجها بين التقريرية والطلبية؛ فهو مقاربة بين الكفاءات حيث يقر حقيقة ويترك استفهاما.
- ✓ ارتباط المنهج التداولي بعلوم معرفية أخرى، مع المساهمة الفعلية لأفعال الكلام في التواصل ونقل الوقائع الخارجية، ضف إلى ذلك مساهمة الإشارايات في عملية التواصل بمراعاة مقاصد المتكلم وظروفه وكيفية وصول الكلام إلى المخَاطب.
- ✓ إن خطاب المثنوي مندمج في الواقع ومرتبط بسياقه المرجعي والتواصلي، وقد هيمنت المعينات الإشارية الدالة على تماهي **النورسي** في واقعه الاجتماعي وحضوره الفاعل في نقل الواقع، ضمن هذا المنجز الأدبي مستعينا بالتعبير الإشاري الذي سهّل عليه تلك المهمة.
- ✓ شكّل التعبير الإشاري لدى **النورسي** ملمحا أسلوبيا في جميع جوانب المثنوي .

هذه بعض النتائج المتوصل إليها، قد عُرضت موجزة، وتبقى هذه المحاولة في حاجة ماسة إلى بحوث أخرى تدعمها وتثريها، وتنظر فيما وقع فيه وهم أو إهمال.

وختاما : نسأل الله عز وجل أن يجعل هذا البحث في ميزان حسناتنا والحمد لله ربي العالمين.

المصادر والمراجع

❖-القرآن الكريم برواية حفص.

❖مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري. صحيح مسلم- المسند الصحيح المختصر من السنن- : تح : نظر بن محمد الفاريابي أبو قتيبة. الناشر : دار طيبة: 1427 - 2006.

أ-كليات رسائل النور لبديع الزمان سعيد النورسي :

1.**بديع الزمان سعيد النورسي**: كليات رسائل النور ، تح ، قاسم الصالحي ،ط1 ، دار سوزلر للنشر 1995 مصر .

2.**بديع الزمان سعيد النورسيّ**، كليات رسائل النور، إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، تحقيق إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر للنشر، مصر، 2002 م، الطبعة الثالثة

3.**النورسي**: سيرة ذاتية ، تر ، قاسم الصالحي ، شركة سوزلر للنشر ، القاهرة ، مصر ، ط4 ، 2004 .

4.**النورسي**: صيقل الإسلام ، (أو آثار سعيد القديم) تح و تر إحسان قاسم الصالحي ، شركة سوزلر للنشر ، القاهرة مصر ، ط 3 ، 2002م .

5.**النورسي**: المكتوبات تر، احسان قاسم الصالحي ، شركو سوزلر للنشر ، القاهرة مصر ، ط3 ، 2001.

6.**النورسي**: وجوه إعجاز البيان من خلال أم القرءان ، تح ، احسان قاسم الصالحي ، تق ، عشراتي سليمان دار النعمان للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر ط1 ، مارس 2010 ، ص 55.

المصادر والمراجع باللغة العربية

1- **إبراهيم رماني**: الغموض في الشعر العربي الحديث، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية، بن عكنون، الجزائر، 1991 .

2- **أمبيرتو إيكو**: التأويل بين السيميائيات و التفكيكية، تر: سعيد الغانمي، ط1 ،المركز الثقافي العربي. الدار البيضاء 2000 .

3-**إحسان قاسم الصالحي** : الرجل ، والإعصار، سيرة ذاتية لبديع الزمان النورسي ، مطبعة النجاح الدار البيضاء ، المغرب ، ط1 ، 2008

4-**أحمد العاقد**: المعرفة والتواصل عن آليات النسق الاستعاري، ط1 ، دار أبي رقراق للطباعة والنشر ، الرابط ، 2006 .

5-**أحمد المتوكل**: قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية (البنية التحتية أو التمثيل الدلالي التداولي) ، دار الأمان ، 1 .17-16ص ، 1995 ، الرباط

6-**أحمد المتوكل** : الوظائف التداولية في اللغة العربية ، ط1 ، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، الدار البيضاء المغرب ، د ت .

7- **أحمد المتوكل** : مسائل النحو العربي في قضايا الخطاب الوظيفي ،ط1 ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، 2009 .

8-**أحمد المتوكل**: دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي(الدار البيضاء، دار الثقافة، ط1، 1986

9- **أحمد محمد على حنطور** : نظرات في الأدب الصوفي عند النورسى، أنوار الحقيقة. مباحث في التصوف والسلوك من كليات رسائل النور للنورسي .

10- **أحمد محمود نحلة** : التعريف والتنكير بين الدلالة والشكل(القاهرة، مكتبة زهراء الشرق،1999

11-**أحمد يوسف**: سيميائيات التواصل وفعالية الحوار،م مخبر السيميائيات جامعة وهران،2004 الجزائر

12-**أحمد عبد المهين** : نظرية المعرفة بين ابن عربي وابن رشد ، دار الوفاء للطباعة للنشر ، ط1 ، 2001

13-**الأخضر الصبيحي**: مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه ، الدار العربية للعلوم

14- **أدونيس**: الثابت والمتحول: تأصيل الأصول، دار العودة، ط3، بيروت 1962.

15-**أديب إبراهيم الدباغ**: سعيد النورسي رجل الايمان في محنة الطغيان ،أنوار للنشر ، استنبول ، دت

16- **الإرديس**:علم المسرحية (تر : دريني خشبة).-ط.2، الكويت، دار سعاد الصباح.

17-**آرمينكو فرانسواز** : المقاربة التداولية ، تر ، سعيد علوش ، مركز الانماء القومي بيروت ، لبنان ، دت

18-**الأزهر الزناد** : نسيج النص ، المركز الثقافي العربي ط1 ، 1993

19-**إسماعيل عز الدين**: الأسس الجمالية في النقد الأدبي، دار الفكر العربي، ط 3، 1974.

20- **أمين علي السيد** : في علم النحو ، دار المعارف ، القاهرة ، ط5 ، 1994 .

21-**آن روبول ، وجاك موشلار** : التداولية اليوم علم جديد في التواصل ، ترجمة سيف الدين دغفوش ، ومحمد الشيباني : دار الطليعة للطباعة والنشر بيروت ، ط1 ، 2003 .

22-**باختين، ميخائيل**: شعرية دوستويفسكي، ترجمة جميل نصيف التكريتي، دار توبقال، ط1 ،الدار البيضاء 1986 م

23-**باسم خيري خضير** : استراتيجيات الخطاب عند الامام علي ، ط1 ، مؤسسة علوم نهج البلاغة ، 2016 .

24- **بوجادي خليفة** : في اللسانيات التداولية ، مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم ، بيت الحكمة ، الجزائر ، ط1 ، 2009 .

25-**بول ريكور** :نظرية التأويل الخطاب وفائض المعنى، ترجمة: سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1،2003.

26- **بشر عثمان بن قنبر**: الكتاب ، تح- عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي، بالقاهرة ،ط3 ، 1988.

27- **تمام حسان**: اللغة بين المعيارية والوصفية ، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، د.ط.ت.

28-**توفيق الطويل**: فلسفة الأخلاق الصوفية عند ابن عربي ، الكتاب التذكاري

29-**ج.ب. براون وَ ج. يول**: تحليل الخطاب، ترجمة: محمد الزليطني ومنير التريكي (الرياض، جامعة الملك سعود، 1997

30-**جابر عصفور**: أفاق العصر، مهرجان القراءة للجميع، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1997م

31-**الجابري، محمد عابد**: الخطاب العربي المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، ط الخامسة، 1994.

32-**الجاحظ**: البيان و التبيين، تح: عبد السلام محمد هارون، نشر مكتبة الخانجي، القاهرة، ط5 ،1986

33–جان بياجيه : البنيوية: ترجمة عارف منيمنة وبشير أوبري، منشورات دار عويدات، بيروت– باريس ط3/ 1982

34– جبور عبد النور: المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت–لبنان، ط1 ،1979 .

35–جمال الدين فالح الكيلاني وآخرون: بديع الزمان سعيد النورسي قراءة جديدة في فكره المستنير ، دار الزنبقة ، ط1 ، القاهرة ، 2014.

36–جورج مونان: علم اللغة في القرن العشرين: ، تر .نجيب غزاوي– وزارة التعليم العالي– سوريا– ط3. ت.

37–جورج يول: التداولية ، تر ، عتي القصابي ، دار الامان ، الرابط ، ط1 ، 2010.

38–جوليا كريستيفا: علم النص، تر: فريد الزاهي، ط2 ،دار توبقال للنشر، المغرب، 1997

39– جيل سرفوني: الملفوظية ، ترجمة ، قاسم المقداد ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، 1998 .

40–ابن جني: الخصائص ، تح : محمد علي النجار ، ط عالم الكتب ، بيروت

41–ابن جني: المنصف، تحقيق: إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين، القاهرة، ط الحلبي، 1379هـ

42–حافظ اسماعيلي علوي: التداولية علم استعمال اللغة ، عالم الكتاب الحديث ، إربد ، الأردن ط1 ، 2011

43– حسان الباهي: الحوار ومنهجية التفكير النقدي ، افريقيا الشرق ، المغرب ، 2004

44–حازم القرطاجني: منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، تقديم وتحقيق ، محمد الحبيب ابن الخوجة ن دار الكتب 1 الشرقية ،د.ت

45– حسن الآمراني: النورسي أديب الإنسانية ، دار النيل للطباعة والنشر ، القاهرة ، مصر ، ط1 ، 2005 .

46–حسن الأمراني: عالمية الأدب الإسلامي ، رسائل النور أنموذجا ، ندوة تحت عنوان النورسي أديبا ، المنعقدة في الدار البيضاء،سوز للطبعة والنشر ، ط1، 2003.

47–حسن صوالحية: ينية الخطاب الصوفي من خلال الفتوحات المكية لمحي الدين ابن عربي

48–حسين الواد: قراءات في مناهج الدراسات الأدبية: – دار سراس للنشر– تونس 1985

49–حسين جمعة: جمالية الخبر والإنشاء ، دراسة جمالية بلاغية نقدية ، منشورات اتحاد الكتاب العرب دمشق ، (د.ط) ، 2005.

50–حميد حمداني: القراءة وتوليد الدلالة ، تغيير عاداتنا في قراءة النص الأدبي ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط1 ، 2003.

51–حيان التوحيدي: لإشارات الإلهية، تح وداد القاضي، دار الثقافة، بيروت، 1973.

52–رابح بوحوش: الأسلوبيات وتحليل الخطاب،مختبر جامعة عنابة ،2006،الجزائر

53– رائد سعيد أحمد بن عبد الرحمان :الفكر العقدي عند الإمام سعيد النورسي ، دار المسيرة ، عمان ، ط1 ، الأردن ، 2006/1426 .

54–رومان جاكسون : التواصل اللغوي ووظائف اللغة في : ميشال زكريا : الألسنية (علم اللغة الحديث، قراءات تمهيدية)، 1 المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، ط2 ، 1405هـ ، 1985م

55–زين الدين محمد بن بير البركوي الرومي الحنفي (ت981) إظهار الأسرار في النحو ، عني به : أنور بن أبي بكر الشيخي الداغستاني ، دار المنهاج ، بيروت لبنان ، ط1 ، 2009.

56–سعيد الحنصالي: الاستعارات و الشعر العربي الحديث، ط1 ،دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب ، 2008 .

57–سعيد بنكراد: السيميائية (مفاهيمها وتطبيقاتها)، منشورات الزمان، الرباط، المغرب، 2003

58–سعيد حسن بحيري : علم لغة النص ، المفاهيم والاتجاهات ، الشركة المصرية العامة للنشر ، القاهرة 1997

59– سمير رجب محمد : الفكر الادبي عند الداعية الإسلامي بديع الزمان سعيد النورسي ، مطبعة المدني ، القاهرة ، ط 2 ، 1995 .

60–ساطع الحصري : البلاد العربية والدولة العثمانية ، دار العلم للملايين ، ط2 ، بيروت ، دت.

61–السهيلي(ت581): نتاج الفكر في النحو، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1992.

62–شكران واحدة: الإسلام في تركيا الحديثة ، بديع الزمان النورسي ، تر محمد فاضل ، 2007 ، ص 252.

63–صابر الحباشة: مغامرة المعنى من النحو الى التداولية ، ، صفحات للطباعة والنشر ، ط1 ، 2011

64–صابر الحباشة: أسئلة التداولية ، وتداوليات الخطاب مقاربات عرفانية تداولية ، زهران للنشر ، البحرين

65–صلاح اسماعيل عبد الحق: التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد ، دار التنوير للطباعة والنشر ، بيروت لبنان ، ط1 ، 1993

66- **صلاح فضل**: نظرية البنائية في النقد الأدبي، ، منشورات دار الآفاق الجديدة- بيروت- لبنان، ص 1985/3

67-**الطاهر بومزبر**: التواصل اللساني والشعرية مقاربة تحليلة لنظرية رومان جاكبسون ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، ط1 ، 2007

68- **طه عبد الرحمان**: البحث في اللساني والسيمائي ، الدلاليات والتداوليات (أشكال وحدود) ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط ، جامعة محمد الخامس ، المغرب ، ط1 ، 1405هـ/1995

69-**طه عبد الرحمان**: اللسان و الميزان أو التكوثر العقلي، ط1 ،المركز الثقافي العربي، 1998

70- **عاطف فضل محمد**: النحو الوظيفي : دار المسيرة ، عمان ، الأردن ، ط1 ، 2011 .

71-**عبد الحميد السيد** :دراسات في اللسانيات العربية (بنية الجملة العربية التراكيب النحوية والتداولية علم النحو وعلم المعاني): ، دار الحامد، ط1 .

72-**عبد الغني النابلسي**: أسرار الشريعة ، تح محمد عبد القادر عطا ، دار الباز للنشر ، مكة المكرمة ، ط1 ، 1985

73-**عبد الرحمان النحلاوي**: أصول التربية الإسلامية وأساليبها: ، دار الفكر، دمشق، ط 2 ، 1995

74-عبد العزيز عتيق، علم البيان، دار النهضة للنشر، بيروت

75- **عبد العزيز نوار**: تاريخ الشعوب الاسلامية في العصر الحديث ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 1998م.

76-**عبد القاهر الجرجاني**: أسرار البلاغة، تح . هـ: ريتر، مطبعة وزارة المعارف، ،اسطنبول، 1954م

77- -**عبد القاهر الجرجانيّ**: كتاب أسرار البلاغة، قَرأه وعلّق عليه أبو فهر محمود محمد شاكر، دار المدني بجدة، [د. ت].

78-**عبد الله الغدامي**: الخطيئة والتكفير (من البنوية إلى التشريحية) - النادي الأدبي الثقافي- جدة- المملكة العربية السعودية- ط1/1985

79-**عبد الله النقراط**: الشامل في اللغة العربية ، دار الكتب الوطنية ، بنغازي ليبيا ، ط1 ، 2003

80-**عبد الملك مرتاض**: نظرية النص الأدبي، دار هومة، الجزائر، ط1، 2007

81-**عبد الله التل**: الأفعى اليهودية في معاقل الاسلام ، ط2 ، المكتب الاسلامي ، بيروت ،1981

82-**عبد الهادي بن ظافر الشهري**: استراتيجيات الخطاب ،دار الكتاب الجديد،ط1 ، بن غازي ، ليبيا ، 2004

83- عبد الهادي فضلي: مختصر النحو ، دار الشروق ، جدة ، المملكة العربية السعودية ، ط7 ، 1980

84-عزام محمد: النَّص الغائب – تجلّيات التّناص في الشعر العربي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق2001م

85-عشراتي سليمان : جماليات التشكيل الفني في رسائل النور ، دار النيل ، ط1 ، القاهرة ، 2005

86-على أحمد سعيد : (ادونيس التابث والمتحول) ، دار العودة ، ط 3 ، بيروت ، 1970 .

87-على القاضي : ماذا تعرف عن بديع الزمان سعيد النورسي ،دار الهداية للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة مصر ، ط1 ، 2001

88-عمار جيدل : بديع الزمان سعيد النورسي ، وإثبات الحقائق الإيمانية (المنهج والتطبيق) شركة نسل للنشر والطبع والتوزيع ، أسطمبول ، تركيا ، 2001.

89-عمار جيدل : شيخ علماء الإسلام محمد زاهد الكوثري ،كلية العلوم الإسلامية ، جامعة الجزائر

90- عمار قرفي : بديع لزمان النورسي ، حياته ، دعوته ، جهاده ، دار الشهاب للطباعة ، ط1 ، 1984 ، الجزائر .

91-عمر بلخير: تحليل الخطاب المسرحي 1 في وضوء النظرية التداولية ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، ط1.

92- عمر بلخير : تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية ، منشورات الاختلاف ، ط1 ، 2003 .

93-غزال، الأخضر أحمد: المنهجية العامة للتعريب المواكب، معهد الدراسات والأبحاث للتعريب، الرباط – المغرب، 1977م.

94- فاضل صالح السامرائي : الجملة العربية تأليفها وأقسامها ، دار الفكر ، عمان ، الأردن ، ط2 ، 2007 .

95-فاطمة الطبال بركة : النظرية الألسنية عند رومان جاكبسون دراسة ونصوص ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت الطبعة الاولى 1993 ..

96- فان ديك : النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي : تر عبد القادر قنيني ، إفريقيا الشرق ، بيروت.

97-فرنسو ارمينيكو : المقاربة التداولية ، تر ، سعيد علوش ، مركز الإنماء القومي ، 1986

98–فرديناند دي سوسير : محاضرات في الألسنية العامة: ، تر ،يوسف غازي– مجيجد النصر– دار النعمان للثقافة– جونية– لبنان– د.ط 1984.

99–فريد الانصاري : مفاتح النور ، مركز النور للدراسات والبحوث ، استانبول /تركيا ، 2004.

100–القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني: الوساطة بين المتنبي و خصومه، تح: محمد أبي الفضل إبراهيم و علي محمدالبجاوي ، منشورات المكتبة العصرية، بيروت

101–قولفجانج هيانه مان: و ديتر فيهجر ، مدخل إلى علم لغة النص، تر: سعيد بحيرى ، مكتبة زهرة الشرق والتوز4ع ط1 ، 2003 ، القاهرة ، مصر

102–ابن قتيبة: تأويل مشكل القرآن، تح: السيد أحمد الصقر، المكتبة العلمية، ط3 ،بيروت، 1981

103–كلود ليفي ستروس: الانتروبولوجيا البنيوية: – تر .مصطفى صالح– منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي– دمشق– د.ط/ 1977.

104–ليش، جيفري وَ توماس، جيني: اللغة والمعنى والسياق: البراغماتية (المعنى في السياق)(الموسوعة اللغوية، تحرير:ن. ي. كولنج، ترجمة: محي الدين حميدي وعبد الله الحميدان(الرياض، جامعة الملك سعود، 2000

105– ليلى الصباغ: تاريخ العرب الحديث والمعاصر ، مطبعة ابن حيان ، دمشق ، 1982 .

106– محسن عبد الحميد : النورسي رائد الفكر الاسلامي الحديث في تركيا ، مجلة الأمة ، ع:19 ، س 2 ، 1982 .

107–محمد العبد : النص والخطاب والاتصال ، ط1 ، الاكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي ، القاهرة 2005

108–محمد خطابي: لسانيات النص (مدخل إلى انسجام الخطاب)، ط2 ،المركز الثقافي العربي، المغرب، 2006

109–محمد علي الخولي : دراسات لغوية ، ، ط : دار العلوم ، الرياض ، 1982م

110–محمد محمد يونس علي: المعنى وظلال المعنى ، أنظمة الدلالة في العربية ، دار المدار الإسلامي ، ط2 ، 2007

111–محمد محمد يونس علي: مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، دار الكتاب الجديد المتحدة ،الامارات العربية المتحدة، ط1، 2004

112–محمد محمد يونس علي: مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، دار الكتاب الجديد المتحدة، الامارات العربية المتحدة، ط1، 2004

113- محمد مفتاح: التلقي والتأويل ، المركز الثقافي العربي ، بيروت لبنان ، ط1/36،20001.

114-محمد مفتاح: تحليل الخطاب الشعري استراتيجية التناص ، المركز الثقافي العربي ، (د.ط) الدار البيضاء المغرب

115-محمد مفتاح: مجهول البيان، ط1 ،دار توبقال للنشر، المغرب، 1990

116-محمد مهران رشوان: دراسات في فلسفة اللغة ، دار قباء للطباعة والنشر ، مصر ، د ط ، 1998

117-محمد نظيف: الحوار وخصائص التفاعل التواصلي ، دراسة تطبيقية في اللسانيات التداولية ، افريقيا الشرق للنشر ، الدار البيضاء المغرب ، 2009

118-محمد يحياتن: مدخل إلى اللسانيات التداولية ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الساحة المركزية بن عكنون ، الجزائر

119-محمد يونس علي: مدخل إلى اللسانيات. دار الكتاب الجديد المتحدة،الامارات العربية المتحدة، ط1، 2004.

120-محمد يونس: مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، دار الكتاب الجديد المتحد، بيروت، 2004

121- محمود السيد: تاريخ الدولة العثمانية وحضارتها ، مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية ، 1999.

122-محمود بن عمر الزمخشري: أساس البلاغة ، ت محمد باسل عيون السود ، منشورات دار الكتب العلمية ، بيروت ط 1 ، 1998

123-مسعود صحراوية: التداولية عند العلماء العرب ، دراسة تداولية لظاهرة الافعال الكلامية ، في التراث اللساني العربي ، درا الطليعة بيروت لبنان ، ط1 ، 2005

124-مؤيد آل صونيت: الخطاب التداولي ، دراسة في البعد التداولي ، مكتبة الحضارة بيروت ، بيروت ط1 ، 2010/

125-ناصر حامد أبو زيد: فلسفة التأويل ،دراسة في تأويل القرآن عند ابن عربي ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء المغرب ، ط5 ، 2003

126-النعيمي أحمد نوري: الحركات الاسلامية في تركيا حاضرها ومستقبلها ، دراسة حول الصراع بين الدين والدولة في تركيا ، دار البشير ، عمان ، 1992.

127-نواري سعودي أبو زيد: في تداولية الخطاب الأدبي، المبادئ والإجراء، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، سطيف، الجزائر، ط1، 2009

128–نصر السراج الطوسي: اللمع تحقيق عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي سرور، مطبعة المثنى، بغداد – دار الكتب الحديثة، القاهرة 1960

129–هيثم الأيوبي وآخرون: الموسوعة العسكرية ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، 1981

130– ابن هشام: مغني البيب عن كتاب الأعاريب ، تح ، محمد محي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية ، بيروت (د .ط) 1991.

131–أبو هلال العسكري: الصناعتين ، تح ، علي محمد البجاوي ، وأبو الفضل إبراهيم ، ط2 ، القاهرة ، مصر ، 1971

132–يونسي فضيلة: مفاهيم المقاصد وعلاقتها بالخطاب ، المركز الجامعي لبويرة.

أ-المجلات والدوريات :

1–ادريس مقبول: الاستراتيجيات التخاطبية في السنة النبوية ، مجلة كلية العلوم الإنسانية ، العدد 15 ، **2014**

2–أسيل سامي أمين: النداء بين التداولية وآراء النحاة والبلاغيين العرب القدماء ، مجلة دراسات اسلامية معاصرة ، العدد السادس ، 2012 .

3– أنمار ابراهيم أحمد: فاعلية السياق الثقافي في العملية التخاطبية، مجلة ديالى، العدد الثاني والسبعون ، 2006 .

4–أنمار ابراهيم أحمد: فاعلية السياق الثقافي في العملية التخاطبية، مجلة ديالى ، العدد الثاني والسبعون ، 2006 .

5– ايمان العامري: البعد التداولي في الخطاب الصوفي ، كتاب الوصايا لابن عربي نموذجا ، مجلة المخبر ، جامعة بسكرة ، العدد الحادي عشر ، 2015 .

6–بشير ابرير: في تعليمية الخطاب العلمي ، مجلة التواصل ، جامعة باجي مختار ، عنابة ، العدد 08 ، جوان 2001 .

7– –بلقاسم دفة: استراتيجية الخطاب الحجاجي ، مجلة المختبر ، جامعة بسكرة ، الجزائر ، عدد 10 ، 2014 .

8–جكيم ميلود: الحقيقة والغيرية في الفكر الصوفي نحو نزعة انسانية ، مجلة حوليات التراث ، جامعة مستغانم منقول من الموقع : http://ciav.univ-mosta.dz/

9- حبيب بوزوادة: ظاهرة الافعال الكلامية في الخطاب النبوي مقاربة تداولية لحجة الوداع ، مجلة جذور ، ع 35 ، اصار النادي الادبي والثقافي بجدة ، نوفمبر 2014

10- حمادي مصطفى: تداولية الإشاريات في الخطاب القرآني ، مجلة الأثر ، العدد 26 سبتمبر 2016 .

11-الخطاب الصوفي: ترجمة محمد شوقي الزين، مجلة كتابات معاصرة، العدد 44، 2001

12-

13-سليمان عشراتي: الإحساسية في فن بديع الزمان النورسي العدد 07

14-سمراء لبصير: التاويل افق استبدلي لمشروعية الخطاب الصوفي ، مجلة حوليات التراث ، جامعة لمسيلة ، العدد 2013/13

15-سيد رزق الطويل: ظاهرة التوهم في الدراسات النحوية والتصريفية، بحث منشور بمجلة كلية اللغة العربية بجامعة أم القرى، العدد الأول ، سنة 1983م .

16-شعيب حليفي: (النص الموازي و استراتيجية العنوان) ، مجلة الكرمل ، قبرص ، العدد ، 46 1992 .

17-طه عبد الرحمان: البحث في اللساني والسيمائي ، الدلاليات والتداوليات (أشكال وحدود) ، كلية الآداب والعلوم 2 الإنسانية بالرباط ، جامعة محمد الخامس ، المغرب ، ط1 ، 1405هـ/1995

18- -عبد الرحمان شهاب: " الاستعارة في البحث البلاغي، المفهوم الوصفي الإصطلاحي "، مجلة كلية الآداب، الجامعة المستنصرية، العدد: 05 ،1980 .

19- عزيز محمد عدمان: مفهوم البلاغة عند بديع الزمان سعيد النورسي ، مجلة النور للدراسات الحضارية والفكرية ، العدد 12 ، 2015 .

20-عمر بالخير: مدخل إلى دراسة بعض الظواهر التداولية في اللغة العربية (الخطاب المسرحي نموذجا) ، مجلة انسانيات ، http://insaniyat.revues.org/9668

21-العياشي أدراوي: الاستلزام الحواري في التداول اللساني ، منشورات الاختلاف ، الرابط ، ط1 ، 2011

22-عيد بلبع: الرؤية التداولية للاستعارة ، مجلة علامات العدد 23 ، جامعة المنوفية

23-غربية، عبد الجبار: التعريف والتنكير في اللغة العربية(حوليات الجامعة التونسية، العدد24، 1985

24- **كاظم جاسم منصور العزاوي**: التعبير الاشاري في (الخصيبي) مقاربة تداولية ، مجلة جامعة بابل ، العلوم الانسانية ، العدد2016/1 .

25-**لخذاري سعد**: الاستعارة، وحدة في التسمية و اختلاف في الحدود و المفاهيم ، مجلة الاثر ، العدد 20 جوان 2014 ، جامعة عبد الرحمان ميرا ، الجزائر

26-**ماري زيادة** : اللسانيات وخطاب التحليل النفسي عند جاك لاكان: تر .فاطمة طبال بركة، مجلة الفكر العربي المعاصر، العدد 23 كانون أول كانون ثاني 1983/982

27-**محسن عبد الحميد**: النورسي رائد الفكر الفكر الاسلامي الحديث في تركيا ، مجلة الأمة ، ع:19 ، س 2 ، 1982 .

28- **محمد أديوان**:"نظرية المقاصد بين حازم القرطاجني ونظرية الأفعال اللغوية المعاصرة"، مجلة الوصل معهد اللغة العربية وآدابها، تلمسان: 1994م.

29-**محمد مدور** : نظرية الأفعال الكلامية بين التراث العربي والمناهج الحديثة دراسة تداولية ، مجلة الواحات للبحوث والدراسات ، ع 16 ، قيم اللغة العربية وآدابها ، المركز الجامعي غرداية ، غرداية، الجزائر ، 2012

30-**مقال النورسي رجل الحوار والاقناع أو فصل المقال فيما بين الحوار والحجاج والاختلاف من اتصال ، أبو بكر العزاوي رفع من موقع** : **http://www.iikv.org/**

31-**يحيى أحمد** : الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة. ، مجلة عالم الفكر، العدد الثالث/ 1989

32-**يسمينة عبد السلام** : نظرية الأفعال الكلامية في ظل جهود أوستين ، مجلة المخبر ، ابحاث في اللغة والأدب الجزائري ، كلية الآداب واللغات ، جامعة بسكرة ، الجزائر ، 2014

ج-المعاجم

1-**أحمد بن فارس بن زكرياء** : مقاييس اللغة ، ت عبد السلام هارون ، ط1 ، دار الجيل ، لبنان ، 1991

2-**ابن منظور**:لسان العرب،دار صادر للطباعة والنشر،بيروت،**1965**

3-**سعيد علوش** : معجم المصطلحات الادبية المعاصرة ، منشورات دار الكتاب البناني ، الدار البيضاء ، ط1 ، 1985 .

4-**الفيومي** : المصباح المنير ؛ ، ط المكتبة العلمية ، بيروت .

د-الملتقيات والمحاضرات :

1-**إسماعيل إسماعيلي علوي** : الجمال المعنوي والفني من خلال البلبل ، مقال مقدم ، لندوة ، النورسي أديبا ، باقلام نخبة من المفكرين ، ندوة سعيد النورسي أديبا بكلية الأداب والعلوم الإنسانية ، بن مسيك ، الدار البيضاء المغرب ، يومي 18/17/ .2003. .

2-**بلخير عمر** : بحث بعنوان نحو قراءة جديدة للتراث العربي والإسلامي بالوقوف على تداولية الأفعال الكلامية ، مقدم للمؤتمر الدولي بعنوان : خطابا لتجديد في الدراسات العربية بين النظرية والتطبيق ، 31/28 أغسطس 2013 بجامعة إمام بونجول الإسلامية ، أندونيسيا .

3-**بن عيسى عبد الحليم**: مداخلة بعنوان : تداولية مبدأ التأديب في انجاز الفعل الكلامي ، ملتقى دولي بعنوان أصول المنهج التداولي في الدرس العربي والغربي من التاصيل إلى التفعيل ، كلية الآداب واللغات ، جامعة أحمد دراية أدرار ، 02/01/ديسمبر 2015.

4-**توظيف الوسائل التكنولوجية المعاصرة في تطوير الخطاب الإسلامي**" – مؤتمر اتحاد علماء المسلمين 2012

5-**جورج غريغوري** : رموز صوفية وشعرية عند بديع الزمان سعيد النورسي ، البلبل والوردة ، ندوة تحت عنوان النورسي أديبا ، المنعقدة في الدار البيضاء،سوز للطبعة والنشر ، ط1، 2003

6-**حسن الامراني** : بحوث بعنوان ، النورسي أديب الانسانية ، جامعة محمد الاول ، وجدة ، المغرب

7-**محمد خروبات**: الجمالية والجمال ، عند بديع الزمان سعيد النورسي ، ندوة النورسي أديب ، بن مسيك ، الدار البيضاء المغرب ، 2003

8-**المؤتمر العالمي الثالث والرابع لبديع الزمان سعيد النورسي** بإسطنبول أيلول سنة 1995و1998، والندوة الدولية "جهود بديع الزمان سعيد النورسي في تجديد الفكر الإسلامي" 18 مارس 1999 جامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية في الرباط – المغرب

9-**النورسي أديبا** ، باقلام نخبة من المفكرين ، ندوة سعيد النورسي أديبا بكلية الاداب والعلوم الانسانية ، الدار البيضاء المغرب ، يومي 18/17/ .2003.مختبر تحليل الخطاب بكلية الاداب والعلوم الانسانية /ابن مسيك –الدر البيضاء

-10

و- مصادر ومراجع باللغة الأجنبية:

1–. Orecchioni, **C**. **K** : Enonciation de la subjectivité dans le language.- Paris, Armand Colin .

2- **Emile Benveniste**, problème de linguistique général, t02, Gallimard, paris, 1974.

3- **Cours de linguistique générale**, Payot, Paris, 1978, F.de Saussure.

4- P. **Breton** (**1996**), l'argumentation dans la communication, paris, la découverte, .

5- **1973p120 Jean Dubois et autre** : dictionnaire de linguistique Laibrairie La roisse , Paris .

6- **Oswald Ducrt**.**JeanMaies Cheffer** :Nouveau dictionnaire encyclopedique . des science du langage Edition du seul .

7- A.**Reboul**, **J**.**Moeschler** (**1998**) **;** la pragmatique de discours, Paris, Armand Colin..

8- D.**Coste**, **R**. **Gallisson** (**1976**), Dictionnaire de didactique des langues, Paris, Hachette.

9- Dictionnaire de Linguistique Libraire Larousse

11-**Fançoise latraverse**.**la pragmatique**. Hstoire et critique .pierre mardaga. Bruxelles.

12- **Fançoise latraverse**.**la pragmatique**. Hstoire et critique .pierre mardaga. Bruxelles.

13- **Pragmatique pour le discours littéraire**: Maingueneau d.n, paris, bordas, 1990 .

ف-رسائل ماجستير ودكتوراه :

1-بلقرينة محمد : آليات الخطاب الجديدة ، مقاربة لسانية تداولية ، رسالة ماجستير ، جامعة وهران 1 –أحمد بن بلة– الجزائر ، 2015/2014

2-حسن صوالحية : بنية الخطاب الصوفي من خلال الفتوحات المكية لمحي الدين ابن عربي ، رسالة ماجستير ، جامعة الحاج لخضر باتنة ، الجزائر ، 2011

3-**حنان بنت عبيد** : الحركة اللامركزية العثمانية في المشرق العربي، رسالة ماجستير في التاريخ الاسلامي الحديث ، جامعة أم القرى ، السعودية ، 2007.

4-**دليلة قسمية** : استراتيجيات الخطاب في الحديث النبوي الشريف ، ماجستير ، جامعة باتنة ، الجزائر ، 2011، 2012

5-**زبيدة بوغواص** : الرمز في مسرح عز الدين جلاوجي، رسالة ماجستير ، جامعة الحاج لخضر باتنة كلية الآداب واللغات ، 2011

6- **الساسي عمامرة** : الخطاب الصوفي ، وغشكالاته التواصلية ، أطروحة دكتوراه ، جامعة محمد خيضر بسكرة ، تخصص علوم اللسان العربي ، الجزائر ، 2015 .

7-**عمر بلخير (2006)**: معالم لدراسة تداولية وحجاجية للخطاب الصحافي الجزائري المكتوب ما بين 1988 و2000، رسالة أعدت لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة الجزائر

8-**قدور عمران** : البعد التداولي للخطاب القرآني الموجه إلى بني اسرائيل ، رسالة دكتوراه ، جامعة الجزائر ، 2008 ، 2009 .

9-**مراد قمومية** : منهج بديع الزمان سعيد النوري في بيان اعجاز القرآن الكريم من خلال رسائل النور ، أطروحة دكتوراه ، جامعة الجزائر ، كلية العلوم الاسلامية ، 2005

10- **النذير ضبعي** : الابعاد التداولية في مقامات الحريري ، مذكرة ماجستير ، جامعة محمد خيضر بسكرة ، 2015/2014 ، ص 19/18.

11-**نور سلمان** : معالم الرمزية في الشعر الصوفي العربي ، بحث مقدم لنيل شهادة أستاذ في العلوم ، الجامعة الامريكية في بيروت ، 1954

12-**سعاد حميتي** : الخطاب الجزائري المعاصر دراسة تداولية ، بحث مقدم لنيل شهادة دكتوراه الدولة ، جامعة باتنة 1 ، الجزائر ، 2016/2015.

م- مواقع إلكترونية :

1-http://www.iikv.org/ar

2- http://ar.fgulen.com/content/view/726/74

3- http://www.bediuzzamansaidnursi.org/node/1246-

4-: http://www.aranthropos.com

5-http://www.diwanalarab.com

6- http://iikv.org/ar/nurmajalla

7-http://dergipark.ulakbim.gov.tr

8-https://omarbelkheir.wordpress.com

فهرست
الموضوعات

فهرست الموضوعات

الصفحة

مقدمة .....أ–ز

مدخل :المدونة وصاحبها 02

أولا :بديع الزمان سعيد النورسي : عصره وحياته..... 4

1–الظروف التي أوجدت رسائل النور.....4

1/1: نبذة عن الدولة العثمانية.....4

الحالة العامة لعصر النورسي..... 07

الثقافة المهيمنة..... 10

السمة العامة لهذا العصر.....11

ثانيا /جوانب من حياة بديع الزمان سعيد النورسي.....13

1/ اسمه ومولده.....13

نشأته.....14

ثالثا /المدونة.....22

رابعا /السمة الموسوعية في المثنوي العربي للنورسي.....28

خامسا /. المثنوي العربي النوري وعملية تخيّر العناوين.....31

سادسا/ . الفترة التي أوجدت هذه المطارحات.....35

سابعا . الإطار الوصفي في المثنوي العربي للنورسي.....37

الفصل الأول: مقاربة مصطلحية.....42

المبحث الأول : البنية.....43

أولا البنية : 43

ثانياً: النظام.....47

ثالثاً: الوظيفة.....49

المبحث الثاني: الخطاب 51

أولا الخطاب 51

الخطاب لغة.....51

–الخطاب اصطلاحا.....52

3–تعريف "الخطاب الإسلامي.....54

ثانيا /النص.....56

– مفهوم النص وأهميتة الاجتماعية.....56

–مفهوم النص لدى الغربيين المعاصرين والعرب المعاصرين.....58

3–التباس مفهوم خطاب بمفهوم نص.....60

المبحث الثالث / التداولية :.....61

1–الارهاصات التي مرت بها التداولية.....63

2–تطور التصور التداولي :.....67

3/التداوليات : حدود وتعريفات).....75

4/مفاهيم أساسية للتداولية.....80

4– مبادئ المنهج التداولي:.....87

5–فروع التداولية.....88

الفصل الثاني : استراتيجيات الخطاب 92

المبحث الاول : الإستراتيجيات الخطابية.....92

أولا: أولا: المستويات اللغوية وغير اللغوية في المثنوي العربي.....92

ثانيا: الآليات الخطابية في المثنوي.....94

ثالثا : القصدية في الخطاب النورسي.....95

1-مفهوم الإستراتيجية.....96

2-أنواع الاستراتيجيات التخاطبية في المثنوي العربي النوري 102

المبحث الثاني : بنية الحوار ومبدأ التعاون الحواري في المثنوي العربي.....123

1-مفهوم الحوار.....125

2/ مفهوم بنية الحوار ومبدأ التعاون الحواري.....126

3. متضمنات القول..... 132

1/3-الاستلزام الحواري في المثنوي العربي النوري:.....133

. المبحث الثالث : الافتراض التداولي المسبق.....143

1/أنواع الافتراض المسبق 143

الفصل الثالث : مدارج الكلام في المثنوي العربي النوري 150

المبحث الأول: جدلية الخفاء والتجلي في الخطاب النورسي.....151

المبحث الثاني: التكثيف الرمزي والاستعاري في الخطاب النورسي.....161

1-الرمز في اللغة وفي التعبير الفني.....162

2-الرمز والاستعارة.....165

3- أنواع الرمز وخصائه.....167.

4-شعرية النورسي والرمز.....169

4-1-/رمزية العندليب والوردة.....172

4-2-رمزية المرآة.....176

4-3-رمزية الشمس.....177

4-4-بعض الرموز التي استعملها النورسي وحدد معانيها للمتلقي :.....180

4 المبحث الثالث : تفكيك البنية الاستعارية في الخطاب النورسي 181

1/الاستعارة في البلاغة العربية القديمة.....181

2/ الاستعارة في الدراسات الغربية الحديثة.....184

3/بنية النسق الاستعاري في الخطاب النورسي.....193

4/نماذج من التكثيف الاستعارة في خطاب المثنوي العربي النوري..... 195

الفصل الرابع : الخطاب لتداولي في المثنوي العربي 208

المبحث الأول : الإشاريات في المثنوي العربي 210

1-الاشاريات الشخصية.....213.

2- الإشاريات المكانية.....222

3-الإشاريات الزمانية.....224

4- الإشاريات الاجتماعية..... 226

المبحث الثاني : أفعال الكلام في المثنوي العربي النوري 227

2/درجات التداولية.....230.

3-الأساليب في اللغة العربية 241

3-1- /مفهوم الجملة غير الطلبية.....242

3-2-الأسلوب الخبري في المثنوي العربي النوري.....242

3-3-الأسلوب الإنشائي الطلبي .....247.

الخاتمة : .....256.

فهرس المصادر والمراجع : 260

فهرس الموضوعات .....276.

الملخص:

أجابت هذه الدراسة الموسومة بـ بنية الخطاب التداولي عند بديع الزمان سعيد النورسي من خلال المثنوي العربي النوري عن تساؤل محوري هو : هل بإمكان المنهج التداولي معالجة النصوص الأدبية المكتوبة فكانت الدراسة معالجة لموضوع نثري قلّت فيه الدراسات جمع بين اللغة والأدب . وتوزعت هذه الدراسة على مدخل وأربعة فصول :فالمدخل كان حول المدونة وصاحبها ،أما الفصل الأول تمحور حول القضايا المصطلحية التي طرحها العنوان من بنية وخطاب وتداول ،ثم انتقلنا إلى الفصل الثاني الذي وسمناه باستراتيجية الخطاب درسنا فيه عدة استراتيجيات وركزنا على الاستراتيجية الحجاجية الإقناعية مع متضمنات القول من استلزام حواري وافتراض مسبق .تبعنا هذا الفصل بالفصل الثالث الذي عالجنا فيه قضية الجلاء والتخفي أي مدارج الخطاب النورسي ،وأنهينا البحث بالفصل الرابع الذي بحثنا في قضية الإشاريات والأفعال الكلامية . وباجتماع طرفي التنظير والتطبيق أمكن استنتاج ما يلي :

-يتضح من خطاب بديع الزمان سعيد النورسي أننا أمام عالم موسوعي له بصمة في علوم كثيرة منها العقيدة وعلوم القرءان ،و يمكن تطبيق آليات المنهج التداولي كونه جمع كل الدراسات اللسانية الحديثة والمعاصرة فهو قادر على تحليل الكلام المنطوق والمكتوب .

- مقصديات بديع الزمان النورسي من خلال المثنوي العربي النوري محددة من بداية رسائله من خلال النقاط الخمسة التي وضعها والتي تتطلب آليات لغوية وغير لغوية محددة .

- للمثنوي العربي النوري استراتيجيات خطابية متنوعة إذ أنه ينتقل بين الاقناع وبين استراتيجية التضمن وبين بث الدليل الشرعي و يظهر من التكثيف الاستعاري استراتيجية التضمن وعدم التصريح ، فيظهر أن المثنوي موجهة إلى من يتقن العربية ، ولهذا ملئت وكثفت نصوصه مجازا

-لقد أبدع سعيد النورسي في استعمال الرمز والجانب الاستعاري والكناية مازجا الجانب الاستراتيجي لها وقد ركز على التلميح والباطن دون الظاهر .فالسياق الاجتماعي في تركيا سياق يتطلب ذلك .

-أفعال الكلام في الخطاب النورسي مختلفة وقد ركزت على الجانب الانشائي ، الذي حمل الجانب التداولي

- الدارس لخطاب المثنوي العربي النوري ، يحس أنه أمام تصوير فني حقيقي .بهذا يعد الأسبق إلى معرفة نظرية التصوير الفني من السيد قطب .

-المنهج التعلمي عند بديع الزمان يظهر من خلال سياقه للأفعال الكلامية ومزجها بين التقريرية والطلبية.

SUMMARY:

This study answred an important question which is : can the deliberative approach addressing written literary texts were prosaic topic treatment study said studies combining language and literature, and the study has been distributed on one entrance and four chapters: the entrance was on the blog and its owner, the first chapter focused on terminological issues posed by the title of a discourse structure and circulation, and then we moved to chapter II and fattened him several studied communication strategy and strategies focused on strategy Persuasive periorbital with implications of entailment and presupposition talk. we follow this chapter by chapter III we tackled the issue of clarity and disguise any runways speech Nursi, finished the fourth chapter discussed search in case of alashariat and verbal acts. With both sides of theorizing and practice, it has been concluded as followings :

-Illustrated by a speech of Bediuzzaman said Nursi that we are facing a word which has a fingerprint in many science among belief and Sciences of Qur'an, and deliberative approach mechanisms can be applied being collected all modern and contemporary linguistic studies he is able to analyze speech and writing. -Mksadiat bediuzzaman Nursi through masnavi specific letters beginning Nuri Arab through the five points that requires linguistic and non-linguistic mechanisms. -Arab llmethnoi Nouri rhetorical strategies variety as it moves between persuasion, inclusion strategy, forensic evidence and inclusion strategy and the metaphorical condensation, it appears that the Masnavi addressed to Arabic, and mastered this metaphorically intensified texts. Nursi in the figurative aspect symbol and combining strategic side metonymy and focused on the hint and subcontractors without apparent, the social context in Turkey that requires context. -Speech acts in the discourse has focused on different Nursi side construction, who carried the deliberative aspect-the student address masnavi Nuri, Arab feel second to portray a real technician. this former is to learn the theory of artistic photography from Mr mogul. -Learning curriculum when Bediuzzaman shows through the context of verbal acts and blending normative and order.

Résumé:

Cette étude a permis de répondre à une question importante: l'approche délibérative face aux textes littéraires écrits était-elle un sujet de traitement prosaïque? Les études combinant le langage et la littérature ont été distribuées sur une entrée et quatre chapitres: l'entrée était sur le blog et son propriétaire, le premier chapitre axé sur les questions terminologiques posées par le titre d'une structure de discours et de circulation, puis nous avons déménagé au chapitre II et l'engraissé plusieurs stratégie de communication étudiée et stratégies axées sur la stratégie periorbital Persuasive avec implications de l'implication et présupposition parler. nous suivons ce chapitre par le chapitre III, nous avons abordé la question de la clarté et de déguiser tout discours de piste Nursi, a terminé le quatrième chapitre de la recherche en cas d'alashariat et des actes verbaux. Avec les deux côtés de la théorisation et de la pratique, il a été conclu comme suit:

-Illustré par un discours de Bediuzzaman dit Nursi que nous sommes confrontés à un mot qui a une empreinte digitale dans de nombreuses sciences parmi les croyances et les sciences du Coran, et des mécanismes d'approche délibérative peuvent être appliqués en recueillant toutes les études linguistiques modernes et contemporaines qu'il est capable de analyser la parole et l'écriture. -Madiadiat bediuzzaman Nursi à travers des lettres spécifiques masnavi commençant Nuri arabe à travers les cinq points qui nécessite des mécanismes linguistiques et non linguistiques. -Arab llmethnoi Nouri rhétorique stratégies variées car il se déplace entre la persuasion, la stratégie d'inclusion, la preuve médico-légale et la stratégie d'inclusion et la condensation métaphorique, il semble que le Masnavi adressé à l'arabe, et maîtrisé ces textes métaphoriquement intensifiés. Nursi dans l'aspect figuratif symbolise et combine la métonymie latérale stratégique et axée sur l'indice et les sous-traitants sans apparente, le contexte social en Turquie qui nécessite un contexte. -Les discours dans le discours ont porté sur la construction de côté de Nursi, qui a porté l'aspect délibératif - l'adresse de l'étudiant masnavi Nuri, arabe se sentent en second lieu pour dépeindre un vrai technicien. Ce premier est d'apprendre la théorie de la photographie artistique de M. Mogul. -Learning curriculum lorsque Bediuzzaman montre à travers le contexte des actes verbaux et de mélange normatif et l'ordre.